القِسْمُ الثَّانِى

نَظَرِيَّةُ الشِّعْرِ الصَّوْتِيِّ

لِشَاعِرِ الشَّمَال ... نِزَار شَاهِين

إِطْلالَةٌ تَأْرِيخِيَّةٌ تَأْصِلِيَّةٌ نَقْدِيَّة

وَرُؤْيَةٌ تَنْظِيرِيَّةٌ تَطْبِيقِيَّةٌ إِبْدَاعِيَّة

((نَحْوَ خَلْقِ نَظَرِيَّةٍ شِعْرِيَّةٍ حَدَاثِيَّة))

للنَّاقِدِ ... ؛ الأَدِيب ... ؛ الشَّاعِرِ

محمد محمود دحروج

الشَّهِيرِ: نِزَار شَاهِين

*- تَصْدِير

﴿ لَو لَم أَعْلَم أَنَّ أَفْكَارِى سَيُكْتَبُ لَهَا الخُلُود ... ؛ لَمَا وَضَعْتُهَا عَلَى وُجُوهِ الأَوْرَاق . ﴾ .

نِزَار شَاهِين

* - مَدْخَل

﴿ إِنَّ الأَعْمَالَ الَّتِى كُتِبَ لَهَا البَقَاءُ فِى تَارِيخِ الفِكْرِ وَالثَّقَافَةِ ؛ لَيْسَت وَلِيدَةَ عُقُولٍ مُظْلِمَةٍ بَلِيدَةٍ قَالَت لِلْقَلَمِ : اُكْتُب ؛ فَكَتَبَ !! ؛ وَمَا كَانَت أَبَدَاً ثَمَرَةَ خُطُواتٍ عَبَثِيَّةٍ وَمَنْهَجِيَّةٍ ضَبَابِيَّةٍ!!.

مَـا عَاشَـت وَمَـا سَـتَبْقَى إِلاَّ تِلْـكَ الكِتَابَـاتِ الَّتِـى صُـنِعَت بِأَصَـابِعِ أَذْكِيَـاءِ البَشَرِيَّة ؛ وَوُضِعَت عَلَى صَفَحَاتٍ لا تَقْبَلُ أَن يُصَاغَ عَلَى أَسْطُرِهَا إِلاَّ مَا يَدْخُلُ تَحْتَ مُسَمَّى : ((إِبْدَاعُ العَبَاقِرَة)). ﴾.

مُحَمَّد مَحْمُود دَحْرُوج

الشَّهِير بِـ :

﴿ نِزَار شَاهِين المِصْرِى ﴾

*- مُفْتَتَح:

بسم الله الرحمن الرحيم

فِى تَارِيخِ الأَدَبِ العَرَبِىِّ؛ قَامَت انْقِلابَاتٌ أَدَبِيَّةٌ؛ وَتَمَخَّضَ الحِرَاكُ وَالعِرَاكُ عَن ثَـوَرَاتٍ شِـعْرِيَّةٍ ...؛ ثُـمَّ!!...؛ أَحْـدَثَ بَعْضُـهَا صَـدَىً ضَـعِيفَاً خَافِتَـاً فِـى إِبَّـانِ مِيلادِهِ؛ ثُمَّ كَانَ المَآلُ إِلَى زَوَالٍ وَمَوْتٍ وَفَنَاء ...؛ وَعِلَّةُ ذَلِكَ عِنْدِى تَكْمُنُ فِى أَمْرٍ وَاحِدٍ لا تَابِعَ لَهُ وَلا آخَرَ سِوَاه ...؛ وَهُوَ أَنَّ قَادَةَ هَذِهِ الثَّوَارَات؛ كَانُوا أَصْحَابَ مَرْجِعِيَّةٍ عِلْمِيَّةٍ وَمَعْرِفِيَّةٍ ضَعِيفَةٍ مُتَهَالِكَةٍ وَاهِيةٍ ...؛ وَمِن جِهَةٍ أُخْرَى؛ فَإِنَّ عُقُولَهُم مَا كَانَت مِن تِلْكَ العُقُولِ الَّتِى تُهَيىءُ أَصْحَابَهَا وَتُسَوِّغُ لَهُمُ القِيَامَ بِهَذَا الدَّوْر؛ فَهِىَ عُقُولٌ بَيْنَهَا وَبَيْنَ عُقُولِ العَبَاقِرَةِ بَوْنٌ شَاسِعٌ وَأَمَدٌ بَعِيد ...؛ وَمِن جِهَةٍ ثَالِثَةٍ؛ فَإِنَّ فِطَرَهُم وَطِبَاعَهُم وَنُفُوسَهُم؛ مَا كَانَت مِن ذَلِكَ النَّوْعِ الذَّكِىِّ النَّقِىِّ النَّابِهِ ذِى الحَسِّ وَالذَّوْقِ وَالرُّوحِ القَادِرَةِ عَلَى التَّحْلِيقِ فِى سَمَاوَاتِ الإِبْدَاعِ وَالإِتْيَانِ بِغَرَائِبِ المَكْنُونَاتِ وَعَجَائِبِ الخَبَايَا وَالدَّفَائِنِ الثَّمِينَةِ الرَّائِعَةِ.

ثُـمَّ ...؛ وَمَـا نَجَحَت وَرَاجَت وَانْتَشَرَت تِلْـكَ الـدَّعَوَاتُ وَالاتِّجَاهَـاتُ الأَدَبِيَّـةُ الإِبْدَاعِيَّة ...؛ إِلاَّ لِكَوْنِ أَصْحَابِهَا مَا خَرَجُوا إِلَى المَيْدَان؛ إِلاَّ بَعْدَ أَن صَارُوا فِى حَالَـةٍ جَلِيَّـةٍ مِـنَ النُّضْـجِ العِلْمِـىِّ وَالـوَعْى المَعْرِفِـىِّ ...؛ وَإِذَا اجْتَمَعَـت المَعْرِفَـةُ التَّكَامُلِيَّة؛ وَالعَقْلُ العَبْقَرِىُّ؛ وَالنَّفْسُ الشَّاعِرَة؛ وَالرُّوحُ المُبْدِعَةُ المُتَوَثِّبَة ...؛

فَلا مُسْتَوْجِبَ حِينَئِذٍ للاسْتِغْرَابِ وَالتَّعَجُّبِ مِن قِيَامِ مَن حَازَ كُلَّ هَذِهِ الإِمْكَانَاتِ بِهَـدْمِ الحُصُـونِ الشَّـامِخَةِ المَنِيعَـةِ؛ أَو بِنَـاءِ الصُّـرُوحِ العَظِيمَـةِ وَالقِـلاعِ السَّـامِقَةِ وَالمَنَارَاتِ الزَّاهِيَةِ البَدِيعَة.

وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِك ؛ فَإِنَّا مَا أَقْدَمْنَا عَلَى عَرْضِ بَنَاتِ أَفْكَارِنَا وَإِظْهَارِهَا وَمُوَاجَهَةِ العُقُولِ بِهَا ؛ إِلاَّ بَعْدَ سَنَوَاتٍ وَأَعْوَامٍ قَضَيْنَاهَا فِى مُطَالَعَةِ ثِمَارِ القَرَائِحِ وَنِتَاجَاتِ ذَوِى التَّمَيُّزِ وَالإِجَادَةِ ... ؛ بَدْءاً مِنَ المَقُولاتِ العَرَبِيَّةِ التُّرَاثِيَّةِ ؛ ثُمَّ الأَفْكَارِ المُعَاصِرَةِ وَالحَدَاثِيَّة ؛ وَانْتِهَاءً بِالرُّؤى الغَرْبِيَّةِ عِنْدَ أَقْطَابِ الجِيلِ الثَّانِى مِن الرُّومَانْسِيِينَ الإِنْجِلِيز ؛ مِن أَمْثَال بيرون [١٧٨٨ ـ ١٨٢٤] ؛

وكيتس [١٧٩٥ ـ ١٨٢١] ؛ وبيرسى شلى [١٧٩٢ ـ ١٨٢٢] .

هَذَا مِن جِهَةِ المُمَارَسَاتِ النَّقْدِيَّةِ ... ؛ وَأَمَّا مِن جِهَةِ التَّطْبِيق ؛ فَمَازِلْتُ مُنْذُ انْتِسَابِى إِلَى مِحْرَابِ الشِّعْرِ وَالشُّعَرَاء ؛ أُجَاهِدُ مِن أَجْلِ الوُصُولِ إِلَى دَرَجَةِ التَّمَيُّزِ وَالسُّمُوِّ الإِبْدَاعِىِّ ... ؛ إِذ كَانَت البِدَايَةُ مَعَ الشِّعْرِ العَمُودِىِّ ذِى المَعَالِمِ وَالمَلامِحِ التُّرَاثِيَّةِ ؛ وَوُصُولاً إِلَى الشِّعْرِ الحُرِّ وَقَصِيدَةِ التَّفْعِيلَة ؛ ثُمَّ مُغَامَرَةِ الإِقْدَامِ عَلَى اللَّهْجَةِ العَامِيَّةِ وَنَسْجِ عَدَدٍ مِنَ القَصَائِدِ بِهَا ... ؛ وَكُلُّ هَذِهِ الأَشْكَالِ الَّتِى تَعَاطَيْتُهَا وَخُضتُ فِى غِمَارِ بِحَارِهَا ؛ قَد ظَفِرَت بِاسْتِحْسَانِ مَن يُتْقِنُونَ كُلَّ لَوْنٍ مِن هَذِهِ الأَلْوَان ... ؛ ثُمَّ تَجْرِبَتِى الخَاصَّة مَعَ الشِّعْرِ الصَّوْتِىِّ ـ هَكَذَا أَسْمَيْتُهُ ـ ... ؛ وَلَمَّا اكْتَمَلَت مَعَالِمُ النَّظَرِيَّةِ عِنْدِى وَاخْتَمَرَت رُؤيَتِى لَهَا بَعْدَ إِنْتَاجِ عَدَدٍ وَفِيرٍ عَلَى الجَانِبِ التَّطْبِيقِىِّ ... ؛ زَالَت المَوَانِعُ الَّتِى كَانَت تَحُولُ بَيْنِى وَبَيْنَ الحَدِيثِ عَنْهَا.

وَبَعْدُ ... ؛ قَد أُعْجَبُ أَنَا بِصَنِيعِى هَذَا بِنَاءً عَلَى مَعْرِفَتِى الأَدَبِيَّةِ وَطَبِيعَتِى النَّقْدِيَّة ؛ وَاعْتِمَاداً عَلَى أُسْلُوبِى فِى الإِبْدَاعِ وَالتَّذَوُّق ... ؛ وَلَكِن سَتَبْقَى كَلِمَةُ الأُدَبَاءِ وَالشُّعَرَاءِ وَالنُّقَّادِ إِزَاءَ هَذِهِ النَّظَرِيَّةِ وَتِلْكَ التَّجَارِب ... ؛ وَأَعْلَمُ يَقِيناً أَنَّ الجَمَّ الغَفِيرَ سَيَرْفُضُهَا وَيَطْرَحُهَا وَيَنْبُذُهَا ؛ وَمَا ذَلِكَ إِلاَّ لِكَوْنِ هَؤلاءِ لا يَعْتَرِفُونَ

إِلاَّ بِالقَدِيمِ وَمَا دَارَ فِى فَلَكِهِ وَنَسَجَ عَلَى غِرَارِهِ وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لِتَقَالِيدِهِ وَأَعْرَافِهِ ... ؛ فَمِثْلُ هَذِهِ النَّظْرَةِ مِن تِلْكَ الفِئَةِ أَنَا لا أَعْتَدُّ بِهَا وَلا أَعْبَأُ بِأَحْكَامِهَا ... ؛ إِنَّمَا أَنْتَظِرُ آرَاءَ أَمْثَالِى ؛ مِمَّن قَضَوا أَكْثَرَ أَعْوَامِ رَحْلَتِهِم بَيْنَ أَسْفَارِ التُّرَاث ؛ ثُمَّ انْطَلَقُوا مِن خَلالِهِ ؛ فَهُم لا يَجْهَلُونَ طَبِيعَةَ الرُّؤى الأَدَبِيَّةِ وَالنَّقْدِيَّةِ التُّرَاثِيَّة ؛ وَلَكِنَّهُم كَذَلِكَ لا يَتَنَكَّرُونَ للأَعْمَالِ الإِبْدَاعِيَّةِ بِتِلْكَ الدَّعْوَى السَّاذِجَةِ المَأْفُونَةِ !! ؛ دَعْوَى صُدُورِ هَذَا الإِبْدَاعِ فِى ظِلِّ أَشْكَالٍ

وَأَنْمَاطٍ حَدَاثِيَّةٍ !!.

وَإِنَّ غَدًا لِنَاظِرِهِ قَرِيب.

كُولِيرِدْج العَـرَب

محمـد محمـود دحـروج

الشَّهِير بـ:

﴿ نِـزَار شَاهِين المِصْرِى ﴾

بَعَيْدَ فَجْرِ الخَمِيس

[٣ / ٥ / ٢٠١٢ م]

مَدِينَة الرِّيَـاض ؛ بِشَمَالِ الدِّيَـارِ المِصْرِيَّة

*- تَمْهِيد:

بسم الله الرحمن الرحيم

هَل مَاتَ زَمَنُ الشِّعْر ؟!!

فِى عَام ١٨٢١م ؛ نَشَرَ النَّاقِدُ الإِنْجِلِيزِىُّ توماس لف بيكوك رَسَالَةً بِعُنْوَان: ((عُصُورُ الشِّعْرِ الأَرْبَعَة)) ؛ رَامَ مِن خِلالِهَا أَن يُثْبِتَ أَنَّ الفَنَّ الشِّعْرِىَّ سَيَتَلاشَى رُوَيْدَاً رُوَيْدَاً مَعَ تَقَدُّمِ الحَضَارَةِ المَادِيَّةِ ؛ وَأَنَّ الشِّعْرَ فِى القَرْنِ التَّاسِعِ عَشَر - أَى فِى عَصْرِ المَادَّةِ وَالعَقْل - لا يُعَدُّ أَكْثَرَ مِن ظَاهِرَةٍ قَبِيحَةٍ سَخِيفَةٍ ؛ لا تَشِى إِلاَّ بِالعَبَثِيَّةِ وَاللامُبَالاة ؛ وَلا تَدْعُو لِسِوَى النُّفُورِ وَالضِّيقِ وَالاحْتِقَار ؛ إِذ لِكُلِّ عَصْرٍ مَظَاهِرُهُ وَأَفْكَارُهُ ؛ فَالشِّعْرُ مِن سِمَاتِ عُصُورٍ قَد خَلَت ؛ وَأَمَّا فِى هَذَا العَصْرِ فَلا مَكَانَ لِلشِّعْرِ وَلا لِلشُّعَرَاء .

.....

كَانَت هَذِهِ هِىَ دَعْوَةُ ذَلِكَ النَّاقِد ؛ وَقَبْلَ أَن يَكُونَ نَاقِدَاً أَدَبِيَّاً ؛ فَهُوَ رِوَائِىٌّ ؛ وَفِى ذَلِكَ مَا يَدُلُّكَ عَلَى أَنَّهُ كَانَ أَوَّلَ مَن نَادَى بِفِكْرَة ((زَمَنُ الرِّوَايَة)) ؛ تِلْكَ الدَّعْوَةُ الَّتِى بَدَأَت فِى أَيَّامِهِ ؛ وَمَازَالَت تَجِدُ لَهَا أَنْصَارَاً إِلَى يَوْمِنَا هَذَا فِى الشَّرْقِ وَالغَرْبِ عَلَى السَّوَاء.

وَقَد تَصَدَّى الشَّاعِرُ الرُّومَانْسِىُّ الإِنْجِلِيزِىُّ الكَبِير بيرسى بيشى شيلى [١٧٩٢ ـ ١٨٢٢] لِلرَّدِّ عَلَى توماس بيكوك فِى رِسَالَةٍ لَهُ بِعُنْوَان ((دِفَاعٌ عَنِ الشِّعْر)) .

ثُمَّ جَاءَ الشَّاعِرُ وَالنَّاقِدُ الأَدَبِىُّ الفِيكْتُورِىُّ ماثيو أرنولد [١٨٢٢ ـ ١٨٨٨] ؛ فَنَاقَشَ هَذِهِ القَضِيَّةَ ؛ ثُمَّ انْتَهَى إِلَى أَنَّ الشِّعْرَ سَيَحُلُّ مَحَلَّ المُعْتَقَدَاتِ الدِّينِيَّةِ القَدِيمَة ؛ وَمِمَّا قَالَهُ :

((إِنَّ لِلشِّعْرِ مُسْتَقْبَلاً هَائِلاً ؛ لأَنَّ الإِنْسَانِيَّةَ سَتَجِدُ فِى الشِّعْرِ الجَدِيرِ بِهَذَا المُسْتَقْبَلِ مُسْتَقَرًّا لَهَا ؛ يَتَجَدَّدُ الاطْمِئْنَانُ إِلَيْهِ عَلَى مَرِّ الأَيَّام.

لَقَد بَدَأَت المُعْتَقَدَاتُ كُلُّهَا تَتَزَعْزَعُ ؛ وَأَخَذَ الشَّكُّ يَتَطَرَّقُ إِلَى المَذَاهِبِ الَّتِى كَانَ النَّاسُ يُجْمِعُونَ عَلَى صِحَّتِهَا كُلِّهَا ؛ كَمَا أَخَذَت التَّقَالِيدُ تُؤذِنُ بِالتَّدَاعِى وَالانْهِيَار ؛ حَتَّى الدِّين الَّذِى كَانَ يَعْتَمِدُ عَلَى الوَقَائِعِ المُفْتَرَضَةِ وَيَرْبِطُ بَيْنَ كُلِّ انْفِعَالاتِهِ ؛ خَانَتْهُ هَذِهِ الوَقَائِعُ ذَاتُهَا وَأَخَذَت تَتَخَلَّى عَنْهُ.

أَمَّا الشِّعْرُ ؛ فَإِنَّهُ يَقُومُ عَلَى المَعْنَى ؛ وَالمَعْنَى بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِ هُوَ كُلُّ شَىْءٍ.)) .

.....

كَانَ لِلنَّهْضَةِ الحَضَارِيَّةِ المَادِيَّةِ الرَّهِيبَة ؛ وَالَّتِى بَدَأَت مَعَ أَوَاخِرِ القَرْنِ التَّاسِعِ عَشَر ؛ وَسَيْطَرَةِ مَظَاهِرِهَا عَلَى التَّفْكِيرِ الإِنْسَانِىِّ ؛ كَانَ لِهَذَا الأَمْرِ أَثَرُهُ الخَطِيرُ عَلَى القِيمِ الثَّقَافِيَّةِ وَالإِنْسَانِيَّةِ.

وَقَد كَانَ مِن نَتَائِجِ هَذَا التَّأْثِير ؛ أَن أَصْبَحَ الكَثِيرُونَ مِنَ المُثَقَّفِينَ يَنْظُرُونَ إِلَى الفَنِّ الشِّعْرِىِّ نَظْرَةَ سُخْرِيَةٍ وَامْتِعَاض ؛ فَاضْطَرَبَت نُفُوسُ الشُّعَرَاءِ اضْطِرَابًا

شَدِيدَاً ؛ وَخَاصَّةً فِى بِلادِ الإِنْجِليز ؛ لِكَوْنِهَا كَانَت أَكْثَرَ البِلادِ تَأَثُّرَاً بِهَذِهِ الدَّعْوَةِ ؛ إِذ كَانَت مَعْقِلَ الثَّوْرَةِ الصِّنَاعِيَّةِ آنَئِذٍ ؛ فَوَاجَهُوا هَذِهِ المِحْنَةَ الثَّقَافِيَّةِ بِكَثِيرٍ مِنَ الحُجَجِ المَنْطِقِيَّةِ السَّدِيدَةِ المُفْحِمَة ؛ وَالَّتِى كَانَ مِن أَبْرَزِهَا وَأَقْوَاهَا :

القَوْلُ بِأَنَّ القِيمَ المَادِيَّةَ الَّتِى تَسَلَّطَت عَلَى عُقُولِ أَبْنَاءِ هَذِا العَصْر ؛ تَفْرِضُ عَلَى اتْبَاعِهَا التَّخَلِّى - إِرَادِيَّاً أَو لا شُعُورِيَّاً - عَن المَشَاعِرِ الإِنْسَانِيَّةِ النَّبِيلَة ؛ كَالحُبِّ وَالحُزْنِ وَالأَلَم ؛ وَأَصْبَحَ عَلَى المَرْءِ الَّذِى يُسْلِمُ قِيَادَهُ لِهَذِهِ القِيَمِ الشَّوْهَاء ؛ وَالَّتِى مِن شَأْنِهَا أَن يَذُوبَ الإِنْسَانُ فِى تَيَّارِ السَّعْى اللاهِثِ خَلْفَ المَالِ وَالثَّرْوَةِ وَأَسْبَابِ امْتِلاكِ مَظَاهِرِ المَادَّةِ وَالسُّلْطَة ؛ وَأَن يَفْقِدَ الكَثِيرَ مِن سِمَاتِ ذَاتِهِ الاسْتِقْلالِيَّةِ وَشَخْصِيَّتِهِ الفَرْدِيَّة ؛ وَأَن يُعْرِضَ عَن حَاجَاتِهِ

الرُّوحِيَّةِ ؛ وَالَّتِى هِىَ فِى حَقِيقَتِهَا عِلَّةُ الوُجُودِ الإِنْسَانِىِّ فِى هَذَا العَالَم.

*- الشِّعْرُ العَرَبِىُّ... تَحَوُّلاتٌ وَقَضَايَا

*- مَقْصِد:

كَانَت المُحَاوَلاتُ لإِحْدَاثِ تَغْيِيرٍ فِى صُورَةِ القَصِيدَةِ العَرَبِيَّةِ جَارِيَةٌ وَقَائِمَةٌ مُنْذُ زَمَنٍ يَضْرِبُ بِجُذُورِهِ فِى أَعْمَاقِ التَّارِيخ... ؛ فَقَد حَاوَلَ بَعْضُ الشُّعَرَاءِ أَن يَتَخَلَّصَ مِن قَيْدِ القَافِيَة ؛ لِكَوْنِهَا تُعَدُّ قَيْدَاً يُقَيِّدُ الشَّاعِرَ وَيَمْنَعُهُ التَّحَرُّرَ مِمَّا لا يُحِب ؛ إِذ الالْتِزَامُ دَائِمَاً وَأَبَدَاً بِقَافِيَةٍ ثَابِتَةٍ لا تَتَغَيَّرُ وَلا تَتَبَدَّلُ ؛ قَد يُجْبِرُهُ عَلَى الإِتْيَانِ بِبَعْضِ المَعَانِى الَّتِى لا يُرِيدُهَا ؛ وَكَثِيرَاً مَا يَضْطَرُّ الشَّاعِرُ إِلَى تِكْرَارِ نَفْسِ القَافِيَة ؛ مِمَّا يُؤَدِّى إِلَى ضَعْفِ النَّغْمِ وَرَتَابَتِهِ.

وَقَد يَحْتَجُّ بَعْضُهُم بِأَنَّ تِكْرَارِ المَعَانِى وَالقَوَافِى ؛ لا يَقَعُ فِيهِ إِلاَّ الشَّاعِرُ الَّذِى يَفْتَقِرُ إِلَى الطَّبْعِ وَالشَّاعِرِيَّةِ مِن جِهَةٍ ؛ وَإِلَى ضَعْفِ حَصِيلَتِهِ اللُّغَوِيَّةِ مِن جِهَةٍ أُخْرَى.

وَهَذَا تَعلِيلٌ مَقْبُول ؛ وَلَكِنِّى أَقُول:

مَا سَلَكَ هَذَا المَسْلَكَ الشُّعَرَاءُ الضُّعَفَاءُ وَحَسْب ؛ بَل ذَهَبَ إِلَيْهِ عَدَدٌ مِنَ فُحُولِ فَنِّ القَرِيض ؛ وَأَبُو العَتَاهِيَة - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى - وَهُوَ صَاحِبُ المَكَانَةِ المَعْرُوفَةِ فِى الفَنِّ الشِّعْرِىِّ ؛ لَهُ تَجْرِبَةٌ شَهِيرَةٌ تَتَمَثَّلُ فِى مَزْدَوَجَتِهِ البَدِيعَة ؛ وَالَّتِى كَانَت تُعَدُّ بِمَثَابَةِ نَمَطٍ حَدَاثِىٍّ فِى وَقْتِهَا.

.....

*- مَقْصِد:

وَتَمْضِى أَزْمَانٌ وَأَزْمَان ؛ وَإِذَا بِنَا فِى مَطَالِعِ القَرْنِ العِشْرِين... ؛ حَاوَلَ بَعْضُ الشُّعَرَاءِ أَن يَأْتِى بِجَدِيدٍ ؛ فَنَظَرَ إِلَى تَجْرَبَةِ الشِّعْرِ المُزْدَوَج ؛ ثُمَّ انْطَلَقَ مِن خِلالِهَا ؛ يَقُول عَبْدُ الرَّحْمَن شُكْرِى [١٨٨٦ ـ ١٩٥٨ م] فِى قَصِيدَةٍ لَهُ بِعُنْوَان ((الزَّوْجَة الغَادِرَة)) :

أَىُّ شَىْءٍ يَهْفُو بِلُبِّكَ عَن وَصْـ

ـلِ الغَوَانِى وَعَيْشِ أَهْلِ الجُدُودِ؟!!

..... قَائِمَاً فِى النَّعِيمِ مِثْلَ مُقَامِ

طَالِبِ الرِّىِّ فِى جِوَارِ الغَدِيرِ

لا تُعِد لِى ذِكْرَ الغَوَانِى ؛ فَإِنِّى

.... ؛ لَم أَكُن عَن ذِكْرِهَا بِجَلِيدِ

كُلُّ حَسْنَاءَ فِى لِحَاظِى عِظَامٌ

..... ؛ عَارِيَاتٌ مِنَ البَهَاءِ المُنِيرِ

ثُمَّ تَقَدَّمَ فِى مَنْهَجِهِ الإِبْدَاعِىِّ ؛ حَيْثُ نَسَجَ بَعْضَ شِعْرِهِ غَيْرَ مُلْتَزِمٍ بِوِحْدَةِ القَافِيَة ؛ فَهُوَ يَقُولُ فِى قَصِيدَتِهِ ((نابليون والسَّاحِرُ المِصْرِىُّ)) :

سَلَكَت بِنَابِلْيونَ سَالِبَةُ الكَرَى

؛ وَالنَّوْمُ لا يَعْنُو لِكُلِّ عَظِيمِ

.... ؛ فِى لَيْلَةٍ قَلَبَ اللَّئِيمُ لِقَلْبِهَا

زِنْجِيَّةً قَد عُرِّيَت مِن حَلْيِهَا

فَإِذَا أَرَادَ الطَّيْفُ أَن يَسْرِى بِهَا

مَنَعَت مَهَابَتُهُ الظَّلامَ مِنَ السُّرَى

عَبَسَت فَخَالَ الأُفْقَ طَلْعَةَ قَاتِلٍ

.... ؛ جَهْمَ المُحَيَّا رَائِعَ اللَّحَظَاتِ

وَتَنَفَّسَت نَفَسَ المُحِبِّ إِذَا قَضَى

..... ؛ وَحَبِيبُهُ بِحَنِينِهِ لَم يَعْلَمِ

ثُمَّ... ؛ السِّرُّ فِى كَوْنِ عَبْدِ الرَّحْمَن شُكْرِى لَم يَسْتَطِع أَن يُمَكِّنَ لِهَذِهِ المُحَاوَلاتِ الاجْتِهَادِيَّة ؛ إِنَّمَا يَكْمُنُ فِى ضَعْفِ نَزْعَتِهِ الفَنِيَّةِ الَّتِى نَسَجَ بِهَا هَذِهِ الأَشْكَالِ الشِّعْرِيَّة.

.....

*- مَقْصِـد :

جَاءَت النَّهْضَةُ الإِبْدَاعِيَّةُ الحَقِيقِيَّةُ مِن خِلالِ شُعَرَاءِ المِهْجَر - مِيخَائِيل نِعِيمَه ؛ وَحُبْرَان خَلِيل جُبْرَان ؛ وَإِيلْيا أَبُو مَاضِى - .

كَانَت سِمَاتُ : الحُزْن ... ؛ وَالأَلَم ... ؛ وَالإِيمَانُ المُطْلَقُ بِخَوَاءِ الحَيَاةِ وَحَقَارَةِ مَعْنَاهَا ... ؛ وَالشُّعُورُ الدَّائِمُ بِالغُرْبَةِ المَكَانِيَّةِ وَالنَّفْسِيَّة ... ؛ المَوْت ... ؛ المَجْهُول ... ؛ كَانَت هَذِهِ المَعَانِى هِىَ الَّتِى تُمَيِّزُ شُعَرَاءَ المِهْجَر ... ؛ وَإِذَا اجْتَمَعَت كُلُّ هَـذِهِ المَشَاعِرِ فِى نَفْسِ إِنْسَان ... ؛ كَثُرَت أَسْبَابُ القَوْلِ عِنْدَهُ ... ؛ وَفِى حَوْمَةِ العِرَاكِ النَّفْسِىِّ ... ؛ يَأْتِى التَّحَرُّرُ مِن كُلِّ شَىْءٍ ... ؛ وَتَبْقَى الرَّغْبَةُ فِى بَثِّ الأَشْجَانِ وَالآلامِ عَلَى أَىِّ وَجْهٍ كَان ... ؛ وَمِن هَاهُنَا يَأْتِى الإِبْدَاع .

فِى لَحْظَةٍ مِن لَحَظَاتِ الصِّرَاعِ النَّفْسِىِّ - وَمَا أَكْثَرَهَا فِى حَيَاةِ المِهْجَرِيين - ؛ كَتَبَ مِيخَائِيل نِعِيمَه يَقُول :

إِيهٌ نَفْسِى !! ؛ أَنْتِ لَحْنٌ فِىَّ قَد رَنَّ صَدَاه
وَقَّعَتْكِ يَدُ فَنَّانٍ خَفِىٍّ لا أَرَاه
أَنْتِ رِيحٌ ؛ وَنَسِيمٌ ؛ أَنْتِ مَوْجٌ ؛ أَنْتَ بَحْرُ
أَنْتَ بَرْقٌ ؛ أَنْتَ رَعْدٌ ؛ أَنْتَ لَيْلٌ ؛ أَنْتَ فَجْرُ
أَنْتَ فَيْضٌ مِن إِلَه

وَفِى لَحْظَةٍ مِن لَحَظَاتِ القَلَقِ النَّفْسِىِّ الرَّهِيب !! ؛ كَانَت ((الطَّلاسِم)) لإِيلْيَا أَبُو مَاضِى :

حِئْتُ لا أَعْلَـمُ مِن أيْنَ ؛ وَلَكِنِّى أَتَيْتُ ؟!!

وَلَقَد أَبْصَرْتُ قُـدَّامِى طَرِيقَاً فَمَشَيْتُ !!

وَسَأَبْقَى مَاشِيَاً إِن شِئْتُ هَذَا أَم أَبَيْتُ !!

كَيْفَ حِئْتُ ؟!! كَيْفَ أَبْصَرْتُ طَرِيقِى ؟!!

لَسْتُ أَدْرِى !!

أَجَـدِيـدٌ أَم قَـدِيمٌ أَنَـا فِى هَـذَا الوجُـود ؟!!

هَـل أَنَـا حُـرٌّ طَلِيـقٌ ؛ أَم أَسِيـرٌ فِى قُيُود ؟!!

هَل أَنَـا قَائِـدُ نَفْسِى فِى حَيَاتِى أَم مَقُود ؟!!

أَتَـمَنَّى أَنَّنِى أَدْرِى ... ؛ وَلَكِـن !!

لَسْتُ أَدْرِى !!

قَد سَأَلْـتُ البَحْـرَ يَوْمَاً هَل أَنَـا يَا بَحْـرُ مِنْكَا ؟!!

هَل صَحِيحٌ مَا رَوَاهُ بَعْضُهُم عَنِّى وَعَنْكَا ؟!!

أَم تُـرَى مَـا زَعَمُـوا زُوراً وَبُـهْـتَـانَـاً وَإِفْكَـا ؟!!

ضَحِكَت أَمْوَاجُهُ مِنِّى وَقَـالَـت :

لَسْتُ أَدْرِى !!

أَنْـتَ يَـا بَـحْـرُ أَسِيـرٌ آهِ مَا أَعْظَمَ أَسْرَكْ !!

أَنْـتَ مِـثْلِى أَيُّـهَا الجَبَّارُ لا تَمْلِكُ أَمْرَكْ !!

أَشْبَهَت حَالُـكَ حَـالِى وَحَكَى عُذْرِىَ

عُذْرَكْ !!

فَمَتَـى أَنجُـو مِنَ الأَسْرِ وَتَنْجُـو ؟!!

لَسْتُ أَدْرِى !!

قَـد سَأَلْـتُ السُّحْبَ فِى الآفَاقِ هَل تَذْكُرُ

رَمْلَكْ ؟!!

وَسَأَلْتُ الشَّجَرَ المُورِقَ هَل يَعْرِفُ فَضْلَكْ ؟!!

وَسَأَلْتُ الدُّرَّ فِى الأَعْنَاقِ هَل تَذْكُرُ أَصْلَكْ

وَكَأَنِّى خِلْتُهَا قَالَت جَمِيعًا :

لَسْتُ أَدْرِى !!

يَرْقُصُ المَـوْجُ وَفِى قَاعِكَ حَرْبٌ لَـن تَزُولا !!

تَخْلُقُ الأَسْمَـاكَ لَكِـن ؛ تَخْلُقُ الحُـوتَ الأَكُـولا !!

قَد جَمَعْتَ المَوْتَ فِى صَدْرِكَ وَالعَيْشَ الجَمِيلا !!

لَيْتَ شِعْرِى أَنْتَ مَهْدٌ أَم ضَرِيحٌ ؟!!

لَسْتُ أَدْرِى !!

كَم فَتَاةٍ مِثْلَ لَيْلَى وَفَتَىً كَابْنِ المُلَـوَّحْ !!

أَنْفَقَا السَّاعَاتِ فِى الشَّاطِىءِ تَشْكُو وَهُوَ

يَشْرَحْ !!

كُلَّمَا حَدَّثَ أَصْغَت ؛ وَإِذَا قَالَت تَرَنَّـح !!

أَحَفِيفُ المَـوْجِ سِرٌّ ضَيَّعَاه ؟!!

لَسْتُ أَدْرِى !!

فِيكَ مِثْلِى أَيُّهَا الجَبَّارُ أَصْدَافٌ وَرَمْلُ
إِنَّمَا أَنْتَ بِلا ظِلٍّ وَلِى فِى الأَرْضِ ظِلُّ
إِنَّمَا أَنْتَ بِلا عَقْلٍ وَلِى يَا بَحْرُ عَقْلُ
فَلِمَاذَا يَا تُرَى أَمْضِى وَتَبْقَى؟!!
لَسْتُ أَدْرِى !!
إِنَّ فِى صَدْرِىَ يَا بَحْرُ لأَسْرَارَ عِجَابَا
نَزَلَ السِّتْرُ عَلَيْهَا وَأَنَا كُنْتُ الحِجَابَا
وَلِذَا ازْدَادُ بُعْدًا كُلَّمَا ازْدَدْتُ اقْتِرَابَا
وَأُرَانِى كُلَّمَا أَوْشَكْتُ أَدْرِى
لَسْتُ أَدْرِى !!
وَلَقَد قُلْتُ لِنَفْسِى وَأَنَا بَيْنَ المَقَابِر
هَل رَأَيْتَ الأَمْنَ وَالرَّاحَةَ إِلاَّ فِى الحَفَائِر
فَأَشَارَت !! : فَإِذَا لِلدُّودِ عَيْثٌ فِى المَحَاجِر
ثُمَّ قَالَت : أَيُّهَا السَّائِلُ إِنِّى !! :
لَسْتُ أَدْرِى !!
انْظُرِى كَيْفَ تَسَاوَى الكُلُّ فِى هَذَا المَكَانِ
وَتَلاشَى فِى بَقَايَا العَبْدِ رَبُّ الصَّوْلَجَانِ
وَالتَّقِيُّ العَاشِقُ وَالقَالِى فَمَا يَفْتَرِقَانِ
أَفَهَذَا مُنْتَهَى العَدْلِ ؟!! ؛ فَقَالَت :

لَسْتُ أَدْرِى !!

كَم قُصُورٍ خَالَهَا البَانِى سَتَبْقَى وَتَدُوم

ثَـابِتَاتٍ كَالرَّوَاسِى خَـالِدَاتٍ كَالنُّجُوم

سَحَبَ الـدَّهْرُ عَلَيْهَا ذَيْلَهُ فَهِىَ رُسُوم

مَـالَنَا نَبْنِى وَمَا نَبْنِى لِهَدْمٍ ؟!!

لَسْتُ أَدْرِى !!

رُبَّ فِكْرٍ لاحَ فِى لَوْحَـةِ نَفْسِى وَتَجَلَّى

خِلْتُهُ مِنِّى ؛ وَلَكِن لَم يَقُم حَتَّى تَـوَلَّى

مِثْلَ طَيْفٍ لاحَ فِى بِئْرٍ قَلِيلاً وَاضْمَحَلاَّ

كَيْفَ وَافَى ؟!! ؛ وَلِمَاذَا فَرَّ مِنِّى ؟!!

لَسْتُ أَدْرِى !!

إِنَّنِى أَشْـهَـدُ فِى نَفْسِى صِرَاعَاً وَعِـرَاكَا

وَأَرَى ذَاتِىَ شَيْطَانَاً... ؛ وَأَحْيَانَاً مَلاكَا

هَـل أَنَا شَـخْصَانِ يَأْبَى هَـذَا مَعَ ذاك

اشْتِرَاكَا؟!!

أَم تُـرَانِى وَاهِـمَاً فِيمَا أَرَاهُ

لَسْتُ أَدْرِى !!

بَيْنَمَا قَلْبِىَ يَحْكِى فِى الضُّحَى إِحْدَى

الخَمَائِل

فِيهِ أَزْهَـارٌ وَأَطْيَـارٌ تُغَنِّى وَجَدَاوِل
أَقْبَلَ العَصْرُ فَأَمْسَى مُوحِشَاً كَالقَفْرِ
قَاحِلِ !!
كَيْفَ صَارَ القَلْبُ رَوْضَاً ثُمَّ قَفْرَا ؟!!
لَسْتُ أَدْرِى !!
كُلُّ يَوْمٍ لِىَ شَأْنٌ ؛ كُلُّ حِينٍ لِى شُعُور
هَل أَنَا اليَوْمَ ... ؛ أَنَا مُنْذُ لَيَالٍ وَشُهُور
أَم أَنَا عِنْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ غَيْرِى فِى
البُكُور ؟!! كُلَّمَا
سَاءَلْتُ نَفْسِى جَاوَبَتْنِى :
لَسْتُ أَدْرِى !!
أَنَا لا أَذْكُرُ شَيْئَاً مِن حَيَاتِى المَاضِيَه !!
أَنَا لا أَعْرِفُ شَيْئَاً عَن حَيَاتِى الآتِيَه !!
لِىَ ذَاتٌ غَيْرَ أَنِّى لَسْتُ أَدْرِى مَا هِيه !!
فَمَتَى تَعْرِفُ ذَاتِى كُنْهَ ذَاتِى ؟!!
لَسْتُ أَدْرِى !!
.....

*- مَقْصِـد :

حَاوَلَ الشَّاعِرُ السَّكَنْدَرِىُّ خَلِيل شَيْبُوب [١٨٩١ ـ ١٩٥١م] أَن يَذْهَبَ مَعَ التَّجْدِيدِ شَوْطَاً أَبْعَدَ مِن هَذَا ؛ فَكَانَت قَصِيدَتُهُ ((الشِّرَاع)) .

ذَكَرَ مُلابَسَاتَ كِتَابَتِهِ لِهَذِهِ القَصِيدَةِ ؛ فَقَالَ أَنَّهُ وَجَدَ نَفْسَهُ دُونَ انْتِبَاهٍ يَكْتُبُ هَـذِهِ الكَلِمَات ؛ وَلَمَّـا تَأَمَّلَهَـا ؛ إِذَا بِهَـا مَقْطُوعَـةٌ صَـغِيرَةٌ تَنْتَسِـبُ تَفْعِيلاتُهَـا إِلَـى بَحْـرِ الرَّمَل :

﴿ هَذَا البَحْرُ رَحِيباً يَمْلأُ العَيْنَ جَلالا
وَصَفَا الأُفْقُ وَمَالَـت شَمْسُهُ تَـرْفُـو
دَلالا
وَبَدَا فِيهِ شِرَاعٌ
كَخَيَالٍ مِن بَعِيدٍ يَتَمَشَّى
فِى بِسَاطٍ مَائِجٍ مِن نَسْجِ عُشْبِ
أَو حَمَامٍ لَم يَجِد فِى الرَّوْضِ عُشَّا
فَهُوَ فِى خَوْفٍ وَرُعْبِ . ﴾.

ثُمَّ قَامَ الدُّكْتُور لِويس عَوَض بِتَجْرِبَةٍ شِعْرِيَّةٍ أَخْضَعَهَا لِهَذَا الشَّكْلِ وَلِذَلِكَ النَّمَطِ الجَدِيد ؛ فَكَتَبَ هَذِهِ القَصِيدَةَ عَامَ ١٩٣٨م وَهُوَ فِى جَامِعَةِ كَامبرِدْج الإِنْجِلِيزِيَّة ؛ ثُمَّ نَشَرَهَا فِى كِتَابِهِ ((بلوتولاند وَقَصَائِد أُخْرَى)) عَامَ ١٩٤٧ م ؛ وَهِىَ تَقُول :

﴿ أَبِى !! ... ؛ أَبِى !!

أَحْزَانُ هَذَا الكَوْكَبِ

نَاءٍ بِهَا قَلْبِى الصَّبِى

الرِّزْءُ تَحْتَ الرِّزْءِ فِى صَدْرِى خَبِى

الشَّوْكُ فِى جَنْبِى !! ... ؛ خَرَابُ الهُدُبِ !!

سَلَّت دُمَيْعَاتٍ كَذَوْبِ السُّمِّ مِن جَفْنِى الأَبِى !! . ﴾ .

وَهِىَ تَجْرِبَةٌ جِدُّ رَائِعَةٍ بِالنَّظَرِ إِلَى كَوْنِهَا جَاءَت فِى أَوَّلِ عَهْدِ هَذَا النَّمَطِ الشِّعْرِىِّ الجَدِيد ؛ إِذ دَائِمَاً مَا يَأْتِى النُّضْجُ بَعْدَ مَرَاحِلٍ وَأَدْوَارٍ وَتَجَارِبٍ عَدِيدَةٍ ؛ أَمَّا هَذِهِ القَصِيدَةُ ؛ فَقَد تَجَاوَزَت عَثَرَات البِدَايَات ؛ حَتَّى إِنَّهَا لَتُنْسَبُ إِلَى الشِّعْرِ المَهْمُوسِ الَّذِى نَادَى بِهِ الدُّكْتُور مُحَمَّد مَنْدُور ؛ وَالشِّعْرُ المَهْمُوسُ هُوَ أَجْمَلُ وَأَرْقَى صُورِ قَصِيدَةِ التَّفْعِيلَة .

.....

*- مَقْصِـد:

ـ ثَـوْرَةُ الشِّعْـرِ الحُـر

التَّالُوثُ الأَعْظَم فِى تَارِيخ قَصِيدَة التَّفْعِيلَة

﴿ نَازَك المَلائِكَة... ؛ بَدْر شَاكِر السَّيَّاب... ؛ عَبْدُ الوَهَّاب البَيَّاتِى ﴾

١-نَـازِك المَـلائِكَة

نازك صادق الملائكة ((بغداد ٢٣ آب= أُغسطس ١٩٢٣ـ القاهرة ٢٠ حُزيران = يونيو ٢٠٠٧)):

ج شاعرةٌ من العراق ؛ وُلِدَت فى بغداد فى بيئةٍ ثقافيَّةٍ ؛ وتخرجت من دار المُعلِّمين العالية عام ١٩٤٤م ؛ دخلت معهد الفُنُون الجميلة وتخرَّجت من قسم المُوسيقى عام ١٩٤٩م ؛ وفى عام ١٩٥٩م حصلت على شهادة ماجستير فى الأدب المُقارن من جامعة وسكنسن فى أمريكا ؛ وَعُيِّنَت أُستاذة فى جامعة بغداد ؛ وجامعة البصرة ؛ ثم جامعة الكويت عاشت فى القاهرة مُنْذُ ١٩٩٠م فى عُزلةٍ اختياريَّةٍ ؛ وتُوفِّيت بها فى ٢٠ يونيو ٢٠٠٧ م عن عُمرٍ يُناهز ٨٣ عاماً ؛ بسبب إصابتها بهُبُوطٍ حادٍّ فى الدورة الدمويَّة ؛ ودُفِنَت فى مقبرةٍ خاصةٍ للعائلة غرب القاهرة يعتقد الكثيرون أن نازك الملائكة هى أول من كتبت الشِّعر الحُر فى عام ١٩٤٧ م ؛ ويعتبر البعض قصيدتها المُسمَّاة ((الكوليرا)) من أوائل الشِّعر الحُرِّ فى الأدب العربىِّ ؛ وقد بدأت نازك الملائكة فى كتابة الشعر الحر فى فترةٍ زمنيَّةٍ مُقاربةٍ جدًّا للشاعر بدر شاكر السَّيَّاب وزميلين لهما هما الشاعران شاذل طاقه

وعبد الوهاب البياتى ؛ وهؤلاء الأربعة سُجِّلُوا فى اللوائح بوصفهم رُوَّاد الشِّعر الحديث فى العراق.

وُلِدَت نازك الملائكة فى بغداد لأُسرَةٍ مُثقَّفةٍ ؛ وحيث كانت والدتها سلمى عبد الرزَّاق تنشر الشعر فى المجلات والصُّحف العراقيَّة باسمٍ أدبىٍّ هو ((أم نزار الملائكة)) ؛ أما أبوها صادق الملائكة فترك مُؤلفات أهمها موسوعة ((دائرة معارف الناس)) فى عشرين مجُلَّداً ؛ وقد اختار والدها اسم نازك تيمُّناً بالثائرة السُّورية نازك العابد ؛ التى قادت الثُّوار السُّوريين فى مُواجهة جيش الاحتلال الفرنسىِّ فى العام الذى وُلِدَت فيه الشاعرة.

درست نازك الملائكة اللُّغة العربيَّة وتخرَّجت عام ١٩٤٤م ؛ ثم انتقلت إلى دراسة الموسيقى ؛ ثم درست اللغات اللاتينيَّة والإنجليزيَّة والفرنسيَّة فى الولايات المُتحدة الأمريكيَّة ؛ ثم انتقلت للتدريس فى جامعة بغداد ؛ ثم جامعة البصرة ؛ ثم جامعة الكويت ؛ وانتقلت للعيش فى بيروت لِمُدَّة عامٍ واحدٍ ؛ ثم سافرت عام ١٩٩٠ م على خلفيَّة حرب الخليج الأولى إلى القاهرة حيث تُوفِّيت.

ج حصلت نازك على جائزة البابطين عام ١٩٩٦م ؛ كما أقامت دار الأوبرا المصريَّة يوم ٢٦ مايو/ أيَّار ١٩٩٩ م احتفالاً لتكريمها بمُناسبة مُرُور نصف قرنٍ على انطلاقة الشِّعر الحُرِّ فى الوطن العربىِّ ؛ والذى لم تحضره بسبب المرض ؛ وحضر عوضاً عنها زوجها الدكتور عبد الهادى محبوبة ؛ ولها ابنٌ واحدٌ هو البراق عبد الهادى محبوبة ؛ وتوفيت فى صيف عام ٢٠٠٧م.

لقب الملائكة أطلقه بعض الجيران على عائلة الشاعرة بسبب ما كان يسود البيت من هُدُوءٍ ؛ ثم انتشر اللقب وشاع وحملته الأجيال التالية.

أهم مجموعاتها الشِّعريَّة :

- عاشقة الليل : ١٩٤٧م ؛ نُشِرَ فى بغداد ؛ وهو أول أعمالها التى تمَّ نشرها.
- شظايا الرَّماد : ١٩٤٩م.
- قرارة الموجة : ١٩٥٧م.
- شجرة القمر : ١٩٦٨م.
- ويُغيِّرُ ألوانه البحر : ١٩٧٠م.
- مأساة الحياة وأُغنية للإنسان : ١٩٧٧م.
- الصلاة والثَّورة : ١٩٧٨م.

ـ مُؤلَّفاتها :

ونازك الملائكة إلى جانب كونها شاعرة رائدة ؛ فإنها ناقدة مُتميِّزة ؛ وقد صدر لها

- قضايا الشِّعر الحديث : عام ١٩٦٢م.
- التجزيئيَّة فى المُجتمع العربىِّ : عام ١٩٧٤ م ؛ وهى دراسة فى علم الاجتماع.
- سايكولوجيَّة الشِّعر : عام ١٩٩٢م.
- الصومعة والشُّرفة الحمراء.

- كما صدر لها فى القاهرة مجموعة قصصيَّة عُنوانها ((الشَّمس التى وراء القِمَّة)) عام ١٩٩٧م.

وللشاعر العراقىِّ فالح الحجية دراسةٌ مُستفيضةٌ عنها فى كتابه ((موجز الشِّعر العربىِّ)) .

ثُمَّ ... :

كَتَبَ بيتر كلارك مَقَالاً جَيِّدَاً عَن نَازِك المَلائِكَة ؛ بجَرِيدَة الجارديان البريطانيَّة : أغسطس **2007** م ؛ ترجمة : إبراهيم جعفر ـ ؛ فَقَال :

ـ ﴿إن نازك الملائكة ؛ التى تُوفِّيت عن عُمرٍ بلغ الثمانين ؛ كانت واحدةً من أعظم الشُّعراء العرب تأثيراً ونُفُوذاً خلال القرن العشرين ؛ قد عكست حياة وأعمال نازك الملائكة تاريخ موطنها ودارها ـ العراق ـ ؛ وما قد حَفَّ ذاك التاريخ ؛ وذاتَها كشاعرة ؛ من مثاليَّاتٍ : رجاءٍ ؛ خيبةٍ ؛ منفىً ؛ وكآبة وكآخرين من جيلها تأثَّرت نازك الملائكة بالشعر الإنجليزىِّ ؛ فارتادت خَلَلَ

ذلك التأثُّر حركة الانفكاك من الأشكال التقليديَّة الرسميَّة ((المدرسيَّة)) لكتابة الشِّعرِ والتى سادت على الشعر العربىِّ لما قد ربا على ألفِ عام. وُلِدَت نازك الملائكة فى عائلةٍ بغداديَّةٍ ليبراليَّةٍ ؛ وكان أبوها مُعلِّماً للنَّحو العربىِّ ؛ فيما أُمُّها كانت شاعرة نسويَّة باكرة البُرُوزعند العاشرة من عُمرها عرضت نازك على أبيها قصيدةً كانت قد كتبتها ؛ لكنه أزاحها عنه جانباً **!!** ؛ كان

هُنالك خطأٌ نحوىٌّ واضحٌ فى القصيدة ؛ فأخبرها والدها أنه كان عليها أن تملك زمام النحو العربىِّ أولاً قبل كتابتها لأىِّ شعرٍ ؛ ذلكم ما فعلته ؛ إذ هى ذهبت إلى كُليَّةٍ بغداديَّةٍ لتدريب المُعلِّمين لكى تحوزَ على درجةٍ علميَّةٍ فى اللغةِ العربيَّةِ ؛ فيما كانت فى ذات الوقت تدرس اللغة الإنجليزيَّة فى ((المجلس البريطانىّ)).

. طوَّرت نازك الملائكة آنذاك اهتماماً لديها بالدِّراما والمُوسيقى العربيَّة المُعاصرة.

صدرت مجموعة نازك الملائكة الشعريَّة الأُولى ((عُشَّاق الليل)) فى عام ١٩٤٧م ؛ عبَّرت نازك فى تلك المجموعة عن مثاليَّةٍ فى الرُّوح مشوبةً بتشاؤمٍ وخوفٍ من الخيبةِ وزوال الوهم ؛ كانت ثيمتا الطبيعة و ((الليل)) نافذتين فى شعر المجموعة إيَّاها ؛ ثم أصدرت نازك مجموعة شعريَّة ثانية فى عام ١٩٤٩ م كان اسمها ((شررٌ ورماد)) ؛ وكانت أكثر ثوريَّةً من مجموعتها الأُولى ؛ فى مُقدِّمتها لتلك المجموعة حاجَّت نازك الملائكة بأنَّ الأشكالَ التقليديَّة للشعر العربىِّ قد أعاقت الشعر العربىَّ عن إنجاز قممٍ فى الإبداع بَلَغتها آدابُ أُممٍ أُخرى فى العالم تعاملت نازك فى قصائدها مع تلك المضامين التى هزَّت مُعاصريها : القوميَّة ؛ المسائل الاجتماعيَّة والنَّسويّة ؛ اغتيال النساء اتّقاءَاً للعار أو صوناً للشَّرف ؛ ثمّ قيمة الاغتراب.

واصلت نازك الملائكة فى سنين تالية تعليمها فى الولايات المُتحدة الامريكيَّة ؛ وقد توسَّطَ فى حياتها عامٌ اشتغلت فيه بالتدريس فى العراق فيما بين عامٍ قضته فى دراسة النقد الأدبىِّ فى جامعة برنستون ؛ وما بين عامين آخرين امتدَّا فيما بين عامى ١٩٥٤ و١٩٥٦ م حضَّرت خلالهما شهادة الماجستير فى

الأدب المُقارن فى جامعة وِسكونسون ـ ماديسون. وحينما صدر ديوانها الشِّعرىُّ الثالث المُسمَّى ((أعماق الموجة)) فى عام ١٩٥٧م ؛ كان مُمازجاً للأشكال التقليديَّة للكتابة بالأشكال الأجدّ ـ آنذاكَ ـ لكتابة الشِّعر الحُر.

.

انفكَّت تشاؤميَّة نازك الملائكة عنها ـ إلى حينٍ ـ عند قيام ثورة يوليو ١٩٥٨ م بالعراق ؛ حيثُ أُبدِلَ النِّظامُ الملكىُّ الهاشمىُّ بنظامٍ جُمهورىٍّ ؛ لكنَّ خيبةَ أملٍ فى النِّظام الوحشىِّ للحُكم الذى تلا ذلك التغيير سُرعان ما وافتها ؛ فهاجرت إلى بيروت فى عام ١٩٥٩م.

ج عادت نازك الملائكة إلى العراق فى عام ١٩٦٤م برُفقة زوجها الدُّكتُور عبد الهادى محبوبة. .

ترأَّسَ الدُّكتور عبد الهادى من بعد ذلك الجامعة الجديدة التى أُقيمت فى البصرة ؛ حيث عُيِّنت نازك ـ آنذاك ـ بروفسورة للغة العربيَّة ؛ لكنَّها فى عام ١٩٧٠م غادرت مرَّةً أُخرى العراق إلى المنفى ؛ حيث تعيَّنت أُستاذة فى جامعة الكويت التى غدت قاعدة لها ولمناشطها لما قارب العشرينَ عاماً. نشرت نازك الملائكة آخر ثلاث مجموعات شعريَّةٍ لها خلال سبعينات القرن الماضى ؛ واتَّسم شعرها الأحدث بمزيدٍ من التَّجريب ؛ حيثُ بُدِّلَتْ ـ حينذاكَ ـ رومانسيَّتها ((أو رومانطيقيَّتها)) ـ المُتأثِّرة أساساً بأعمال الشاعر الإنجليزىِّ كيتس ـ إلى همٍّ مُتجهِّمٍ، عابسٍ بشؤونِ القوميَّةِ والدِّين. .

فى عام ١٩٩٠ م تقاعدت نازك الملائكة عن التدريس ؛ وعاشت فى مدينة

القاهرة المِصريَّة حياةً مُعتزلةً ومُتَخَلِّلَةً بالمرض ؛ ثمّ تُوفِّى عنها زوجها فى عام ٢٠٠٥م.

خلَّفت نازك الملائكة ـ من بعد رحيلها عنَّا ـ وراءها ابناً واحداً.

ج

[وُلِدَت فى 23 أغسطس ١٩٢٣ م ؛ وتُوفِّيَت فى ٢٠ يونيو ٢٠٠٧م] .﴾ .

.....

ـ مِن قَصَائِدِ نَازِكِ المَلائِكَة :

*- قَصِيدَة ﴿أَنَا﴾

الليلُ يسألُ من أنا ؟!!

أنا سرُّهُ القَلِقُ العميقُ الأسودُ !!

أنا صمتُهُ المتمرِّدُ !!

قنَّعتُ كُنْهِى بالسُّكونْ

ولفقتُ قلبى بالظُّنُونْ

وبقيتُ ساهمةً هُنا

أرنو وتسألنى القُرُونْ

أنا من أكون ؟!!

والرِّيحُ تسأل من أنا ؟!!

أنا روحُها الحيران أنكرنى الزَّمانْ !!

أنا مثلها فى لا مكانْ !!

نبقى نسيرُ ولا انتهاءْ

نبقى نمرُّ ولا بقاءْ

فإذا بلغنا المُنْحَنى

خلناهُ خاتمةَ الشَّقاءْ

فإذا فضاءْ !!

والدهرُ يسألُ من أنا ؟!!

أنا مثلهُ جبَّارةٌ أطوى عُصُورْ

وأعودُ أمنحُها النُّشورْ

أنا أخلقُ الماضى البعيدْ

من فتنةِ الأمل الرَّغيدْ

وأعودُ أدفنُهُ أنا

لأصوغَ لى أمساً جديدْ

غَدُهُ جليد

والذَّاتُ تسألُ من أنا ؟!!

أنا مثلها حيرَى أُحدِّقُ فى ظلامْ

لا شىءَ يمنحُنى السَّلامْ

أَبقى أُسائلُ والجوابْ

سيظَلُّ يحجُبُه سرابْ !!

وأظلُّ أحسبُهُ دنا

فإذا وصلتُ إليه ذابْ !!

وخبا وغابْ !!

.....

٢-بَدْر شَاكِر السَّيَّاب

وُلِدَ الشَّاعر بدر شاكر السَّيَّاب فى ١٩٢٥/١٢/٢٥م فى قرية جيكور؛ والتى أُغْرِمَ بها وهام أحدهما الآخر؛ وهى من قُرى قضاء (أبى الخصيب) فى مُحافظة البصرة.

ووالده هو شاكر بن عبدالجبَّار بن مرزوق السياب ؛ وُلِدَ فى قرية (بكيع) ؛ وأكمل دراسته فى المدرسة الرَّشيديَّة فى أبى الخصيب وفى البصرة أثناء العهد العُثمانىِّ ؛ وقد زاول التجارة والأعمال الحُرَّة ؛ وخسر فى الجميع ؛ ثم توظَّف فى دائرة تموين أبى الخصيب ؛ وتوفى فى سنة **1963**م ؛ وأولاده :

عبدالله ؛ وبدر ؛ ومصطفى.

وأمَّا والدته فهى كريمة بنت سيَّاب بن مرزوق السياب ؛ تُوفِّيت قبله بمُدَّةٍ طويلةٍ ؛ وتركت معه أخوان أصغر منه ؛ فتزوج أبوه امرأةً أُخرى.

وقريته : هى قرية جيكور ؛ قريةٌ صغيرةٌ لا يزيد عدد سكانها آنذاك على (٥٠٠) نسمة ؛ اسمها مأخوذٌ فى الأصل من الفارسيَّة من لفظة (جوى كور) أى (الجدول الأعلى) ؛ وتحُدِّثُنا كُتُبُ التَّاريخ على أنها كانت موقعاً من مواقع الزَّنج الحصينة ؛ دُورها بسيطةٌ ؛ وبها أشجار النخيل المتواجدة بكثرةٍ فى بساتين جيكور والتى يملك (آل السَّيَّاب) فيها أراض مزرُوعة بالنخيل تنتشر فيها أنهارٌ صغيرةٌ تأخذ مياهها من شطِّ العرب ؛ وحين يرتفع المدُّ تُملأُ الجداول بمائه.

وكانت جيكور وارفة الظلال ؛ تنتشر فيها الفاكهة بأنواعها ؛ وكان جوُّها الشَّاعرىُّ الخلاَّب أحد مُمهدات طاقة السياب الشعريَّة وذكرياته المُبكِّرة فيه والتى ظلَّت حتى أُخريات حياته تمد شعره بالحياة والحيويَّة والتفجُّر.

هذه القرية تابعةٌ لقضاء أبى الخصيب الذى أسَّسهُ القائد مرزوق أبى الخصيب حاجب الخليفة المنصور عام ١٤٠ هـ ؛ والذى شهد وقائع تاريخيَّة هامة سجَّلها التاريخ العربىُّ ؛ أبرزها معركة الزَّنج وما تبعها من أحداث ؛ هذا القضاء الذى برز فيه شُعراء كثيرون منهم :

محمد محمود : من مشاهير المُجدِّدين فى عالم الشِّعر والنقد الحديث.

ومحمد على إسماعيل : صاحب الشعر الكثير فى المُحافظة .

وخليل إسماعيل : الذى ينظم المسرحيَّات الشعريَّة ويُخرجها بنفسه ويصور ديكورها بريشته .

ومصطفى كامل الياسين : شاعر .

ومؤيد العبد الواحد : الشاعر الوجدانىُّ الرقيق ؛ وهو من رُواة شعر السياب.

وسعدى يوسف : الشاعر العراقىُّ المعروف .

وعبد اللطيف الدليشى : الأديب البصرىُّ.

وعبد الستَّار عبد الرزَّاق الجمعة ؛ وآخرين.

- نهر بويب :

تنتشر فى أبى الخصيب أنهارٌ صغيرةٌ تأخذ مياهها من شطِّ العرب وتتفرَّع إلى أنهارٍ صغيرةٍ ؛ منها نهر بويب ؛ النهر الذى ذكره الشاعر كثيراً فى قصائده ؛ هذا النهر الذى كان فى الأصل وسيلة إرواء بساتين النَّخيل ؛ وهو يبعد عن شطِّ العرب أكثر من كيلومترٍ واحدٍ ؛ والذى لا ينبع منه ؛ بل يأخذ مياهه من نهرٍ آخر اسمه (بكيع) ؛ يتفرَّع إلى فرعين أحدهما نهر بويب ؛ أما الآن فهو مجرىً عادىٌّ صغيرٍ جفَّت مياهه وغطَّى النهر نباتات (الحلفاء) وبعض

الحشائش ؛ وفى السابق كان على جانبيه أشجار الخوخ والمشمش والعنب.

وكان بدر يُحبُّ أن يلعب فى ماء بويب ؛ ويحلو له أن يلتقط المحار منه ؛

ويجلس على نخلةٍ ينظر الماء المنساب.

وفى لقاءٍ مع (عبدالمجيد السياب) عم الشاعر ؛ قال :

((كُنتُ أعرف مكان السياب على النهر ـ نهر بويب ـ من الأوراق ؛ إذ كان عندما يكتب يُمزِّق كثيراً من الأوراق ويرميها فى النهر ؛ فأهتدى بها إليه.)) .

وعن سِرِّ اهتمام السياب بـ (بويب) ؛ قال السيد عبد المجيد :

((فى نهاية الأربعينيات قرأت قصيدة لبابلو نيرودا يتحدَّث عن نهرٍ لا أذكر اسمه ؛ وكان السياب قريبٌ منِّى ؛ فقرأ القصيدة ؛ وأعتقد أنه تأثَّر بها ؛ فكتب قصيدته (بويب).)).

ـ منزل الأقنان :

قال أحمد عبدالعزيز السياب :

((إن دار السياب قد قُسِّمت إلى قسمين : دار جدى ؛ ومنزل الأقنان الذى خلَّدهُ كثيراً فى شعره ؛ يبعد هذا المنزل عشرين متراً عن الدار الحقيقيَّة ؛ وهو بيت فلاحى جَدِّ بدر الذين استغلتهم عائلة السياب ؛ وهو بيتٌ واسعٌ قديمٌ مهجورٌ كان يُدعى (كوت المراجيح) ؛ وكان هذا البيت فى العهد العُثمانىِّ مأوى عبيد أُسرة السيَّاب ؛ وكان الشاعر بدر قد جعل من منزل الأقنان فى أيَّام طُفولته مقر الجريدة ؛ كان يخُطُّها ويُصدرها الشاعر باسم (جيكور) ؛ يتناقلها صبيان القرية ؛ ثم تعود فى ختام قراءتها من قِبَلِ أصدقاء بدر

ليُلصقها الشاعر على حائط منزل الأقنان.)).

ـ بعض من ارتبط بهنَّ وأحبهُن :

ـ كانت الرَّاعية (هويله) هى أوَّل امرأةٍ خفق لها قلبه وأحبَّها ؛ حيث كانت أكبر منه سِنَّاً ؛ ترعى أغنام لها ؛ يُقابلها خارج قريته.

وفجأةً تحوَّل إلى حُبٍّ فتاةٍ جميلةٍ عمرها آنذاك ١٥ سنة ؛ كانت تأتى إلى قريته والسيَّاب فى عُنفُوان شبابه ؛ وهو الباحث عن الحنين ؛ فالتجأ يتشبث بحُبِّ (وفيقه) ؛ والتى كانت تسكن على مَقْرُبةٍ من بيت الشاعر ؛ وكان البيت فيه شبَّاكاً مصبوغاً باللون الأزرق يعلو عن الأرض متراً ؛ إِنَّهُ شبَّاك وفيقة التى لم يسعده حظُّهُ فى الزَّواج منها ؛ فى شبَّاكها قال شعراً جميلاً ؛ ولم يُعرف إلى الآن : هل وفيقة كانت تُبادله الحُبَّ أم لا ؟.

ولم يكن فى جيكور مدرسة فى ذلك الوقت ؛ لذا كان على السياب أن يسير مشياً إلي قرية (آل إبراهيم) الواقعة بالقُرب من جيكور بعد أن أنهى الصَّفَّ الرَّابع بنجاحٍ وانتقل إلى مدرسة المحموديَّة والتى كانت إدارة المدرسة مُطلَّة على الشارع ـ شناشيل ملونة ـ ؛ وكان بيت الجلبى يقع خلف المدرسة ؛ كان الشاعر يجول فى هذه الطُّرقات المُؤدِّية إليه ؛ سِيَّما وأن له زُملاء وهو بعيد عن جيكور ؛ وكانت (ابنة الجلبى) فتاة جميلة ؛ كان يراها السياب وهو مارٌّ بزُقاقٍ يُؤدِّى لمسكنها ؛ إِلاَّ أَنَّهُ كانَ يتغزَّل بها ويُحبُّها من طرفٍ واحدٍ فقط.

وفى دار المُعلِّمين العالية فى بغداد ؛ وقع فى حُبٍّ جديدٍ ؛ فتاةٌ بغداديَّةٌ أخذت حظَّها من العلم والمعرفة ؛ ولها فوق ثقافتها جمالٌ يأخذ بالألباب ؛ وهى التى يصفها بأن لها فى وجهها غمَّازة ؛ تلبس العباءة ؛ وكانت عندما تمر به تضع العباءة على وجهها كى لا يراها ؛ وكانت (نازك الملائكة) صديقة (لُبَاب) التى أحبَّها الشاعر من جانبٍ واحدٍ ؛ وكانت ذكيَّة وجميلة جِدًّا ؛ وكان أهلها يوصونها أن تعبس عندما تسير لكى لا يطمع الآخرون بِمُلاحقتها ؛ وقد أعرضت عن كُلِّ الذين خطبوها.

وأحبَّ زميلةً له حُبًّاً من طرفٍ واحدٍ أيضاً ؛ وكان حُبًّاً إفلاطونيًّاً ارتفع فيهِ حُبُّ الخيال حتى جاوز الحد ؛ وتضاءلت فيه رغبة الجسم ؛ فما كان منها إلاَّ أن تتزوَّج رَجُلاً ثريًّاً وتترك السياب بآلامه.

وتعرَّف على الشاعرة (لميعة عبَّاس عمارة) فى دار المعلمين العالية ؛ وكانت علاقة.

كانت بادئ ذى بدءٍ ذات طابعٍ سياسىٍّ ؛ ولكن ـ كعادته ـ وقع فى حُبِّها لأنها كانت من أخلص صديقاته ؛ وقال فيها قصائد كثيرة ؛ ودعاها السياب لزيارته فى جيكور ؛ وبقيت فى ضيافته ثلاثة أيَّام ؛ كانا يخرُجان سويَّةً إلى بساتين قريته ؛ ويقرأ لها من شعره وهُما فى زورقٍ صغيرٍ.

ويتعرَّف الشاعر على صديقة بلجيكيَّة ؛ اسمها (لوك لوران) ؛ وقد وعدته أن تزور قريته جيكور ؛ فكتب قصيدة تُعتبر من أروع قصائده الغزليَّة.

وشاء حظُّهُ أن يلتقى بمُومسٍ عمياء اسمها (سليمه) !! ؛ فاكتشف من خلالها عالم الليل والبغَاء ؛ واكتشف أسراراً غريبةً ؛ وأعطانا صورةً صادقةً لما كانت تُعانيه هذه الطبقة من الناس ؛ فكانت قصيدته الرَّائعة (المومس العمياء) ؛ والتى صوَّر فيها الواقع الاجتماعىَّ آنذاك ؛ وواقع المرأة بصورةٍ خاصة.

ـ زواجه :

ويتزوَّج السياب إحدى قريباته ؛ وأحبَّ زوجته ؛ فكان لها الزوج المثالىَّ الوفىَّ ؛ وكانت هى كذلك ؛ فقد أنجبت منه : غيداء ؛ وغيلان ؛ وآلاء.

ولَّما أصابه المرض كانت مثال المرأة الحنونة ؛ المُحتملة كُلَّ متاعب وآلام

الحياة ؛ حيث كانت الأيَّام معه أيَّاماً قاسية.

تقول عنها زوجته السيدة إقبال :

((عنـدما تغـدو قسـوة الأيَّـام ذكريات ؛ تُصـبح جُـزءاً لا يتجـزأ مـن شُـعُور الإنسان ؛ تترسَّب فى أعماقه طبقة صلبة يكاد يشعر بثقلها ؛ إذ ما تـزال تشُدُّنى ذكرياتى معه كُلَّما قرأتُ مأساةً وسمعتُ بفاجعة.)).

تقول عن كيفيَّة زواجها منه :

((لم أتعرَّف عليه بمعنى الكلمة (التعارف والحُب واللقاء) ؛ إنما كانت بيننا علاقة مُصاهرة ؛ حيث أن أُختى الكُبرى كانت زوجة لعـم الشـاعر (السيد عبدالقادر السياب) فى أوائل الثلاثينات ؛ وكان أخى قد تزوَّج من أُسرة السياب ؛ وبعد نيل المُوافقة الرسميَّة تم عقد الزواج فى ١٩ حُزيران (يونيو)

١٩٥٥ م فى البصرة ؛ ثم انتقلنا إلى بغداد.)) .

كانت السنوات الثلاث الأخيرة من حياته فترةً رهيبةً عرف فيها صراع الحياة مع الموت !!.

لقد زجَّ بجسمه النَّحيل وعظامه الرِّقاق إلى حلبة هذا الصراع الذى جمع معانى الدُّنيا فى سريرٍ ضيِّقٍ !! ؛ حيث راح الوهن وهو يتفجَّرعزيمة ورُؤى وحُبَّاً ؛ يُقارع الجسم المُتهافت المُتداعى ؛ وجه الموت يحُملق به كُلَّ يومٍ ؛ فيصُدُّه الشاعر عنه بسيفٍ من الكلمة ؛ بالكلمة عاش بدر صراعه ؛ كما يجب أن يعيش الشاعر ؛ ولعل ذلك لبدر كان الرَّمز الأخير والأمض للصراع بين الحياة والموت الذى عاشه طُوال عُمُره القصير على مُستوى شخصه ومُستوى دُنياه معاً ؛ فهو

قبل ذلك إذ كان جسده الضامر مُنتصباً ؛ خفيفاً مُنطلقاً يكاد لا يُلقى على الأرض ظلاً لشدَّة شفافيته.

للسيَّاب آثارٌ مطبوعة ؛ هى :

ـ أزهارٌ ذابلة : شعر.

ـ أساطير : شعر.

ـ المومس العمياء : ملحمة شعريَّة.

ـ حفَّار القُبُور : قصيدةٌ طويلةٌ.

ـ الأسلحة والأطفال : قصيدةٌ طويلةٌ.

ـ مُختاراتٌ من الشِّعر العالميِّ الحديث : قصائد مُترجمة.

ـ أُنشودة المطر : شعر.

ـ المعبد الغريق : شعر.

ـ منزل الأقنان : شعر.

ـ شناشيل ابنة الجلبى : شعر.

ـ ديوان من جُزئين : إصدار دار العودة.

أما آثاره المخطوطة ؛ فهى :

ـ زئير العاصفة : شعر.

ـ قلب آسيا : ملحمةٌ شعريَّةٌ.

ـ القيامة الصُّغرى : ملحمة شعريَّة.

ـ من شعر ناظم حكمت.

مقـالات وبحُـوث مُترجمـة عـن الإنكليزيـَّة ؛ منها السياسيَّة والأدبيَّة ؛ ومقالات ورُدُود نشرها فى مجلة الآداب.

.....

ـ مِن قَصَائِدِ بَـدْر شَاكِر السَّيَّاب :

*ـ قَصِيدَة ﴿المُومِسُ العَمْيَاء﴾

الليل يُطبقُ مرَّةً أُخرى ؛ فتشربه المدينه

والعابرون إلى القرارة !!... ؛ مثل أُغنيةٍ حزينه

وتفتحت كأزاهر الدفلى مصابيح الطريق

كعيون ((ميدوزا)) تحجَّرَ كُلُّ قلبٍ كالضغينه

وكأنها نُذُرٌ تُبشِّر أهل((بابل)) بالحريق

من أىِّ غابٍ جاء هذا الليلُ؟!!... ؛ من أىِّ الكُهُوف؟!!

من أىِّ وجرٍ للذِّئاب؟!!

من أىِّ عُشٍّ فى المقابر دفَّ أسفع كالغُراب؟!!

((قابيل)) أخف دم الجريمة بالأزاهر والشُّفُوف

وبما تشاء من العُطُور أو ابتسامات النِّساء

ومن المتاجر والمقاهى وهى تنبض بالضياء

عمياء كالخُفَّاش فى وضح النَّهارِ هى المدينه

والليل زاد لها عماها

والعابرون

الأضلع المُتقوِّسات على المخاوف والظُّنُون
والأعين التعبى تُفتِّش عن خيالٍ فى سواها
وتعد آنية تلألأ فى حوانيت الخُـمُور
موتى تخاف من النُّشُـور
قالوا سنهرب ؛ ثم لاذوا بالقبور !!... ؛ من القبور !!
أحفاد ((أوديب)) الضرير ووارثوه المبصرون
((جوكست)) أرملة كأمس ؛ وباب ((طيبة)) ما يزال
يُلقى ((أبو الهول)) الرَّهيب عليهِ من رُعْبٍ ظلال
والموت يلهث فى سُؤال
باقٍ كما كان السؤال ؛ ومات معناه القديم
من طُولِ ما اهترأ الجواب على الشِّفاه
وما الجواب؟!!
((أنا)) قال بعض العابرين
وانسلَّت الأضواء من باب تثاءب كالجحيم
يبحثن فى النيران عن قطرات ماء... ؛ عن رشاش
لا تنقُلنَّ خُطاك فالمبغى ((علائىُّ)) الأديم
أبناؤك الصرعى تُرابٌ تحت نعلك مُستباح
يتضاحكون ويعولون
أو يهمسون بما جناه أبٌ يُبرِّؤه الصباح

مما جناه ؛ ويتبعون صدى خُطاك إلى السُّكون
الحارس المكدود يعبر مُتعبات
النون فى أحداقهنَّ يرفُّ كالطير السجين
وعلى الشِّفاه أو الجبين
تترنح البسمات والأصباغ ثكلى باكيات
مُتعثِّراتٌ بالعيون وبالخُطى والقهقهات
أوصال جندىٍّ قتيلٍ كلَّلُوها بالزُّهور
وكأنها درج إلى الشهوات ؛ تزحمه الثغور
حتى تهدَّم أو يكاد ؛ سوى بقايا من صخور
جيفٌ تُستَّر بالطلاء ؛ يكاد ينكر من رآها
أن الطفولة فجَّرتها ذات يوم بالضياء
كالجدول الثرثار ؛ أو أن الصباح رأى خُطاها
فى غير هذا الغار تضحك للنسائم والسماء
ويكاد يُنكر أن شِقَّاً لاح من خَلَلِ الطلاء
قد كان ـ حتى قبل أعوامٍ من الدم والخطيئه ـ
ثغراً يُكركر ؛ أو يُثرثر بالأقاصيص البريئه
لأبٍ يعود بما استطاع من الهدايا فى المساء
لأبٍ يُقبِّلُ وجه طفلته الندىِّ أو الجبين
أو ساعدين كفرختين من الحمائم فى النقاء

ما كان يعلم أن ألف فمٍ كبئرٍ دون ماء
ستمصُّ من ذاك المُحيَّا كُلَّ ماءٍ للحياء !!
حتى يجف على العظام ؛ وأن عاراً كالوباء
يَصِمُ الجباه فليس تغسل منه إلا بالدماء
سيحل من ذاك الجبين به ويلحق بالبنين
والساعدين الأبيضين ؛ كما تنور فى السُّهول
تُفاحةٌ عذراءُ ؛ سوف يُطوقان مع السنين
كالحيتين ؛ خصور آلاف الرِّجال المُتعبين
الخارجين خروج آدمَ من نعيمٍ فى الحُقُول
تفاحة الدم والرَّغيفِ وجرعتان من الكحول
والحيَّةُ الرَّقطاءُ ظلٌّ من سِياطِ الظالمين
أُتريد من هذا الحُطام الآدميِّ المُستباح
دفء الرَّبيع وفرحة الحمل الغرير مع الصباح
ودواء ما تلقاه من سأمٍ وَذُلٍّ واكتداح
المال شيطان المدينه
إِبَرٌ تسُلُّ بها خيوط من وشائع فى الحنايا
وتظل تنسج بينهنَّ وبين حشد العابرين
شيئاً كبيت العنكبوت يخضه الحقد الدفين
حقدٌ سيعصف بالرِّجال

والأُخريات ؛ النائمات هُناك فى كَنَفِ الرِّجال
والسَّاهرات على المُهُود وفى بيوت الأقربين
حول الصلاء بلا اطراحٍ للثياب ولا اغتسال
فى الزمهرير ؛ ودون عَدٍّ لليالى والسنين
ويمر عملاقٌ يبيع الطير ؛ معطفه الطويل
حيران تصطفق الرياح بجانبيه ؛ وقبضتاه
تتراوحان : فللرداء يدٌ ؛ وللعبء الثقيل
يد ؛ وأعناق الطيور مُرنحَّاتٌ من خُطاه
تدمى كأثداء العجائز يوم قطَّعها الغُزاه
خطواته العجلى ؛ وصرخته الطويلة ((يا طيور
هذى الطيور ؛ فمن يقول تعال؟))
أفزعها صداه
وتحسَّستهُ كأنَّ باصرةً تهُمُّ ولا تدور
فى الرَّاحتين وفى الأنامل وهى تعثر بالطيور ؛
وتوسَّلته : ((فدى لعينك ؛ خلنى بيدى أراها))
ويكاد يهتك ما يُغلِّف ناظريها من عماها
قلبٌ تحرَّق فى المحاجر واشرأب يُريد نُور
وتمسُّ أجنحةً مُرقطةً فتنشرها يداها ؛
وتظل تذكر ـ وهى تمسحهُنَّ ـ أجنحةً سواها

كانت تراها وهى تخفق... ؛ ملء عينيها تراها
سِرْبٌ من البطِّ المُهاجر ؛ يستحثُّ إلى الجنوب
أعناقه الجذلى... ؛ تكاد تزيد من صمت الغروب
صيحاته المُتقطعاتُ ؛ وتضمحل على السُّهوب
بين الضباب ؛ ويهمس البرِّيد بالرجع الكئيب
ويرُجُّ وشوشة السُّكون
طلق... ؛ فيصمت كل شىء... ؛ ثم يلغط فى جُنُون
هى بطَّةٌ فلمَ انتفضتِ؟!! وما عساها أن تكون؟!!
ولعل صائدها أبوكِ ؛ فإن يكن فستشبعون
وتخُفُّ راكضةً حِيالَ النَّهرِ كى تلقى أباها
هو خلف ذاك التل يحصدُ... ؛ سوف يغضب إن رآها!!
مَرَّ النهار ولم تُعنه... ؛ وليس من عونٍ سواها
وتظلُّ ترقى التلَّ وهى تكاد تكفُرُ من أساها
يا ذكريات علام جئت على العمى وعلى السُّهاد؟!!
لا تُهليها فالعذاب بأن تُمرِّى فى اتئاد
قُصِّى عليها كيف ماتَ وقد تضرَّج بالدماء
هو والسنابل والمساء
وعيون فلاحين ترتجف المذلَّة فى كواها
والغمغمات : ((رآه يسرق)) ...)) واختلاجات الشِّفاهِ

يخُزين ميِّتها ؛ فتصرخُ يا إلهى !! يا إلهى !!
لو أن غير ((الشيخ)) ؛ وانكفأت تشُدُّ على القتيل
شفتين تنتقمان منه أسىً وحُبَّاً والتياعا
وكأنَّ وسوسة السنابل والجداول والنخيل
أصداء موتى يهمسون رآه يسرق فى الحُقُول
حيث البيادر تفصد الموتى فتزداد اتساعا
وتحسُّ بالدم وهو ينزف من مكانٍ فى عماها
كالماء من خشب السفينة ؛ والصديد من القُبُور ؛
وبأدمُعٍ من مُقلتيها كالنِّمال على الصُّخور
أو مثل حبَّات الرِّمالِ مُبعثرات فى عماها
يهوين منه إلى قرارة قلبها آهاً فآها
ومن المَلُومُ وتلك أقدارٌ كُتبنَ على الجبين؟!!
حتمٌ عليها أن تعيش بعرضها ؛ وعلى سواها
من هؤلاء البائسات وشاء رَبُّ العالمين
ألا يكون سوى أبيها - بين آلاف - أباها
وقضى عليه بأن يجوع
والقمح ينضج فى الحُقُول من الصباح إلى المساء
وبأن يلصَّ فيقتلوهُ... ((وتشرأب إلى السماء
كالمُستغيثة وهى تبكى فى الظلام بلا دُمُوع))

والله ـ عَزَّ الله ـ شاء
أن تقذف المُدُنُ البعيدةُ والبحار إلى العراق
آلاف آلاف الجنود ليستبيحوا ؛ فى زُقاق
دون الأزقة أجمعين
ذاك اسم جارتها الجديد ؛ فليتها كانت تراها
هل تستحق اسماً كهذا : ياسمين وياسمين؟!!
يا ليت حمَّالاً تزوَّجها يعود مع المساء
لكن بائسةً سواها حدَّثتها مُنْذُ حين
عن بيتها وعن ابنتيها ؛ وهى تشهق بالبُكاء
كالغيمة السُّوداء تنذر بالمجاعة والرَّزايا ؛
أزراره المتألقات على مغالق كُلِّ باب
مُقَلُ الذِّئاب الجائعات ترود غاباً بعد غاب
وخُطاه مُطرقةٌ تُسمَّرُ ؛ فى الظلام ؛ على البغايا
أبوابهُنَّ ؛ إلى الصباح ؛ فلا تجاهر بالخطايا
ويظلُّ يخفرهُنَّ من شبعٍ وينثر فى الرِّياح
أُغنيَّةً تصف السنابل والأزاهر والصبايا
وتظل تنتظر الصباح وساعديه مع الصباح
تُصغى ؛ وتحتضن ابنتيها فى الظلامِ ؛ إلى النُّباح
وإلى الرِّياح تئنُّ كالموتى وتُعْوِلُ كالسَّبايا

وتجمع الأشباح من حُفر الخرائب والكُهُوف
ومن المقابر والصحارى بالمئاتِ ؛ وبالأُلوف
فتقُفُّ من فزعٍ وتحجُب مُقلتيها بالغطاء ؛
ويعود والغبش الحزين يرشُّ بالطل المضاء
سعف النخيل... ؛ يعود من سهرٍ يئنُّ ومن عَياء
كالغيمة اعتصرت قُواها فى القفار ؛ وترتجيها
عبر التلال قُوىً تجوع ؛ لكى ينام إلى المساء :
عيشٌ أشقُّ من المنيَّة ؛ وانتصارٌ كالفناء
وطَوىً يَعُبُّ من الدِّماءِ وسُمُّ أفعى فى الدِّماء
وعُيُونُ زانٍ يشتهيها ؛ كالجحيم يشعُّ فيها
سُخْرٌ وشوقٌ واحتقار ؛ لاحقتها كالوباء
والمالُ يهمس أشتريك وأشتريك فيشتريها
يا ليتها إذن انتهى أجلٌ بها فطوى أساها!!
لو أستطيع قتلت نفسى!! ... ؛ همسةٌ خنقت صداها!!
أُخرى توسوس : والجحيم ؟!! أتصبرين على لظاها؟!!
وإذا اكفهر وضاق لَحَدُكَ ؛ ثم ضاق ؛ إلى القرار
حتى تفجَّر من أصابعك الحليب رشاش نار
وتساءل الملكان فيم قتلت نفسك يا أثيمه؟!!
وتخطَّفاك إلى السعير تُكفِّرين عن الجريمه !!

أفتصرُخين أبى فينفض راحتيه من الغُبار

ويخُفُّ نحوك وهو يهتف قد أتيتك يا سليمه؟!!

حتى اسمها فقدته واستترت بآخر مُستعار!!

هى مُنْذُ أن عميت ((صباح))

فأىُّ سُخريةٍ مريره !!

أين الصباح من الظلام تعيش فيه بلا نهار

وبلا كواكب أو شُمُوعٍ أو كُوى وبدون نار ؟!!

أوبعد ذلك ترهبين لقاء ربِّك أو سعيره ؟!!

القبر أهون من دُجاك دُجىً وأرفق يا ضريره !!

يا مُستباحة كالفريسة فى عَرَاءٍ يا أسيره !!

تتلفتين إلى الدُّروب ولا سبيل إلى الفرار !!

وتحسُّ بالأسف الكظيم لنفسها : لِمْ تُستباح ؟!!

الهرُّ نام على الأريكة قُربها... ؛ لِمْ تُستباح ؟!!

شبعان أغفى ؛ وهى جائعة تلمُّ من الرِّياح

أصداء قهقهة السَّكارى فى الأزقَّةِ ؛ والنُّباح

وتعد وقع خُطىً هُنا وهُناك : ها هو

هو ذا يجىء ؛ وتشرئبُّ ؛ وكاد يلمس... ؛ ثم راح!!

وتدقُّ فى أحد المنازل ساعةٌ ... ؛ لِمْ تُستباح ؟!!

الوقت آذن بانتهاءٍ والزَّبائن يرحلون

كالدرب تذرعه القوافل والكلاب إلى الصباح !!
الجوع ينخر فى حشاها ؛ والسَّكارى يرحلون ؛
مروا عليها فى المساء وفى العشيَّة ينسُجون
حُلماً لها هى والمنُون :
عصبات مهجتها سداه وكل عوقٍ فى العيون ؛
والآن عادوا ينقضون
خيطاً فخيطاً من قرارة قلبها ومن الجراح
ما ليس بالحُلم الذى نسجوا ومالا يُدركون
شيئاً هو الحُلم الذى نسجوا ومالا يعرفون ؛
هو منه أكثر : كالخفيف من الخمائل والرِّياح
والشعر من وزنٍ وقافيةٍ ومعنى ؛ والصباح
من شمسه الوضاء ... ؛ وانصرفواسكارى يضحكون !!
ستعيش للثأر الرَّهيب
والداء فى دمها وفى فمها ؛ ستنفث من رداها
فى كُلِّ عرقٍ من عُرُوق رجالها شبحاً من الدم واللـهيب
شبحاً تخطف مقلتيها أمس ؛ من رَجُلٍ أتاها
ستردُّهُ هى للرِّجالِ ... ؛ بأنهم قتلوا أباها
وتلقَّفوها يعبثون بها وما رحموا صباها !!
لم يبتغوها للزواج لأنها امرأةٌ فقيره !!

واستدرجوها بالوعود لأنها كانت غريره !!

وتهامس المتقولون فثار أبناء العشيره :

مُتعطِّشين ـ على المفارق والدُّروب ـ إلى دماها !!

وكأنَّ موجة حقدها ورؤى أساها :

كانت تُقرِّب من بصيرة لُبِّها صُوراً علاها :

صدأ المدينة وهى ترقد فى القرارة من عماها :

كُلُّ الرِّجال ؟!! وأهل قريتها ؟!! أليسوا طيبين ؟!!

كانوا جياعاً ـ مثلها هى أو أبيها ـ بائسين ؛

هُم مثلها ـ وهم الرِّجال ـ ومثل آلاف البغايا

بالخُبز والأطمار يؤتجرونَ ؛ والجسد المهين

هو كل ما يتملكونَ ؛ هم الخُطاة بلا خطايا

ليس الذين تغصَّبُوها من سُلالة هؤلاء

كانوا مقطبة الجباه من الصخور

تمتصُّ من فزع الضحايا زهوها ومن الدماء

مُتطلِّعين إلى البرايا كالصواعق من علاء

وتحسُّ فى دمها كآبة كُلِّ أمطار الشتاء

من خفق أقدام السَّكارى ؛ كالأسير وراء سور

يُصغى إلى قرع الطبول ؛ يموت فى الشفق المضاء

هى والبغايا خلف سور ؛ والسكارى خلف سور ؛

دميت أصابعهُنَّ : تحفر والحجارة لا تلين
والسور يمضغهُنَّ ثم يقيئهُنَّ رُكام طين
وطلول مقبرةٍ تضم رُفات ((هابيل)) الجنين !!
سور كهذا حدَّثوها عنه فى قصص الطفولة :
((يأجوج)) يغرز فيه من حَنَقٍ أظافره الطويله
ويعض جندله الأصم ؛ وكف ((مأجوج)) الثقيله
تهوى كأعنف ما تكون على جلامده الضخام
والسور باقٍ لا يثل ... ؛ وسوف يبقى ألف عام
الطفل شاب وسورها هى ما يزال كما رآه
من قبل يأجوج البرايا توأم هو للسعير !!
لصُّ الحجارة من منازل فى السهول وفى الجبال
يتواثب الأطفال فى غُرفاتها ويُكركرون
والأُمَّهات يلدن والآباء للغد يبسمون
لم يبق من حجرٍ عليها فهى ريحٌ أو خيال
وأدار من خطم البلاد رحى ؛ وساط من البُطُون
ما ترتعيه رحاه من لحم الأجِنَّة والعظام ؛
وكشاطئين من النجوم على خليجٍ من ظلام
يتحرَّقان ولا لقاء ويخمدان سوى رُكام

شق الرجال عن النساء سلالتين من الأنام

تتلاقيان مع الظلام وتفصلان مع الشروق

لو يقطعون الليل بحثاً والنهار ؛ على سواها

فى حُسنها هى ؟!! فى غضارة ناهديها أو صباها

وبسعرها هى ؟!! أىّ شىءٍ غير هذا يبتغون ؟!!

عمياء أنت وحظك المنكود أعمى يا سليمه !!

وتلُوك أغنيةً قديمه

فى نفسها وصدى يوشوشُ : يا سليمة !! سليمه !!

نامت عيون الناس ؛ آه !! ... ؛ فمن لقلبى كى يُنيمه ؟!!

ويل الرجال الأغبياء !! ؛ وويلها هى من عماها !!

لِمْ أصبحوا يتجنَّبُون لقاءها ؟!!

عيونها ؛ فيُخلِّفوها وحدها إذ يعلمون

بأنها عمياء ؟!! فيم يُكابرون ومقلتاها

أدرى وتعرف أىَّ شىءٍ فى البغايا يشتهون

بنظرةٍ قمراء تغصبها من الرُّوح الكسيره

لترش أفئدة الرجال بها ؛ وكانوا يلهثون

فى وجهها المأجورِ أبخرةُ الخُمُورِ ؛ ويصرخون

كالرَّعد فى ليل الشتاء

ولعل غيرة ((ياسمين)) وحقدها سبب البلاء

فهى التى تضع الطلاء لها وتمسح بالذرور

وجهاً تطفأت النواظر فيه

كيف هو الطلاءُ ؟!!

وكيف أبدو ؟!!

وردةٌ ... ؛ قمرٌ ... ؛ ضياء !!

زُورٌ ... ؛ وكُلُّ الخلق زُور

والكونُ مَيْنٌ وافتراء !!

لو تبصر المرآةُ ـ لمحة مُقلتيها ـ ؛ لو تراها

لمح النيازك ؛ ثم تغرق من جديدٍ فى عماها !!

برقٌ ويُطفأ ... ؛ ثم تحكم فرقها بيدٍ ؛ وفاها

بيدٍ ؛ وترسم بالطلاء على الشِّفاه لها شفاها

شفتاك عاريةٌ وخدُّك ليس خدك يا سليمه !!

ماذا تخَلَّف منك فيك سوى الجراحات القديمه ؟!!

وتضم زهرة قلبها العطشى على ذكرى أليمه :

تلك المُعابثة اللعوبِ ... ؛ كأنها امرأة سواها !!

كالجدولين تخوض ماءهما الكواكب ـ مُقلتاها

والشعر يلهث بالرَّغائب والطراوة والعبير

وبمثل أضواء الطريق نعسن فى ليلٍ مطير

تقتات بالعسل النقىِّ وترتدى كسل الحرير

ليت النجوم تَخِرُّ كالفحم المُطفَّأ والسماء
رُكامُ قارٍ أو رمادٍ ... ؛ والعواصف والسُّيول
تَدُكُّ راسية الجبال ولا تُخلِّفُ فى المدينة من بناء !!
أن يعجز الإنسان عن أن يستجير من الشقاء
حتى بوهمٍ أو برؤيا ... ؛ أن يعيش بلا رجاء !!
أو ليس ذاك هو الجحيم ؟!! ... ؛ أليس عدلاً أن يزول ؟!!
شبع الذباب من القمامة فى المدينةِ ؛ والخيول
سُرِّحْنَ من عرباتهنَّ إلى الحظائر والحقول
والناس ناموا
هذا الذى عرضته كالسلع القديمةِ ... ؛ كالحذاء
أو كالجرار الباليات ؛ كأُسطوانات الغناء
هذا الذى يأبى عليها مُشترٍ أن يشتريه
قد كان عِرْضَاً ـ يوم كانَ ـ كَكُلِّ أعراض النساء
كان الفضاء يضيق عن سعةٍ ؛ وترتخص الدماء
إن رنَّق النظر الأثيم عليه ؛ كان هو الإباء
والعِزَّة القعساء والشرف الرفيع ؛ فشاهديه
يا أعين الظلماء ؛ وامتلئى بغيظك وارجميه
بشواظ عارك واحتقارك يا عيون الأغبياء !!
للموت جُوعاً ؛ بعد موتى ـ ميتة الأحياء ـ عارا

لا تقلقوا ... ؛ فعماى ليس مهابةً لى أو وقارا

مازلتُ أعرف كيف أرعش ضحكتى خَلَلَ الرِّداء

كالقمح لونك يا ابنة العربِ

كالفجر بين عرائش العنبِ

أو كالفُراتِ ؛ على ملامحه

دِعَة الثرى وضراوة الذهبِ

عربيَّةٌ أنا : أُمَّتى دمها

خير الدماء ... ؛ كما يقول أبى

تجرى دماء الفاتحين ... ؛ فلوِّثُوها ، يا رجال

أوَّاه من جنس الرجال !! ... ؛ فأمس عاث بها الجنود

الزاحفون من البحار كما يفور قطيع دود

يا ليت للموتى عُيُوناً من هباءٍ فى الهواء

ترى شقائى

إلا العفاة المفلسين

أنا زهرة المُستنقعاتِ ؛ أَعُبُّ من وحلٍ وطين

وأُشِعُّ لون ضحى

وذكراً بجعجعة السنين

سعالها ... ؛ ذهب الشباب !!

ذهب الشبابُ !! ... ؛ فشيِّعيه مع السنين الأربعين

ومع الرجال العابرين حِيالَ بابك هازئين !!
وأتى المشيبُ يَلُفُّ روحك بالكآبة والضباب
فاستقبليه على الرصيف بلا طعامٍ أو ثياب
يا ليتك المصباح يخفق ضوءه القلق الحزين
فى ليل مخدعك الطويلِ ؛ وليت أنك تحرقين
دماً يجف فتشترين
سواهُ : كالمصباح والزيت الذى تستأجرين
عشرون عاماً قد مضينَ ؛ وشبتِ أنتِ ؛ وما يزال
يذرذر الأضواء فى مُقل الرجال
لو كُنتِ تدخرين أجر سناه ذاك على السنين
أثريتِ
ها هو ذا يُضىءُ ... ؛ فأىّ شىءٍ تملكين ؟!!
وَيْحَ العراق !! أكان عدلاً فيه أنك تدفعين
سهاد مقتلك الضريره
ثمناً لملء يديك زيتاً من منابعه الغزيره ؟!!
كى يُثمر المصباح بالنور الذى لا تُبصرين ؟!!
عشرون عاماً قد مضينَ ؛ وأنت غرثى تأكلين
بنيك من سغبٍ ؛ وظمأٍ تشربين
حليب ثديك وهو ينزف من خياشيم الجنين !!

وكزارع له البذور

وراح يقتلع الجذور

من جوعه ؛ وأتى الربيع فما تفتحت الزُّهور

ولا تنفست السنابل فيه !!

ليس فيهِ سوى الصخور

سوى الرمالِ ؛ سوى الفَلاه

خنت الحياة بغير علمكِ ؛ فى اكتداحك للحياه !!

كم رد موتك عنك موت بنيكِ ... ؛ إنك تقطعين !!

حبل الحياة لتنقضيه وتضفرى حبلاً سواه !!

حبلاً به تتعلقين على الحياةِ : تُضاجعين

ولا تُمار سوى الدُّموعِ ؛ وتأكلين ؛

وتسهرين ولا عيونَ ؛ وتصرخين ولا شفاه !!

وغداً ؛ وأمس ... ؛ وألف أمس ... ؛ كأنما مسح الزَّمان

حدود ما لك فيه من ماضٍ وآت !!

ثم دَارَ ؛ فلا حُدُود !!

ما بين ليلك والنهار ؛ وليس ثَمَّ سوى الوجود

سوى الظلامِ ... ؛ ووطء أجساد الزبائنِ ... ؛ والنُّقود !!

ولا زمانَ ... ؛ سوى الأريكة والسرير ... ؛ ولا مكان !!

لم تسحبين ليالىَ السأمِ المُسهَّدة الرتيبه ؟!!

ما العمر ؟!!... ؛ ما الأيام عندك !!... ؛ ما الشهورُ ؛ وما

السنين ؟!!

ماتت ((رجاء)) فلا رجاءَ ثكلت زهرتك الحبيبه !!

بالأمس كنت إذا حسبت فعمرها هى تحسبين

كانت عزاءك فى المُصيبه

وربيع قفرتك الجديبه

كانت نقاءك فى الفجورِ ... ؛ ونسمة لك فى الهجير

وخلاصك الموعودُ ؛ والغبشُ الإلهىُّ الكبير !!

ما كان حُكمه أن تجىء إلى الوجود وأن تموت ؟!!

ألتشرب اللبن المُرنَّق بالخطيئة واللعاب :

أو شال ما تركته فى ثدييك أشداق الذئاب ؟!!

مات الضجيج وأنتِ ـ بعدُ ـ على انتظاركِ

تتنصتينَ ؛ فتسمعين

رنين أقفال الحديد يموتُ فى سأمٍ صداه !!

البابُ أُوصدَ

ذاك ليلٌ مَرَّ !!... ؛ فانتظرى سواه !!

.....

٣- عَبْدُ الوَهَّاب البَيَّاتِى

هُوَ شاعرٌ وأديبٌ عراقىٌّ (١٩٢٦ ـ ١٩٩٩م) ؛ ويُعدُّ واحداً من أربعةٍ أسهموا فى تأسيس مدرسة الشِّعر العربىِّ الجديد فى العراق ـ رُوَّاد الشِّعر الحُر ـ ؛ وهُم على التوالى : نازك الملائكة ؛ وبدر شاكر السيَّاب ؛ وشاذل طاقه ؛ وصاحبُنا البيَّاتى .

وُلِدَ فى بغداد سنة ١٩٢٦م. ج تخرَّج بشهادة اللغة العربيَّة وآدابها ١٩٥٠م ؛ واشتغل مُدرِّساً من عام ١٩٥٠ـ ١٩٥٣م ؛ ومارس الصحافة عام ١٩٥٤م فى مجلَّة الثقافة الجديدة ؛ ولكنَّها أُغلقت ؛ وَفُصِلَ عن وظيفته ؛ واعتُقِلَ بسبب مواقفه الوطنيَّة ؛ فسافر إلى سورية ؛ ثم بيروت ؛ ثم القاهرة ؛ وزار الاتحاد السوفييتى ما بين عامى ١٩٥٩ و١٩٦٤م ؛ واشتغل أُستاذاً فى جامعة موسكو ؛ ثم باحثاً علميَّاً فى معهد شعوب آسيا ؛ وزار مُعظم أقطار أُوروبا الشرقيَّة والغربيَّة ؛ وفى سنة ١٩٦٣م أُسقطت منه الجنسية العراقيَّة ؛ ورجع إلى القاهرة عام ١٩٦٤م ؛ وأقام فيها إلى عام ١٩٧٠م.

فى الفترة (١٩٧٠ ـ١٩٨٠م) أقام الشاعر فى إسبانيا ؛ وهذه الفترة يُمكن تسميتها المرحلة الإسبانيَّة فى شعره ؛ فقد صار وكأنه أحد الأُدباء الإسبان البارزين ؛ إذ أصبح معروفاً على مستوىً رسمىٍّ وشعبىٍّ واسعٍ ؛ وتُرجمت دواوينه إلى الإسبانيَّة.

فى سنة ١٩٩١م توجَّه إلى الأُردن ؛ ومنها إلى الولايات المُتحدة الأمريكيَّة قُبَيْلَ حرب الخليج الثانية بسبب وفاة ابنته ناديه التى تسكن فى كاليفورنيا ؛ حيث أقام فيها ثلاثة أشهُرٍ أو أكثر ؛ بعدها توجَّه للعيش فى عَمَّان الأُردن ؛

ثم غادرها إلى دمشق ؛ وأقام فيها حتى وفاته عام ١٩٩٩م.

وكانت له صداقاتٌ أدبيَّةٌ مع العديد من الشُّعراء ؛ مثل نزار قبَّانى من الشَّام ؛ والشَّاعر محمد الفيتورى من السُّودان ؛ و بدر شاكر السيَّاب من العراق ؛ و فالح البيَّاتى من العراق ؛ و محمود درويش من فلسطين ؛ و بلند الحيدرى من العراق ؛ وغيرهم من أعلام الشِّعر فى العالم العربىِّ .

امتاز شعر عبد الوهاب البيَّاتى بنزوعه نحو عالميَّةٍ مُعاصرة ؛ جاءت من حياته المُوزَّعة فى عواصم مُتعدِّدة وعلاقاته الواسعة مع أُدباء وشُعراء العالم الكبار ؛ مثل الشاعر التُّركى ناظم حكمت ؛ والشاعر الإسبانى رفائيل ألبرتى ؛ والشاعر الرُّوسى يفتشنكو ؛ وكذلك بامتزاجه مع التُّراث والرُّموز الصُّوفية والأُسطوريَّة ؛ والتى شكَّلت إحدى الملامح الأهم فى حُضُوره الشِّعرىِّ وحداثته.

ـ دواوينه وأعماله :

- ديوان ملائكة وشياطين : ١٩٥٠م.
- أباريق مُهشَّمة : ١٩٥٥م.
- المجد للأطفال والزيتون : ١٩٥٦م.
- رسالة إلى ناظم حكمت : ١٩٥٦م.

- أشعار فى المنفى: ١٩٥٧م.
- عشرون قصيدة من برلين: ١٩٥٩م.
- كلمات لا تموت: ١٩٦٠م.
- طريق الحُرِّيَّة ـ بالرُّوسيَّة ـ: ١٩٦٢م.
- سِفْرُ الفقر والثورة.
- النَّار والكلمات: ١٩٦٤م.
- الذى يأتى ولا يأتى: ١٩٦٦م.
- الموت فى الحياة: ١٩٦٨م.
- تجربتى الشِّعريَّة: ١٩٦٨م.
- عيون الكلاب الميِّتة: ١٩٦٩م.
- بُكائيَّة إلى شمس حُزيران والمُرتزقة: ١٩٦٩م.
- الكتابة على الطين: ١٩٧٠م.
- يوميَّات سياسىٍّ مُحترف: ١٩٧٠م.

وقد صدر له ((ديوان عبد الوهاب البياتى)) ؛ والذى ضمَّ دواوينه المذكورة فى ثلاثة أجزاءٍ ؛ نُشِرَ فى دار العودة ببيروت ١٩٧٢م.

- قصائدُ حُبٍّ على بوَّابات العالم السَّبع: ١٩٧١م.
- سيرةٌ ذاتيَّةٌ لسارق النار: ١٩٧٤م.
- كتاب البحر: ١٩٧٥م.

- قمر شيراز: ١٩٧٥م.
- صوت السنوات الضوئيَّة: ١٩٧٩م.
- بُستان عائشة: ١٩٨٩م.
- كتاب المراثى: ١٩٩٥م.
- الحريق: ١٩٩٦م.
- خمسون قصيدة حُب: ١٩٩٧م.
- البحر بعيدٌ أسمعه يتنهَّد: ١٩٩٨م.
- ينابيع الشَّمس ـ السِّيرة الشعريَّة ـ: ١٩٩٩ م.

ومن أعماله الإبداعيَّة الأُخرى مسرحيَّة ((مُحاكمة فى نيسابور)) ١٩٧٣م.

ومن مُؤلَّفاته: ((بول إليوار)) ؛ و ((أراجون)) ؛ و ((تجربتى الشعريَّة)) ؛ و ((مُدُن ورجال ومتاهات))

ـ وجُمِعَت حواراته فى كتاب ((كنت أشكو إلى الحجر)).

.....

ـ مِن قَصَائِدِ عَبْدُ الوَهَّاب البَيَّاتِى:

*- قَصِيدَة ﴿ قَمَرِى الحَزِين ﴾

- ١ -

قمرى الحزين !!

البحر ماتَ وغيَّبت أمواجُهُ السوداء قلع السِّندبادْ

ولم يعد أبناؤه يتصايحون مع النَّوارس والصدى

المبحوح عادْ

والأُفق كَفَّنَهُ الرَّمادْ !!

فَلِمَنْ تُغنِّى السَّاحراتْ ؟!!

والعُشْبُ فوق جبينه يطفو وتطفو دنيوات

كانت لنا فيها ؛ إذا غنَّى المُغنِّى... ؛ ذكريات

غرقت جزيرتنا وما عاد الغناءْ

إلا بُكاءْ

والقُبَّرَاتْ

طارت... ؛ فيا قمرى الحزين

الكنز فى المجرى دفين

فى آخر البُستان ؛ تحت شُجيرة الليمونِ ؛ خبأهُ هناك السندبادْ

لكنه خاوٍ ؛ وها أنَّ الرَّماد

والثَّلجَ والظلمات والأوراق تطمره وتطمر بالضباب الكائنات

أكذا نموت بهذه الأرض الخراب ؟!! ويجُفُّ قنديلُ الطفولةِ فى التُّراب ؟!!

أهكذا شمس النهار

تخبو وليس بموقد الفقراءِ نارْ ؟!!

- ٢ -

مُدنٌ بلا فجرٍ تنامْ

مُدنٌ بلا فجرٍ تنامْ

ناديتُ باسمك فى شوارعِها ؛ فجاوبنى الظَّلام

وسألتُ عنكَ الرِّيحَ وهى تَئِنُّ فى قلبِ السُّكون

ورأيتُ وجهَك فى المرايا والعيون

وفى زُجاجِ نوافذِ الفجرِ البعيدْ

وفى بطاقاتِ البريدْ

مُدُنٌ بلا فجرٍ يُغطِّيها الجليدْ

هجرتْ كنائسَهَا عصافيرُ الرَّبيعْ

فَلِمَنْ تُغَنِّى ؟!! والمقاهى أُوصِدَتْ أبوابُهَا !!

وَلِمَنْ تُصَلِّى ؟!! أيها القلبُ الصَّدِيع !!

والليلُ ماتْ

والمركباتْ

عادتْ بلا خيلٍ يُغَطِّيهَا الصَّقِيع

وسائقوها... ؛ ميِّتون

أهكذا تمضى السُّنون ؟!!

ونحنُ مِن مَنْفَى إلى مَنْفَى ومن بابٍ لبابْ !!
نَذْوِى كَمَا تَذْوِى الزَّنَابِقُ فى التُّرَابْ !!
فُقَرَاء يا قَمَرِى نَمُوت
وقطارُنا... ؛ أبداً يَفُوت

.....

*- قَصِيدَة ﴿ مُسَافِرٌ بِلا حَقَائِب ﴾

من لا مكان

لا وجه ؛ لا تاريخ لى... ؛ من لا مكان

تحت السَّماءِ ؛ وفى عويل الرِّيح أسمعُها تُنادينى :

((تعال !!))

لا وجه ؛ لا تاريخ... ؛ أسمعها تُنادينى : ((تعال !!))

عبر التلال

مُستنقعُ التاريخ يعبره رجال

عدد الرِّمال

والأرض مازالت ؛ ومازال الرِّجال

يلهو بهم عبث الظِّلال

مُستنقع التاريخِ والأرض الحزينة والرِّجال

عبر التلال

ولعل قد مرَّت علىَّ... ؛ علىَّ آلاف الليال

وأنا ـ سُدَىً ـ فى الرِّيح أسمعها تُنادينى : ((تعال !!))

عبر التلال

وأنا وآلاف السِّنين

مُتثائبٌ... ؛ ضَجِرٌ... ؛ حزين !!

من لا مكان

تحت السَّماءْ

فى داخلى نفسى تموتُ... ؛ بلا رجاءْ

وأنا وآلاف السنين

مُتثائبٌ... ؛ ضَجِرٌ... ؛ حزين !!

سأكونُ !! لا جدوى ... ؛ سأبقى دائماً من لا مكان

لا وجه ؛ لا تاريخ لى ... ؛ من لا مكان

الضوء يصدمنى ؛ وضوضاء المدينة من بعيدْ

نَفَسُ الحياة يُعيد رصف طريقها ... ؛ سأمٌ جديدْ

أقوى من الموت العنيدْ

سأمٌ جديدْ

وأسير لا ألوى على شىءٍ ... ؛ وآلاف السنين !!

لا شىء ينتظر المسافر غير حاضره الحزين !!

وَحْلٌ وطين !!

وعيون آلاف الجنادب والسِّنين

وتلوح أسوار المدينة ... ؛ أىُّ نفعٍ أرتجيه ؟!!

من عالمٍ مازال والأمس الكريه

يحيا ... ؛ وليس يقول : ((إيه))

يحيا على جيفٍ مُعطَّرة الجِبَاه !!

نَفَسُ الحياة يُعيد رصف طريقها ... ؛ سأمٌ جديدْ

أقوى من الموت العنيدْ

تحت السَّماءْ

بلا رجاءْ !!

فى داخلى نفسى تموتْ !!

كالعنكبوتْ

نفسى تموتْ

وعلى الجدارْ

ضوء النَّهارْ

يمتصُّ أعوامى ؛ ويبصُقها دماً ؛ ضوء النهارْ

أبداً لأجلى ... ؛ لم يكن هذا النهار !!

البابُ أُغْلِقَ ؛ لم يكن هذا النهار !!

أبداً لأجلى ... ؛ لم يكن هذا النهار !!

سأكونُ !! لا جدوى ؛ سأبقى دائماً ... ؛ من لا مكان

لا وجه ؛ لا تاريخ لى ... ؛ من لا مكان !!

*- الدُّكْتُور مُحَمَّد مَنْدُور

[١٩٠٧ - ١٩٦٥م]

﴿ وَنَظَرِيَّةُ الشِّعْرِ المَهْمُوس﴾

.....

*- مُحَمَّد مَنْدُور... السِّيرَةُ ... وَالقِيمَة

- أَوَّلاً : حَيَاتُهُ وَسِيرَتُه

وُلِدَ الدُّكْتُور محمد عبد الحميد موسى مندُور فى اليومِ الخامس من شهر يوليو عام ١٩٠٧م ؛ بكفر منْدُور ؛ بمُحافظة الشَّرقيَّة ؛ بالدِّيَّارِ المصريَّة.

حَصُلَ على الشهادة الابتدائية من مدرسة الألفى عام ١٩٢١م ؛ ثُمَّ على شهادة البكالوريا - (الثانويَّة العامة) - من مدرسة طنطا الثانويَّة عام ١٩٢٥م.

التحقَ بكُلِّيَّة الحُقُوق جامعة القاهرة ؛ ولَّما اكتشفَ الدُّكتُور طه حُسيْن أَنَّ محمد مندور يتميَّزُ بملكةٍ أدبيَّةٍ جديرة بالتَّوجيه والإرشاد من أجلِ النُّهُوضِ بها ؛ شجَّعهُ على الالتحاق بكُلِّيَّةِ الآداب أيضاً.

وفى عام ١٩٢٩م كانَ ترتيبهُ الأوَّل على خرِّيجى كُلِّيَّة الآداب ؛ وفى السَّنةِ التى تليها تخرَّجَ بتفوُّقٍ من كُلِّيَّةِ الحُقُوق ؛ والتى كانت مُدَّة الدِّراسة بها خمس سنوات.

رُشِّحَ وكيلاً للنِّيابة ؛ ولكنَّهُ آثَرَ السَّفَر فى بعثةٍ دراسيَّةٍ إلى السُّوربون مِن قِبَلِ كُلِّيَّة الآداب ؛ وذلكَ فى سنة ١٩٣٠م ؛ وَهُناكَ - فى فرنسا - تمكَّنَ من الحُصُولِ

على ليسانس فى اللُّغة اليُونانيَّة وآدابها ؛ واللُّغة الفرنسيَّة وآدابها وفقهها ؛ كما حَصُلَ على دُبلُوم الدِّراسات العُليا للدُّكتُوراه فى الاقتصادِ السِّياسىِّ والتشريع المالى من كُليَّة الحُقُوق بجامعة باريس بعد دراسةٍ لمذاهبِ الاقتصادِ وفلسفة النُّظُم الضريبيَّة والتشريع المالى .

وعادَ إلى مصر عندَ قيامِ الحربِ العالميَّة الثَّانية سنة ١٩٣٩م ؛ فعملَ مُدرِّسَاً بكُليتى الآداب بجامعتى القاهرة والإسكندريَّة.

وفى عام ١٩٤١م تزوَّجَ من إحدى طالباته النَّجِيبَات ؛ وهىَ رفيقةُ عُمُرِهِ وكفاحهِ الشَّاعرة المعرُوفة السَّيِّدة ملك عبد العزيز .

وفى عام ١٩٤٣م حَصُلَ على درجة الدُّكتوراه مع مرتبة الشَّرَف المُمتازة .

وفى عام ١٩٤٤م استقالَ منَ الجامعة ليرأس تحرير جريدة ((المصرى)) ؛ ثُمَّ جريدة ((الوفد المصرى)) ؛ وجريدة ((صوت الأُمَّة)) .

وفى سنة ١٩٤٦م اعتقلتهُ حُكُومةُ صدقى وأغلقت جريدة ((الوفد المصرى)) معَ ما أغلقت من صُحُفٍ ومجلاَّت كانت تُعارض مُعاهدة (صدقى ـ بيفن) .

وابتداءً من سنة ١٩٤٨م زاولَ مهنة المُحاماة ؛ وترافعَ فى كثيرٍ من القضايا السِّيَاسيَّة الكُبْرَى ؛ واستمرَّ بالمُحاماة إلى سنة ١٩٥٢م.

وفى عام ١٩٥٠م أصبحَ عُضواً فى مجلسِ النُّوَّاب ؛ ورئيساً للجنة التربية والتعليم بالمجلس .

وَمُنْذُ استقالَ منَ الجامعة سنة ١٩٤٤م لم ينقطع عن التدريس بمعهد الصحافة وكُليَّتها فيما بعد ؛ كما انْتُدِبَ أُستاذاً غير مُتفرِّغٍ بالمعهدِ العالى

للفُنُونِ المسرحيَّة مُنْذُ إنشائهِ عام ١٩٤٤م ؛ حتَّى تَمَّ تعيينُهُ بهِ عام ١٩٥٩م أُستاذاً دائماً ورئيساً لقسمِ الأدبِ المسرحىِّ والنَّقْد ؛ وبَعْضُ كُتُبِهِ مثل

((الأدب والنقد)) كانت عبارة عن مُحاضرات ألقاها على طلبةِ هذا القسم.

وقد تولَّى رئاسة تحرير مجلَّة ((الشَّرْق)) ؛ كما عَمِلَ بجريدتى ((الشَّعْب)) و ((الجُمهوريَّة)) ؛ وكانَ ينشُرُ مقالاتهُ الثقافيَّة فى كثيرٍ من الصُّحُفِ والمجلاَّت المصريَّةِ والعربيَّة .

ومن مُؤلَّفات الدُّكتور مُحَمَّد مندُور :

ـ النقد المنهجىُّ عند العرب .

ـ النقد والنُّقَّاد المُعاصرُون .

ـ الأدب ومذاهبه .

ـ الأدب وفُنُونُهُ .

ـ فى الأدب والنقد .

ـ فَنُّ الشِّعْر .

ـ الشِّعْرُ المصرىُّ بعد شوقى [٣ أجزاء] .

ـ فى الميزان الجديد .

تُوفِّى الدُّكتور مُحَمَّد مندُور فى اليومِ التَّاسع عشر من شهر مايو سنة ١٩٦٥م .

ـ ثَانِيَاً : مُحَمَّد مَنْدُور ... ؛ الدَّوْر ؛ وَالقِيمَة

مُنْذُ بدأ محمد مندور الكتابة النقديَّة فى عام ١٩٣٩م ؛ وهو يكشفُ عن اتِّجاهٍ

تجديدىٍّ ؛ وعن رُؤيةٍ نقديـَّةٍ مُغايرةٍ لما كان مُتعارفاً عليهِ فى الكتابات النقديَّة السَّابقة والآنيَّة ؛ ثُمَّ أخذت رؤيتهُ تزدادُ عُمقاً كُلَّما ازداد مُمارسةً ... ؛ فقد عملَ على تنمية منهجه النقدىِّ النظرىِّ من جهةٍ ؛ ومن جهةٍ أُخرى مُحاولته على الدَّوامِ لإخضاعِ منهجه ورؤيته للتجربة والتطبيق ... ؛ وبذا اكتملت لطريقته عوامل النُّضج والكمال ... ؛ حتَّى أصبح ـ فى ظنِّى ـ أعظم ناقدٍ أدبىٍّ جاء بعد مرحلة الأُدباء الليبراليين ـ العقَّاد ؛ والمازنى ؛ وطه حُسين ؛ وزكى مُبارك ؛ وأحمد أمين ؛ وعبد الوهَّاب عزَّام ؛ وغيرهم ـ ؛ ممَّا هيَّأ لهُ أن

يوثِّرَ تاثيراً جليَّاً فى الكثرة الكاثرة من مُثقَّفى عصره .

وتتمثَّلُ قيمة منهجه النقدىِّ فى عِدَّةِ أُمُورٍ ؛ منها :

١ ـ دعوتهُ إلى الرَّبطِ بين التُّراثِ العربىِّ القديم ؛ والثقافة الأُوربيَّة المُعاصرة .

٢ ـ قُوَّةُ الوعى بماهيَّةِ هاتين الثقافتين .

٣ ـ أنَّ يكُونَ للأدبِ دورٌ اجتماعىٌّ فَعَّالٌ وإيجابىٌّ ؛ وحتميَّة أن يكونَ الأدب من الوسائلِ المؤثِّرة والرَّاقية فى آنٍ ؛ من وسائل تغيير المُجتمع وتطويره وتقدُّمه.

اعتنق مُحمَّد مندُور ما أطلقَ عليه ((المنهج الأيديولُوجىّ فى النقد)) ؛ حتَّى نُسِبَ إليهِ هذا المُصطلح ؛ وَوُصِفَ نقدهُ به ؛ إذ كانَ من المُسلَّمِ بهِ أنَّهُ ينحازُ انحيازاً مُطلقاً للفنِّ الواقعىِّ الصَّادقِ المُعبِّرِ ذى الأبعادِ الإنسانيَّة.

قبلَ أن يظهرَ مُحمَّد مندور ؛ لم تكُن هُناكَ كُتُبٌ عربيَّةٌ تُعالجُ المذاهبَ الأدبيَّةَ الحديثة ؛ وتسعى إلى تفسيرِ أسبابِ تَقدُّمها ورُقيِّها... ؛ وقد تصدَّى

مُحَمَّد مندُور لهذا الأمر ـ وهو صاحبُ الوعى الكبير بِكُنْهِ الثقافةِ العربيَّة التُّراثيَّة والمُعاصرة ؛ وهو المُتقِنُ للغةِ اليونانيَّة والفرنسيَّة والإنجليزيَّة المُطَّلِع اطِّلاعاً رشيداً على ثقافاتها ؛ ثُمَّ هو صاحب الوعى بالدَّوْرِ الذى يجب أن يقومَ بهِ النَّاقد المُثقَّف ـ ؛ وأرادَ أن يُدخِلَ الأدب المُعاصر فى تيَّارِ الآدابِ العالميَّة ؛ من حيثُ موضوعاته ووسائله ومنهج دراسته... ؛ لقد أرادَ أن تكون دراسة الأدب من خلالِ منهجٍ نقدىٍّ مُستقلٍ عن المناهج الأوربيَّة ؛ وَنَبَذَ فكرة

تطبيق مذاهب التفكير الأوربىِّ على النُّصُوصِ الأدبيَّةِ العربيَّة.

وقد انتقدَ الدُّكتُور مُحَمَّد مندُور فى مقالٍ لهُ عن ((دراسة اللُّغة العربيَّة وآدابها)) ؛ نُشِرَ فى أوَّلِ يناير سنة ١٩٤٥م : طريقة تدريس الأدب العربىِّ فى قسمِ اللُّغة العربيَّة ؛ فكانَ ذلكَ سبباً لوقُوعِ الصِّدامِ بينهُ وبين الدكتورعبد الوهَّاب عزَّام وأساتذة اللُّغة العربيَّة بكُليَّة الآداب ؛ وأدَّى ذلكَ فى النِّهاية إلى خُرُوج مُحَمَّد مندُور من الجامعة.

والذى يَعْنِينَا هُنا ـ أى بصدد بحثنا هذا ـ : أنَّهُ فى سنة ١٩٥٦م ؛ خاضَ مُحَمَّد مندُور معركةً أدبيَّةً قويَّةً حولَ الشِّعْرِ الجديد ـ شعر التفعيلة ـ ؛ ففى الوقت الذى كان العقَّاد يُنكِرُ وجُودَ أىِّ موسيقى فى الشِّعرِ الجديد ؛ ورفض إدخالهُ فى دائرة الفنِّ الشِّعْرِىِّ ؛ احتجَّ مُحَمَّد مندور بأنَّهُ شعرٌ لهُ موسيقاه الخاصَّة ؛ وهو نوعٌ جديدٌ لا يقُوم على إيقاع الطُّبُول والنَّبرة الخطابيَّة كما هو حال الشِّعر العمُودىِّ ؛ وأنَّ لهُ أُسلُوبهُ الخاص فى التعبير الشِّعرىِّ ؛ والذى يجمع بين الواقعيَّة والرَّمزيَّة ؛ دُونَ أن تسلُباه طابعهُ الغنائىّ ؛ وأنَّهُ نمطٌ إبداعىٌّ جديد ؛ لا محالة ستألفهُ الآذان ؛ فكما أنَّنا

ألفنا المُوسيقى الغربيَّة المُتعدِّدة الأنغام والألحان ؛ وآثرناها على موسيقانا الشرقيَّة الَّتى تتصفُ بالإيقاعِ الصوتىِّ الجسدىِّ الصَّاخب ؛ فكذلكَ لابُدَّ بعد الإمعانِ فى التأمُّلِ والنَّظر ؛

أن نُسلِّم بجماليَّاتِ هذا الشَّكْلِ الشِّعْرِىِّ وأساليبهِ وأدواته.

﴿ نَظَرِيَّةُ الشِّعْرِ المَهْمُوس﴾

....

ـ تَوْطِئَة :

قَالَ الدُّكتُور مُحَمَّد مندُور :

((وأكبر ظواهر الإخفاق فيما يبدو ؛ هو خُضُوع ذلك الجيل لضغط الهيئة الاجتماعيَّة.

نعم ؛ إننى لا أجهل أن امتداد الزَّمن بالحياة كثيراً ما ينتهى بنا إلى الصُّلح معها ؛ فالشُّيوخ عادةً أكثر رِضَاً وتفاؤلاً من الشُّبان السَّاخطين المُتشائمين ؛ كما أعلم أن طُول التَّجارب كثيراً ما يُبَصِّرُنَا بحُدود للمُمكنات لم نكن نفطن لضيقها أيَّام حداثتنا ؛ بل إنَّ كُلَّ تجربةٍ عبءٌ يُثْقِلُ خُطَانَا.))[٢٧] (١).

قَالَ الدُّكتُور مُحَمَّد مندُور :

((ولكن ثَمَّة أمر لا شَكَّ فيه ؛ هُوَ أننا قد وصلنا إلى درجة التَّزَمُّت ؛ ولكن هَالَنِى يوماً أن أرى أحد كُتَّابنا المعروفين باتِّساع الأُفُق يدعونى إلى أن أُسْقِط من حديثٍ لى بالرَّاديو كلمة (حوريات) ـ ترجمة لعرائس الغابات المعروفة فى الأساطير اليونانيَّة ـ ؛ خوفاً من أن يتهمنى أحدٌ بِالمُرُوق عن الدِّين لاستعمال لفظة وردت فى القُرآن ؛ وأنا بصدد الحديث عن خُرافات الوثنيَّة اليونانيَّة !! .

إذن ؛ بَقِىَ لنا أن نعود إلى التقاط الأسلحة التى ألقاها سابقونا ؛ وأن نُناضل دُون : حُريَّة الرَّأى ؛ وكرامة الفكر البشرىِّ ؛ وتقديس حقوقه ؛ غير باغين ولا مُعتدين .)) .[٢٨] (١).

---

(١) ـ ((فى الميزان الجديد)) ؛ (ص : ٨) .

(١) ـ ((فى الميزان الجديد)) ؛ (ص : ٨ ـ ٩) .

ثُمَّ:

قالت نازك الملائكة:

﴿ والـذى أعتقـده: أَنَّ الشِّعْـرَ العربـىَّ يقـف اليـوم علـى حافـة تطـورٍ جـارفٍ عاصفٍ؛ لن يُبقى من الأساليب القديمة شيئاً؛ فالأوزان والقوافى والأساليب والمذاهب ستتزعزع قواعدها جميعاً؛ والألفاظ ستتسع حتى تشمل آفاقاً جديدةً واسعةً من قُوَّة التعبير؛ والتجارب الشِّعريَّة ستتجه اتِّجاهاً سريعاً إلى داخل النَّفس بعد أن بقيت تحوم حولها من بعيد. ﴾ .[٢٩](٢) .

.....

❁ - وبـعد:

قَالَ النَّاقِدُ الكبير الدُّكتُور محمد مندور (ت سنة ١٣٨٥هـ) فى كتابهِ ((فى الميزان الجديد)) (١)[٣٠]:

﴿ *-الشِّعْرُ المَهْمُوس

((أخى !!)) لميخائيل نعيمة:

أَظُنُّ أنه قد حان الحين لنوضح ما نبغى من تلك الألفاظ العامة التى كرَّرناها غير مرَّةٍ طالبين إلى شُعرائنا وكُتَّابنا أن يأخذوا بها إذا أرادوا أن يسموا نفوسنا؛ نُريد أدباً مهموساً أليفاً إنسانيَّاً؛ وها نحن اليوم نعرض نُموذجاً له.

---

(٢)- انْظُر: ((اتجاهات الشِّعر العربىِّ المُعاصر))؛ (ص: ١٦ - ١٧) .

(١)- (ص: ٥٥ - ٦٨) .

الهمس فى الشِّعر ليس معناه الضعف ؛ فالشَّاعر القوىُّ هو الذى يهمس فتحس صوته خارجاً من أعماق نفسه فى نغمات حارة ؛ ولكنه غير الخطابة التى تغلب على شعرنا فتُفسده ؛ إذ تبعد به عن النَّفس ؛ عن الصدق ؛ عن الدُّنوِّ من القُلُوب .

الهمس ليس معناه الارتجال ؛ فيتغنى الطبع فى غير جهدٍ ولا إحكام صناعةٍ ؛ وإنما هو إحساس بتأثير عناصر اللُّغة ؛ واستخدام تلك العناصر فى تحريك النُّفوس وشفائها مما تجد ؛ وهذا فى الغالب لا يكون من الشاعر عن وعىٍ بما يفعل ؛ إنما هى غريزته المُستنيرة ؛ ما تزال به حتى يقع على ما يُريد .

الهمس ليس معناه قصر الأدب أو الشِّعر على المشاعر الشخصيَّة ؛ فالأديبُ الإنسانىُّ يحدثك عن أىِّ شىءٍ يهمس به ؛ فيُثير فؤادك ؛ ولو كان موضوع حديثه مُلابسات لا تَمُتُّ إليك بسببٍ .

دعنا ننظر فى ((أخى !)) قصيدة ميخائيل نعيمة ؛ فعنده سنجد ما نُريد ؛ كُنوزاً لا مثيل لها فى لُغتنا ؛ كُنوزاً تثبت فى المقارنة لأروع شعرٍ أُوربىٍّ.

قصيدةٌ وطنيَّةٌ قيلت فى أواخر الحرب الماضية أو بعدها ؛ فهى إذن مما نسميه أدب المُلابسات الذى كثيراً ما نتناقش فى إمكان اعتباره أدباً خالداً أم لا؟ ؛ وفى فنائه بانقضاء ظروفه أم بقائه بعدها؟ ؛ بل فى طبيعة هذا البقاء : أهو على نحو ما تبقى الوثائق التاريخيَّة مُغبرَّة فى دار المحفوظات ؛ أم كأدبٍ دائمِ الحياة دائمِ الهَزِّ للنُّفُوس؟.

أَخِى !! إِن ضَجَّ بَعْدَ الحَرْبِ غَرْبِىٌّ بِأَعْمَالِهْ
وَقَدَّسَ ذِكْرَ مَن مَاتُوا وَعَظَّمَ بَطْشَ أَبْطَالِهْ

فَـلا تَهْـزَج لِمَـن سَـادُوا وَلا تَشْمَت بِمَـن دَانَا
بَـل ارْكَـع صَامِتَـاً مِثْلِى بِقَـلْـبٍ خَاشِعٍ دَامٍ
.. ؛ لِنَبْكِى حَظَّ مَـوْتَـانَـا

نَفَسٌ مُرْسَلٌ وَمُوسيقى مُتَّصلة ؛ فالمقطوعة وِحْدَةٌ تُمهِّد لخاتمتها ؛ وفى هذا ما يُشبع النَّفْس ؛ ألا ترى كيف يَعُـدُّك للصورة التى يدعوك إلى مُشاركته فيها؟! :

إذا ضَجَّ الغربىُّ بأعماله ؛ وقدَّس موتاه ؛ وعظَّم أبطاله : فلا تهزج للمُنتصر ؛ ولا تشمت بالمُنهزم ؛ لأنه لا فضل لك فى هذا ولا ذاك ؛ وما أنت بشىءٍ ؛

وأنت أحق بأن تحزن ؛ وأجدر بأن يخشع قلبك فتركع صامتاً لتبكى موتاك !! .

أيَّةُ أُلفةٍ فى الجو!! ؛ وأيَّةُ قُوَّةٍ فى إعداده!!

(أخى !!) : فأنا إذن شريكه فى الإنسانيَّة ؛ وأنا قريبٌ منه وهو قريبٌ مِنِّى ؛ ومتى قَرُبْتُ استطاع أن يهمس لأننى سأسمعه ؛ وسيُشجينى صوته الرَّقيق

القَوىُّ المباشر وهو ينقل إلىَّ قُوَّة إحساسه ؛ بفضل قُدرته على اختيار اللفظ الذى يستنفد الإحساس :

إِن ضَجَّ غَرْبِىٌّ بِأَعْمَالِهْ

والضجيج لفظٌ بالغ القُوَّة لجَرْسِ حُرُوفه وَقُوَّة إيحائه ؛ وهو يَضِجُّ :

((بِأَعْمَالِهِ)) لا ((بالمُبالغات الكاذبة)) .

الغربىُّ : ((يُقَدِّسُ ذِكْرَ مَن مَاتُوا)) ؛ وهذه ألفاظٌ ليِّنةٌ جميلةٌ مُؤثِّرةٌ غنيَّةٌ : فيها قُدسيَّة الدِّين ؛ فيها نُبْلُ الوفاء ؛ فيها جلال الموت .

مشاعر شتَّى تجمع إلى النَّفس ثروة رائعة !! .

وهو: ((يُعَظِّمُ بَطْشَ أَبْطَالِهِ)): أىُّ قُوَّةٍ فى تتابع هذه الحروف: ظاء؛ ثم طاء؛ وطاء !! ؛ أعد هذه الجُملة على سمعك ثم أنصت إلى قُوَّتها التى تملأ فمك؛ كما تملأ الأُذُن؛ ثم إن التعظيم غير التحيَّة أو التبجيل؛ والبطش غير الشَّجاعة أو الإقدام؛ البطش شىءٌ يصعق .

وهو يدعونى إلى: ((أَلاَّ أَهْزَج لِمَن سَادُوا))؛ والهزج غير الفرح؛ الهزج غناء؛ والسيادة لفظٌ حبيبٌ إلى النَّفْسِ مثال تهفو إليه؛ ولهذا فهو يحركها وله فيها أصداء مُدويَّة: ((وَلا تَشْمَت بِمَن دَانَا))؛ والشماتة شُعُورٌ خسيسٌ تركَّز فى هذا اللفظ لكثرة مُرُوره بنفوسنا جميعاً؛ لفظٌ يحمل شُحنةً من الإحساس؛ وما أحقرها شماتة تلك التى نستشعرها لمن دان !! ؛ نعم !! ؛ ما أحقر أن نشمت من جُثَّةٍ هامدةٍ !! ؛ بل مالى أضعف من قُوَّةِ الشَّاعر !! .

وفى قوله ((مَن دَانَا)): ما يُثيرنى فوق ما تُثيرنى الجُثث والأشلاء !! ؛ لأن: ((مَن دَانَا)): قد ذَلَّ؛ وَالذُّلُّ أشق على النفس من الموت؛ والموت كرامة إذا لم يكن بُدٌّ من الهوان.

ليس لى إذن أن ((أهزج لمن ساد))؛ أو أن ((أشمت بمن دان))؛ وإنما علىَّ أن أركع مثل الشاعر: ((صَامِتَاً بِقَلْبٍ خَاشِعٍ دَامٍ))؛ ((لِنَبْكِى حَظَّ مَوْتَانَا)) وهذه نغماتٌ دينيَّةٌ؛ ونحن بشرٌ تستطيع أقلامنا أو ألسنتنا أو عقولنا أن تهذى كما تشاء؛ وأما قلوبنا فمؤمنة؛ واللهفة إلى الله لا تكاد تفارقنا حتى تعود إليها؛ وبخاصة إذا قست علينا الحياة أو قسونا نحن على أنفسنا؛ وها نحن اليوم يقودنا الألم إلى كَنَفِ الله؛ الغربىُّ يُقدِّس ذكر موتاه ويُعظِّم بطش أبطاله؛ فما لى

أنا أهزج لمن ساد وأشمت بمن دان وما أنا بشىءٍ؟! ؛ وإنه لعزيزٌ على كل نفسٍ ألا تكون شيئاً ؛ وما أخلقنى عندئذٍ أن ألتمس رحمة رَبِّى أنا وأخى الذى يجمعنى به الألم الإنسانىُّ المُشترك ؛ ذلك الذى لا يعرف وطناً ولا قوميَّةً.

ونحن سنركع صامتين ؛ خاشعة قلوبنا الدامية ؛ أنصت إلى كل هذه الكلمات ! أنصت إليها واستشعر جلالها !! استشعره بقلبك ثم تصوَّر الصورة وما فيها من جمال التصوف ورهبة الدِّين وَنُبْلِ الخُشُوع الصامت الدَّامى!! .

سنركع صامتين ؛ لأن الله سيعمر قلوبنا ؛ وقد خلت إلاَّ منه ؛ صامتين لأن خشوع الموت سيلمؤنا رهبة ؛ وهو بَعْدُ مَوْتٌ قد حُرِمَ حتى العزاء ؛ موتٌ يُدمى القلوب ويعقد اللسان!! ؛ لأن إخواننا لم يصيبوا مجداً ولا رفعوا للوطن ذكراً ؛ الموت محنة ؛ فكيف به إذا لم يخلف عزاء؟! ؛ كيف به إذا لم يرفع من قلبٍ أو يخلد أثراً؟! ؛ تعالَ إذن نبكِ حظ موتانا ؛ حظهم المؤلم التَّعِس المُحزن !! .

هذا هو الشعر الذى لا أعرف كيف أصفه!! فيه غنىً صادرٌ عمَّا تحمل الألفاظ من إحساسات دقيقة صادقة قريبة من نفوسنا أليفة إليها!! ؛

إحساسات ركزناها منذ أجيال !! ؛ عِزَّةُ الغربىِّ المُجاهد الشُّجاع اليَقِظ ؛ ثم ألمنا وقد أصبحنا لا نجد أمامنا سوى الرُّكُوع خاشعين والبُكاء فى صمتٍ على إخواننا المهدرين ؛ وتتزاوج المشاعر المختلفة فتزداد قوة ؛ أولا ترى كيف أن ضجيج الغربىِّ بأعماله وتقديسه لذكر موتاه وتعظيمه لبطش أبطاله قد زاد من حُزننا مرارة؟!.

وأخيراً: فيه الموسيقى: الشِّعر من ((الوافر)) ؛ ولكنه متصل باتصال الإحساس حتى لا أكاد أرى فيه ذلك الإيقاع **rythme** الذى يُفسد الكثير من موسيقى شعرنا عندما تستقل الأبيات: موسيقاه مما يسميه الأوربيون ترنيماً **melodie** ؛ وفى هذا ما يُماشى الحُزن المتصل والألم الخشوع:

أَخِى !! إِن عَادَ بَعْدَ الحَرْبِ جُنْدِىٌّ لأَوْطَانِهْ
وَأَلْقَى جِسْمَهُ المَنْهُوكَ فِى أَحْضَانِ خِلاَّنِهْ
فَلا تَطْلُب إِذَا مَا عُدتَ للأَوْطَانِ خِلاَّنَا
لأَنَّ الجُوعَ لَم يَتْرُك لَنَا صَحْبَاً نُنَاجِيهم
سِوَى أَشْبَاحِ مَوْتَانَا !!

وها نحن من جديد أنا وأخى نشهد الجندىَّ يعود إلى أوطانه ؛ ومن اغترب يعرف معنى هذه العودة ؛ فما بالك إذا كانت عودة ستنقذك من مخالب الموت؟!.
والجندىُّ يعود مُكَلَّلاً بِعِـزَّةِ النَّصر ؛ فيُلقى جسمه ((المنهوك)) فى ((أحضان خلانه)) ؛ لست أدرى ما مصدر التأثير فى البيت؟! ؛ أهو فى هذه المَدَّات الثلاث: ((منهوك ـ أحضان ـ خلان)) التى تُوحى بالتأسِّى والرَّاحة والحنان؟! أم هو فى إلقاء المنهوك جسمه بين أحضان خلانه؟! ؛ جسمٌ منهوكٌ ((يلقى)) بين الأحضان ؛ أىُّ صدقٍ فى العبارة !! وأىُّ صدقٍ فى التأثير!! ثم أىُّ تجسيمٍ للصورة التى نكاد نراها!! ؛ وأما نحن فسنعود من الحرب منهوكين كما يعود كل الجند ؛ ولكننا لن نلقى خلاَّناً تتلقانا أحضانهم ؛ وأنَّى لنا بهم والجوع لم يترك لنا

صحباً نُناجيهم سوى أشباح موتانا؟! ؛ أبعد هذا نختلف فى حقيقة الشِّعر ؛ ونروح نهذى بـ: فُحولة العبارة ؛ وَحِدَّة المعنى ؛ وإشراق الديباجة؟! أبعد هذا نتخبَّط فى معنى الأدب ؛ فيذهب البعض إلى أنه الحثُّ على مكارم الأخلاق والعدل الاجتماعىِّ وإصلاح النُّظُم ؛ ويذهب آخرون إلى أنه

الأفكار العظيمة والتفكير الكبير والصنعة المُدهشة والأسلوب الفنىِّ؟!.

أَخِى!! إِن عَادَ يَحْرُثُ أَرْضَهُ الفَلاَّحُ أَو يَزْرَعْ
وَيَبْنِى بَعْدَ طُولِ الهَجْرِ كُوخَاً هَدَّهُ المِدْفَعْ
فَقَد جَفَّت سَوَاقِينَا ؛ وَهَدَّ الذُّلُّ مَأْوَانَا
وَلَم يَتْرُك لَنَا الأَعْدَاءُ غَرْسَاً فِى أَرَاضِينَا
سِوَى أَجْيَافِ مَوْتَانَا !!

أيَّةُ بساطةٍ فى التصوير؟! وأىُّ قُربٍ من واقع الحياة ؟! تلك التى تعُضُّنى وتعضُّك : حياة الفلاح الذى يحرث ويزرع بعد أن يبنى ((كوخه)) من جديد ؛ وأما نحن فقد : ((جفَّت سواقينا)) !! عبارةٌ ساذجةٌ ؛ ولكن كم لها فى النفس من أثر!! ؛ سواقينا التى ألفناها ؛ سواقينا العزيزة التى خلَّفها لنا الآباء .

لقد ((هدَّ الذُّلُّ مأوانا)) : ثلاثة ألفاظ قويَّة نافذة جبَّارة !! ؛ لا تستطيع أن تستبدل بأىٍّ منها غيره دُون أن تُفسد الشِّعر وتذهب بقُوَّته ؛ ((هدَّ الذُّلُّ مأوانا)) : فهو لم يهدمه ؛ والهدم شىءٌ مُبتذل ؛ ((هدَّ)) لفظٌ مُوجزٌ مُركَّزٌ موحٍ مُصوِّر ؛ وهو قد هدَّ مأوانا ؛ فلم يهد بيتنا ولا دارنا ولا منزلنا ولا قريتنا بل ولا وطننا ؛ هدَّ مأوانا الذى نحتمى به ونستر خلف جُدرانه آلامنا ؛ ثم ما الذى هَدَّ هذا

المأوى؟! ؛ إن الحرب لم تهده ؛ وإلا لبنيناه من جديدٍ كما سيبنى فلاح الغرب كوخه؟! ؛ هدَّه الذُّل ؛ لفظٌ دالٌّ ثقيل ؛ ثقيلٌ كالصخر ؛ لفظٌ بغيضٌ مُخِيفٌ مُثير : ((هَدَّ الذُّلُّ مأوانا !!)) ؛ ولم يترك لنا الأعداء غَـرْسَاً فى أراضينا غير أجياف موتانا ؛ وما آله من غرس!! تلك الجُثث الهامدة ؛

التى ترقد تحت التُّراب فى غير مجدٍ ولا عزاء!! .

أَخِى !! قَد تَمَّ مَا لَو لَم نَشَأْهُ نَحنُ مَا تَمَّا
وَقَد عَمَّ البَلاءُ وَلَو أَرَدْنَا نَحْنُ مَا عَمَّا
فَلا تَنْدُب فَأُذْنُ الغَيْرِ لا تُصْغِى لِشَكْوَانَا
بَل اتْبَعْنِى لِنَحْفُر خَنْدَقَاً بَالرَّفْشِ وَالمِعْوَل
نُوَارِى فِيهِ مَوْتَانَا !!

ودع عنك ما فى قوله : ((تم ما لو لم)) ؛ فهذه أربعة أو خمسة مقاطع متلاحقة منفصلة كثيرة الميمات صعبة النُّطق فى انسجام ؛ ثم انظر فيما دُون ذلك : ((فالبلاء قد عم)) : ألفاظٌ قويَّةٌ تُعبِّر عن إحساسٍ قوىٍّ ؛ وما ينبغى لنا أن نندب وإلا أضفنا الحُمق إلى الألم ؛ ومتى أنصتت أُذُن الغير إلى شكوى الناس؟! ؛ وبخاصة إذا كان هؤلاء الناس ممن لا يُهمُّهم أمرنا؟! ؛ وإذن ؛ فليس لى إلا أن آخذ الرفش والمعول ؛ وأن أتبع أخى الذى يدعونى فى أسىً إلى أن نُوارى موتانا !! .

من مِنَّا لا يرى هذه الصورة المُحزنة؟! من مِنَّا لا يحُسُّ بدعوة الأخ لأخيهِ كى يتبعه وقد سار إلى الجُثث المُلقاة فى العَرَاءِ فى خُطَىً مُتثاقلة ؛ معوله على كتفه ؛ وأخوه من خلفه وَاجِمُ النَّفْسِ حزين الفؤاد؟!.

والشَّاعر لا يكتفى بالأموات ؛ بل يَهُمُّ بِضَمِّ الأحياء إليهم ؛ وقد تهيَّأ الجو وحميت الأنفاس ؛ فإذا به فى القِمَّة .

تأتى القصيدة فى وِحْدَةٍ مُوسيقيَّةٍ نفسيَّةٍ تنتظم مقطوعات مُوحَّدة لا يزال بعضها يُكمل البعض ؛ تنمو بنمو الإحساس المُتصاعد إلى الأشباح حتَّى تستقر نفس الشاعر :

أَخِى!! مَن نحنُ !! لا وَطَنٌ وَلا أَهْلٌ وَلا جَارُ
إِذَا نِمْنَا ؛ إِذَا قُمْنَا... ؛ رَدَانَا الخِزْىُ وَالعَارُ
لَقَد خَمَّت بِنَا الدُّنْيَا ؛ كَمَا خَمَّت بِمَوْتَانَا [31](١)
فَهَاتِ الرَّفْشَ وَاتْبَعْنِى ؛ لِنَحْفُر خَنْدَقَاً آخِر
نُوَارِى فِيهِ أَحْيَانَا !!

وهذه هى المقطوعة الأخيرة التى بلغت غاية الألم!! ؛ ولكنى لست أدرى هل تُوحى إلى القارئ بما تُوحى به إلىَّ أم لا ؟! ؛ إنِّى أَحُسُّ فيها إثارةً لِهِمَّتِى وتحريكاً

---

(١) ـ قَال نِزَار شَاهِين :

خَمَّ :

اللحمُ المُخِمُّ : الذى تغيَّرت ريحه ؛ ولَّما يفسد فساد الجيف ؛ وخَمَّ مثله ؛ وقد خَمَّ يَخُمُّ خموماً.

وإذا خَبُثَ ريح السِّقاء ؛ فأفسد اللبن ؛ قيل : أَخَمَّ اللبن فهو مُخِمٌّ ؛ والخَمْخَمَة : ضَرْبٌ من الأكل قبيحٌ ؛ وَالخُمَامَةُ : القُمامةُ والكُناسةُ ؛ من : خَمَمْتُ البيت : أى كنسته ؛ والخِمامةُ : ريشةٌ فاسدةٌ رديئة تحت الرِّيش ؛ وَرَجُلٌ مَخْمُومُ القلب : كأنه قد نُقِّىَ من الغِشِّ والغِل.

لمعانى العِزَّة فى نفسى ؛ فأنا لا أُومن بأن الدُّنيا قد خَمَّت بنا كما خمت بموتانا ؛ وأنا لا أرضى أن أُوَارِى التُّرَابَ حَيًّا !! ؛ إن فى هذه النغمات ما يُلهب وطنيَّتى ؛ بل إنسانيَّتى ؛ وهكذا تنتهى القصيدة إلى هذا الدَّرس النَّبيل ؛ والشاعر بَعْدُ لم يعظ ولم يَشْدُ بالوطنيَّة ؛ ولا دعانى إلى شىءٍ من تلك المعانى الضخمة التى نتشدق بها ؛ وإنما أشعرنى ببؤسى و : ((ما لى وطنٌ ولا أهلٌ ولا جارُ)) ؛ وما أرتدى إن نِمْت أو قُمتُ غير رداء الخزى والعار!! . لقد هَمَّ الشَّاعر بأن يدفننى حيًّا !! ؛ فَنَفِرَت عِزَّتِى وهاجت شُجُونى !! ؛ إننى أقوى نفساً ؛ وأعزُّ جانباً ؛ وأحمى شجاعةً ؛ وإن كُنتُ قد أدركتُ بؤسى ؛ بل ربما لأننى قد أدركت مدى ذلك البُؤس.

والآن ؛ أليس هذا هو الشِّعر المهموس الذى ندعو إليه ؛ أليس هذا هو الشِّعر الإنسانىُّ الذى نهتز لنغماته؟! ؛ إن بينه وبين الكثير من شُعراء مصر قروناً !! ؛ وإنه لمن الظُّلم أن يُرتفع بعد ذلك بصوتٍ يحاول أن يُنكر على هؤلاء الشُّعراء - نعمية وإخوانه بالمهجر - أنهم هم الآن شُعراء اللُّغة العربيَّة ؛ وأن شعرهم هو الذى سيصيب الخُلُود!! .

((يا نفس!!)) لنسيب عريضة :

حاولنا أن ندل على ما فى قصيدة ميخائيل نعيمة ((أخى !!)) من عناصر إنسانيَّة نعتقد أنها كفيلة بأن تضمن لها الخُلُود بين الناس كافة رغم ما قيلت من مُلابسات خاصة ؛ وها هى قصيدة أُخرى لنسيب عريضة تخللها ؛ لأنها تُحرِّك عِدَّة مسائل لابُدَّ من أن نجلوها بضرب المثل :

١ ـ منها الغُمُوض والوضُوح.

٢ ـ ومنها مُشكلة العبارة ؛ وما يأخذه البعض ظُلماً على شُعراء المهجر من هلهلة النسيج.

٣ ـ ثُـمَّ إنَّ فيهـا إشـارات كـثيرة إلى نظريـات فلسـفيَّة معروفـة ؛ ومع ذلـك استطاع الشَّاعر بقوة إحساسه وروعة صوره أن ينجو بها عن استواء الأفكار المجُـرَّدة.

٤ ـ وأخيراً ؛ فيها ما يُمكننا من معالجة العناصر الموسيقيَّة فى الشِّعر العربىِّ وكيفيَّة استخدامها.

القصيدة حديث يخاطب به الشاعر نفسه :

يَانَفْسُ مَالَكِ وَالأَنِينْ؟!

..... ؛ تَتَأَلَّمِينَ وَتُؤْلِمِينْ؟!

عَـذَّبْـتِ قَلْبِى بِالحَنِينْ !!

وَكَتَمْتِهِ مَا تَقْصِدِينْ ؟!

وها نحن مُنذ المقطوعة الأولى فى جَـوٍّ شعرىٍّ !! ؛ وننظر فى السؤال :

يَانَفْسُ مَالَكِ وَالأَنِينْ؟!

فلا ندرى أهو عتابٌ أم لومٌ أم شفقة ؟! ؛ وهى تتألم وتؤلم على نحوٍ لا نعلمه !! ؛ ولكننا نحسُّ بصدق الشَّاعر ؛ وهى تُعذِّب القلب بالحنين وتكتمه ما تقصد !! ؛ حنين إلى المجهول !! ؛ ومن عجبٍ أن تكتم النفس ما تجهل !! ؛ ثم هل هى غير القلب ؟! ؛ هل هى تعارضه ؟! .

أسئلةٌ لا مَحِلَّ لإلقائها !! ؛ وما يجوز أن نبحث لها عن حُلُولٍ توضحها ؛ وإلا ضاع جمال الشِّعر ؛ حالةٌ نفسيَّةٌ غامضةٌ لا نستطيع إدراكها بِعُقُولنا ؛ لأنها أعمق من أن تُجتلى !! ؛ وأغنى من أن تنثر !! ؛ نفسٌ تشع !! .

قَـد نَـامَ أَرْبَـابُ الغَـرَامْ !!

وَتَـدَثَّـرُوا لُحُفَ السَّلامْ !!

وَأَبَيْتِ يَـا نَفْـسُ المَنَـامْ !!

أَفَأَنْتِ وَحْدَكِ تَشْعُرِينْ ؟!

اللَّيْـلُ مَرَّ عَلَى سِوَاكْ !!

أَفَمَـا دَهَـاهُـم مَـا دَهَاكْ ؟!

فَلِـمَ التَّمَـرُّدُ وَالعِـرَاكْ ؟!

مَـا سُورُ حِسْمِى بِالمَتِينْ !!

وبذا نسير إلى قلب الفكرة الفلسفيَّة التى ترى الجسم سجناً للنفس : فكرةٌ إغريقيَّةٌ قديمةٌ ؛ ومع هذا تُكسبها الحركة خِفَّة الشِّعر :

اللَّيْـلُ مَرَّ عَلَى سِوَاكْ !!

تقريرٌ يعقبه :

أَفَمَـا دَهَـاهُـم مَـا دَهَاكْ ؟!

استفهامٌ لا نستطيع أن نُدرك معناه !! ؛ وإن كان فى السؤال الآخر:

فَلِـمَ التَّـمَـرُّدُ وَالـعِـرَاكْ ؟!

ما يُشعر بأنه إنكارىٌّ ؛ وأخيراً تأتى القافلة:

مَـا سُورُ جِسْمِى بِالمَتِينْ !!

منفيَّةٌ مُؤكَّدةٌ ؛ فى قِمَّةٍ يقف عندها النَّفَسُ ويطمئن السيل الموسيقىُّ !! ؛ وهكذا بالمرور من الخبر إلى الإنشاء ثم العودة إلى الخبر ؛ قد استطاع الشاعر أن يخلق تلك الحركة التى تُحاكى ما بنفسه من اضطراب .

وتُنصت إلى الموسيقى: فإذا هى أجمل ما فى القصيدة !! ؛ وفى الحقِّ أن شُعراء المهجر قد جدَّدوا موسيقى الشِّعر العربىِّ تجديداً يستحق أن نُطيل فيه النَّظر ؛ نحن الآن إزاء بحر تقليدىٍّ ((مجزوء الكامل)) ؛ ولكن انظر كيف استخدمه الشاعر ؟! ؛ فالوحدة لم تعد البيت ؛ بل المقطوعة: ((قَد نَام ... ؛ تَشْعُرِين ؟!)) ؛ وفى كُلِّ مقطوعةٍ نجد أربعة أشطر: الثلاثة الأُول يُقَفِّى بعضها البعض ؛ وأمَّا الشِّطر الرابع الذى نُسمِّيه ((القافلة)) ؛ فيُقفِّى القوافل الأُخرى ؛ وعلى هذا النحو تطرد القصيدة ؛ كُلُّ وِحْدَةٍ تتكوَّن إذن من ثمانى تفاعيل ؛ تسيل إلى أن تُوقفها القافلة النونيَّة السَّاكنة ؛ ثم تعود فتستأنف سيرها فى المقطوعة التالية ؛ إلى أن تقف .

وكان من دِقَّةِ إحساس الشَّاعر أن وقع على الكامل المتساوى التفاعيل ؛ وذلك لأن الإضمار ـ ((إسكان الثانى المُتحرِّك)) ـ ليس فى الحقيقة زحافاً ؛ وهو لا ينقص شيئاً من كَمِّ التفعيلة ؛ وإنما يستبدل مقطعين قصيرين ((متفاعلن)) بمقطعٍ

واحدٍ مُغلق ((متفاعلن)) يبلغ فى الكَمِّ مبلغ المقطعين الآخرين ؛ وبهذا لا يتغيَّر فى التفعيلة المُزَحَّفَة غير الإيقاع بسبب التسكين ؛ وأما طول التفعيلة فيظل ثابتاً .

وإذا ذكرنا أن الإضمار : هو الزَّحَاف الكثير الدُّخول على الكامل ؛ وأن الطَّىَّ : حذف الرَّابع السَّاكن ؛ لا يكاد يجتمع إلى الإضمار إلا فى التفعيلة الأُولى من الشَّطر الثانى .

وأنه فى تلك الحالة يغلب أن يعوضه التَّرْفِيل ـ ((زيادة مقطع فى تفعيلة القافية)) ـ ؛ إذا ذكرنا كُلَّ ذلك ؛ أدركنا أن هذا البحر من البُحُورِ المتساوية التفاعيل على نحو مُطَّرِد ؛ والكامل والوافر هما البحران الوحيدان اللذان تنطبق عليهما تلك الصفة ؛ ولربما كان فى ذلك سببٌ لتسمية الخليل لهما بهذين الاسمين ؛ ونُضيف أننا لم نعثر بِطَىٍّ فى القصيدة التى ندرسها الآن .

وإذا صحَّت مُلاحظتنا ؛ وَضُحَ السِّرُّ فى إيحاء هذا الوزن بالاطراد ؛ وَكُلُّ اطِّرَادٍ يُلائم الإضناء والحيرة اللذين يزيدهما وضوحاً طول المقطوعة ؛ وهى لا تقف عند سُكُون القافلة إلا لتعود من جديدٍ كأمواج البحر التى تتحطَّم تِبَاعَاً مرتدة عند صخر الشَّاطئ ؛ وهذا يُماشى بناء القصيدة المُكوَّنة من فُرُوضٍ مُتتابعةٍ وموجاتٍ نفسيَّةٍ مُتجدِّدةٍ ؛ وهذه وتلك يُطَوِّل نَفَسَها ويطَّرِد ؛ ثم تفنى ليعود غيرها إلى الظُّهور ؛ توفيقٌ رائعٌ إلى الملائمة بين مُوسيقى الشِّعر ومُوسيقى الإحساس !! ؛ بين الصياغة ونفس الشاعر !! ؛ ثم إن الاطراد هُنا لا ينتهى إلى الفَقْرِ والإملال كما يحدث أحياناً ؛ فقد عرف الشاعر كيف يتجنبه بالحركة الشِّعريَّة ؛ ثم بتقسيمه لتفاعيله الثمانية إلى أربع وحدات : ثلاث منها تفصل وتجمع بينها القوافى ؛ ثم يأتى سُكُون القافلة فيفصل ويجمع بين وحدات القصيدة كُلِّهَا .

وننظر فى اللفظ ؛ فتعرض لنا مُشكلةٌ طالما أثرناها فى مصر : هى أخذنا على شُعراء المِهْجَر ما نُسمِّيه ((ضعف العربيَّة فى الأُسْلُوب)) ؛ وهذه تُهمةٌ يجب أن نُقلع عنها ؛ لأننى كُلَّما أمعنت النَّظر فى ألفاظهم وتراكيبهم لم أجد لها مثيلاً فى شعرنا الحديث !! ؛ من حيث الدِّقَّة والقُدرة على إثارة الإحساس! .

نعم ؛ قد يُخطئون فى النَّحو أو الصرف ؛ ولكن هذه فى نظرى أشياء نادرة لها نظائرها عند أكبر الكُتَّاب ؛ وإلى اليوم لا يزال الفرنسيون يضربون المثل بفولتير فى الخطأ فى الإملاء ؛ وإنما يعيب الأُسْلُوب : عدم التحديد ؛ أو العجز عن الإيحاء ؛ وتلك عُيُوبٌ لا وجود لها فى شعرهم ؛ أمَّا استخدامهم للألفاظ المألوفةِ فلست أرى فيه موضع ضعفٍ ؛ بل قُوَّة ؛ وذلك لأن الألفاظ المألوفة - ولا أقول المُبْتَذَلَة - هى التى تستطيع فى الغالب أن تستنفد إحساس الشَّاعر ؛ كما أنها أقدر من الألفاظ المهجورة على دفع مشاعرنا إلى التداعى ؛ وقد كثر استعمالنا لها فى الحياة ؛ فتحدَّدت معانيها وتلوَّنت بلون نفوسنا ؛ فحملت شُحنةً عاطفيَّةً ؛ وهذه صفات من أُولى خصائص الأُسْلُوب الشِّعرىِّ ؛ بل أُسْلُوب الأدب بوجهٍ عام ؛ وها نحن نسمع عريضة يقول :

أَفَمَا دَهَاهُم مَا دَهَاكْ ؟!

فنُدرك ((الدَّاهِيَة)) التى لها وقعٌ مُتميِّزٌ فى نُفُوسنا :

أَطْلَقْتِ نَوْحَكِ لِلظَّلامْ !!

إِيَّاكِ يَسْمَعُكِ الأَنَامْ !!

فَيَظُنُّ زَفْرَتَكِ النِّيَامْ !!

بَـوْقُ النُّشُورِ لِيَوْمِ دِينْ !!

وهـذا بـلا رَيْـبٍ إسـرافٌ فـى الصُّـور ؛ لا تُنكـر أنـه قلـق ؛ وأن نغماتـه أقـوى مـن الهمس ؛ فيه مُبالغةٌ تخُرجنا عن الأُلفة ؛ ونحن لا نكاد نتصوَّر كيف يصف نوح النَّفْس إلى أن يكون :

بَـوْقُ النُّشُورِ لِيَوْمِ دِينْ !!

ولا نرى ضرورةً لهذا العُنف فى التَّعبير ؛ ولكن هذا قليل .

يَا نَفْسُ مَالَكِ فِى اضْطِرَابْ؟!

... ؛ كَفَـرِيسَـةٍ بَيْنَ الـذِّئَـابْ؟!

هَـلاَّ رَجَـعْـتِ إِلَى الصَّـوَابْ؟!

. ؛ وَبَـدَلْـتِ رَيْـبَـكِ بِـاليَقِـين؟!

.... ؛ أَحَـمَـامَـةٌ بَيْنَ الـرِّيَـاحْ؟!

قَـد سَـاقَـهَـا القَـدَرُ الـمُـتَـاحُ؟!

... ؛ فَابْتَـلَّ بِالمَـطَـرِ الـجَـنَـاحْ؟!

؛ يَـا نَفْـسُ مَـالَـكِ تَـرْجُـفِـيـنْ؟!

أسئلةٌ مُتدفِّقةٌ تُـوحى بمـا فـى نفـس الشـاعر مـن حيرةٍ ؛ وصـورٌ جميلـةٌ دَالَّـةٌ !! ؛ النَّفْسُ المُضطربة كفريسةٍ بين الذئاب ؛ النَّفْسُ التى ترجُفُ كحمامةٍ بين الرِّياح قد بَلَّ المطر جناحها.

وفى اختيار الألفاظ ذوقٌ دقيقٌ ودليلٌ واضحٌ على أن الشَّاعر يرى ما يقول ؛ وهل أدل على تلك الرُّؤية الشِّعريَّة من أن نراه بعد أن يصف حالات النفس يلتفت إليها فجأة فيُخاطبها وكأنها قد تجسَّمت أمامه فريسة تضطرب بين الذِّئاب أو حمامة بلَّلها المطر وسط الرِّياح؟! :

أَومَا لِحُزْنَكِ مِن بَرَاحْ؟!

حَتَّى وَلَو أَزِفَ الصَّبَاحْ؟!

يَا لَيْتَ سِرَّكِ لِى مُبَاحْ!!

لأَعِى صَدَى مَا قَد تَعِينْ!!

والشاعر لا يحُسُّ فى وضُوحٍ بغير حُزنه ؛ وأمَّا السِّرُّ فى ذلك ؛ فتراه يتساءل عنه وهو بَعْدُ لا يعلم أتعرفه نفسه أم لا!! ؛ أولا تراه يقول :

لأَعِى صَدَى مَا قَد تَعِينْ!!

فهى قد تعى شيئاً ؛ وهو - إذا أباحت له سِرَّهَا - لن يتسطيع أن يعى منه غير الصدى !! :

أَسَبَتْكِ أَرْوَاحُ القَتَامْ ؟!

فَأَرَتْكِ مَا خَلْفَ اللِّثَامْ ؟!

فَطَمِعْتِ فِيمَا لا يُرَامْ ؟!

يَا نَفْسُ كَم ذَا تَطْمَحِينْ ؟!

وهُنا ندخل فى سلسلةٍ من الفُرُوض الشِّعريَّة ؛ يُريد بها الشَّاعر أن يحاول الفهم ؛ وهو فى الحَقِّ يكاد يكون يائساً منه ؛ وإنما هو إحساسُ نفسٍ قلقةٍ تطمع

فيما لا يُرام !! ؛ وكأنى بها قد استشرفت يوماً أسرار الوجود !! ؛ ثم كم فى التفاته :

يَا نَفْسُ كَم ذَا تَطْمَحِينْ ؟!

من نفاذٍ يصل إلى القُلُوب !! :

أَصَعَدتِ فِى رَكْبِ النُّزُوعْ ؟!

حَتَّى وَصَلْتِ إِلَى الرُّبُوعْ ؟!

.. ؛ فَأَتَاكِ أَمْرٌ بِالرُّجُوعْ ؟!

؛ أَعَلَى هُبُوطَكِ تَأْسَفِينْ ؟!

وتلك نغمات أفلاطون الشِّعريَّة الجميلة يوم حدَّثنا عن هُبُوط النَّفْس من عالم المثل الذى لن تستطيع أن تُغالب الحنين إليه ؛ وَلَكَم جرت بذلك أنفاس الشعراء مُنْذُ :

هَبَطَت إِلَيْكَ مِنَ المَحَلِّ الأَرْفَعِ [٣٢](١)

((إلى الإنسان : مَلَكٌ هَوَى ؛ فما يزال يذكر السَّماء)) ؛ مُنذ ابن سينا إلى لامرتين :

أَم شَاقَكِ الذِّكْرُ القَدِيمْ ؟!

ذِكْرُ الحِمَى قَبْلَ السَّدِيمْ ؟!

فَوَقَفْتِ فِي سَجْنِ الأَدِيمْ ؟!

نَحْوَ الحِمَى تَتَلَفَّتِينْ ؟!

أَأَضَعْتِ فِكْرًا فِي الفَضَاءْ ؟!

.. ؛ فَتَبِعْتِهِ فَوْقَ الهَوَاءْ ؟!

فَنَأَى وَغَلْغَلَ فِي العَلاءْ ؟!

---

(١) ـ قَالَ نِزَار شَاهِين :

هِيَ قَصِيدَةٌ طويلةٌ ؛ وصاحبُها هو أبو عليّ الحُسَيْن بن عبد الله بن الحُسَيْن بن سينا ؛ الفيلسوف الشَّهير ؛ ومطلعها :

هَبَطَت إِلَيْكَ مِنَ المَحَلِّ الأَرْفَعِ

... ؛ وَرْقَاءُ ذَاتُ تَعَـزُّزٍ وَتَمَنُّـعِ.

مَحْجُوبَةٌ عَن كُلِّ مُقْلَةِ عَارِفٍ

وَهِيَ الَّتِي سَفَرَت وَلَم تَتَبَرْقَعِ.

وَصَلَت عَلَى كُرْهٍ إِلَيْكَ وَرُبَّمَا

كَرِهَت فِرَاقَكَ وَهِيَ ذَاتُ تَفَجُّعِ.

ـ انظُر : ((حَيَاة الحيوان الكُبْرَى)) ؛ (جـ٢ / ٥٤٠) ؛ ((الكشكُول)) ؛ (جـ٢/ ٢٥)

.

فَرَجَعْـتِ ثَكْلَى تَنْدُبِينْ ؟!

أَسَلَكْتِ فِى طُرُقِ الخَيَالْ ؟!

دَرْبَاً يَقُـودُ إِلَى الـمُحَـالْ ؟!

فَحَطَتِ رَحْلَكِ عِنْدَ آلْ ؟!

؛ يَـمْتَـصُّ رِىَّ الصَّـادِرِيـنْ ؟!

فُرُوضٌ لا شك من تصورات العقل ؛ ومع ذلك تنجو بها الصُّور من البُرُود ؛ فالنَّفْسُ تُطِلُّ من سجنها نحو الحمى ((مُتلفتة)) فى لهفة ؛ وهى تُحَلِّق فى الهواء ؛ كمن يبحث عن مفقودٍ لا يجده ؛ فتعود حزينة ((ثكلى تندب)) مسرفة مُبْتَذَلَة ؛ وهى تسلك فى عالم الخيال درباً يقُود إلى المُحال ؛ ثم تحط رحالها عند سراب :

((يَـمْتَـصُّ رِىَّ الصَّـادِرِيـنْ ؟!))

وهذه صورةٌ بالغة الجمال والقُوَّة ؛ فالسَّراب الذى وصلت إليه لم يكتف بأن أسفر عن خلاء ؛ بل سلبها ما تملك وامتص رِيَّهَا ؛ فصدرت عنه أشد ظمأً منها عند الورُود :

فَنَسِيتِ قَصْدَكِ وَالطِّلابْ !!

وَوَقَفْتِ يَذْهَلُكِ السَّرَابْ !!

وَهَرِقْتِ فَضْلاتِ الوطَابْ !!

... ؛ طَمَعَاً بِمَاءٍ تَأْمَلِينْ ؟!

استقصاءٌ للصُّورة واستمرارٌ فيها ؛ وهو مذهبٌ قديمٌ عند كبار الشُّعراء ؛ إذ نراه من أهم خصائص شعر هوميروس الذى يُشَبِّه البشر بأوراق الخريف فى إحدى أغانيه ؛ فيرى فى تساقطها ما يحكى فناءنا ؛ ثم يُتابع التشبيه ؛ فيذكر نُهُوض الأجيال بعضها فى أعقاب بعضٍ ؛ كما تُخَلِّفُ الأوراق غيرها ؛ وهو واضحٌ عند بعض شُعرائنا ؛ كذى الرُّمَّة الذى يصف إشعال النَّار ؛ فيستقصى المراحل ويُتابع الصُّورة ؛ وكابن الرُّومىِّ الذى يضرب المثل بوصفه لصانع الرُّقاقة.

ومع ذلك فَثَمَّة مُفارقات ؛ فوصف ذى الرُّمَّة لإشعال النَّار ؛ ووصف ابن الرُّومىِّ لدحو الرُّقاقة : حرصٌ على التفاصيل التى تُتمِّم اللوحة وتُكسبها غنى الواقع ؛ وأما استمرار هوميروس أو استمرار عريضة الآن فهو فى خدمة الفكرة أو الإحساس ؛ وهذا أُسْلُوبٌ فى الكتابة له جماله :

حَتَّى إِذَا اشْتَدَّ الأُوَامْ
وَالآلُ أَسْفَرَ عَن رُكَامْ
غَيَّبْتِ رَأْسَكِ كَالنَّعَامْ !!
فِى رَمْلِ قَلْبِى تَحْفُرِينْ !!

وهكذا تأتى الصُّورة الجميلة الدَّالة ؛ ينتزعها الشَّاعر من مُعطيات حواسه المُباشرة ؛ فتكسو الفكرة بأغشية الشِّعْر ؛ وتنشر أمامنا مناظر يُدركها الخيال ؛ بل تهتزُّ لها النَّفْس.

وتنتقل إلى فرض آخر يُودعه الشَّاعر صُوراً جديدةً :

أَعَشِقْتِ مِثْلَكِ فِى السَّمَاءْ؟!

. ؛أُخْتَاً تَحُنُّ إِلَى اللِّقَاءْ؟!

فَجَلَسْتِ فِى سَجْنِ الرَّجَاءْ؟!

نَحْوَ الأَعَالِى تَنْظُرِينْ؟!

وهنا نلمس الإغراب ؛ ونلمس المعانى البعيدة والصورة المُقتسرة : ((فَالجُلُوسُ فِى سَجْنِ الرَّجَاء)) ليس من الشِّعر القريب الحبيب إلى النَّفْس.

ولكن لنعد عن ذلك إلى ما يليه :

لَوَّحْتِ بِاليَدِ وَالرِّدَاءْ

لِتَرَاكِ لَكِن لا رَجَاءْ !!

لَم تَدْرِ أَنَّكِ فِى كِسَاءْ ؟!

قَد حِيكَ مِن مَاءٍ وَطِينْ !!

وننظر فإذا بالصُّورة الجميلة المألوفة :

لَوَّحْتِ بِاليَدِ وَالرِّدَاءْ

تتجسم أمام أبصارنا ؛ وبذلك ترفع من سقطة البيت السابق ؛ وأما الكساء الذى يُحاك من ماءٍ وطينٍ ؛ فصورةٌ بعيدةٌ ؛ وأصدق الصُّور ما كانت مُمكنة فى الواقع إن لم تُنتزع منه فعلاً :

أَتَحُولُ دُونَكُمَا حَيَاهْ ؟!

لَو كَانَ يَبْلُوهَا الإِلَهْ ؟!

لَبَكَى عَلَى بَشَرٍ بَرَاهْ !!

رَحِمَاً يُصَارِعُهَا الجَنِينْ !!

وهذا استمرارٌ لفكرة النَّفس السجينة التى ؛ لو بلا الله أمرها ؛ لأخذته بأصحابها الشفقة فبكى !! ؛ النفس فى الجسم تُصارعه كالجنين فى الرَّحِم ؛ معنىً بعيدٌ وصورةٌ بعيدةٌ ؛ وإن لم تخلُ من قُوَّةٍ .

يَا نَفْسُ أَنْتِ لَكِ الخُلُودْ !!

وَمَصِيرُ جِسْمِى لِلحُودْ !!

سَيَعِيثُ عَيْثُكِ فِيهِ دُودْ !!

..... ؛ فَعَلامَ لا تَتَرَفَّقِينْ ؟!

والآن ؛ تنتهى الأفكار الفلسفيَّة وما جرَّت الشاعر إليه من صُورٍ بعضها قوىٌّ مُوفَّقٌ وبعضها مُقْتَسَرٌ بعيدٌ ؛ وذلك لما فى طبيعة شعر الفكرة من مُجازفةٍ خَطِرَةٍ لم يسلم منها أحدٌ من الشُّعراء ـ فيما أعتقد ـ ؛ حتى ولو كان الشاعر شيلى أو فليرى .

ولكننا لا نكاد نصل إلى الإحساس الخالص والصُّور التى تُصاغ للعبارة عنه حتى نرى فى نسيب عريضة شاعراً كبيراً .

يَا نَفْسُ هَل لَكِ فِى النِّضَالْ !!

؛ فَالجِسْمُ أَعْيَاهُ الوِصَالْ !!

... ؛ حَمَّلْتِهِ ثِقْلَ الجِبَالْ !!

..... ؛ وَرَذَلْتِهِ لا تَحْفُلِينْ ؟!

عَطَشٌ وَجُوعٌ وَاشْتِيَاقْ !!

. ؛ أَسَفٌ وَحُزْنٌ وَاحْتِرَاقْ !!

يَا وَيْحَ عَيْشِى هَل تُطَاقْ ؟!

... ؛ نَزَعَاتُ نَفْسٍ لا تَلِينْ ؟!

ونُمرُّ من الإحساس إلى الصُّور العاطفيَّة ؛ فيبلغ الشاعر قِمَّة المجد .

وَالقَلْبُ وَاأَسْفِى عَلَيْه !!

كَالطِّفْلِ يَبْسُطُ لِى يَدَيْه !!

؛ هَلاَّ مَدَدتِ يَدَاً إِلَيْه ؟!

كَالأُمَّهَاتِ إِلَى البَنِينْ ؟!

ها هو الشَّاعر قد انطلقت نفسه وتحرَّكت حياته كُلُّهَا ؛ ونسيب عريضة من أولئك المُجاهدين الذين نزحوا إلى العالم الجديد يُجالدون فى سبيل الحياة ؛ وفى قسوة تلك المُجالدة ما لا يترك لهم راحة ولا سبيل إلى الأخذ من لذَّات الوجود بنصيب !! ؛ مأساةٌ خليقةٌ بأن تُنطقهم بأنبل الشعر ؛ ونسمعه فإذا هو كخير ما نعرف من شعرٍ رومانتيكىٍّ ؛ لا شعر أُولئك الشُّعراء الصِّغار الذين اتخذوامن الرومانتيكيَّة مذهباً أدبيًّا يتصنَّعون فيه النَّحيب ؛ بل كبارهم الذين

صدروا عن حالاتٍ نفسيَّةٍ صادقةٍ.

ثُمَّ ؛ أىُّ بساطةٍ مُؤثِّرةٍ فى هذه الصورة الجميلة؟! : صُورة القلب الذى يبسط يديه كالطفل !! ؛ والشاعر الذى يرجو نفسه المأخوذة بروعة الجهاد والتحليق فى عالم المُثُل !! ؛ أن : ((تمد إليه يداً كالأُمَّهات إلى البنين)) ؛ صورةٌ ساذجةٌ ولكن كم فيها من إنسانيَّة !! كم فيها من جمال !! كم فيها من قُرْبٍ إلى النُّفُوس!! .

وتستمر الصُّورة :

.... ؛ غَـذَّيْتِهِ مُرَّ الفِطَامْ !!

. ؛ وَحَرَمْتِهِ ذَوْقَ الغَرَامْ !!

وَصَنَعْتِ شَيْخَاً مِن غُلامْ !!

؛ يَحْبُو عَلَى بَابِ السِّنِينْ !!

ومن مِنَّا لا تهزُّه هذه الصورة الأخيرة؟! : صُورة الغُلام الذى يحبو على باب السنين ولَّما يلج أبوابها وقد جعلت منه النفس القاسية شيخاً؟!

... ؛ فَغَدَا كَحَفَّارِ القُبُورْ !!

يَئِدُ العَوَاصِفَ فِى الصُّدُورْ !!

. ؛ وَيَبِيتُ يَهْتُفُ بِالثُّبُورْ !!

؛ يَشْكُو إِلَيْكِ وَتَشْمُتِينْ ؟!

وهُنا يجب أن نقف عند البيت الأول : فالغُلام قد أصبح كحفَّار القُبُور ؛ وهذا تشبيهٌ يقبض النَّفْسَ وَيَهُزُّ كيانها والحفَّار يئد العواصف !! ؛ يئدها ؟! ؛ وإذن ؛ فهى لا تكاد تنمو ؛ بل لا تكاد تظهر حتى يُسارع بها إلى الدَّفن حيَّة ؛ والعواصف شىءٌ قوىٌّ مُدَوٍّ ؛ لأنها شهوات القلب المكبوت الذى يَهِمُّ بالانفجار كُلَّمَا طال به الضيق ؛ أليس فى وأد العواصف قُوَّة الشِّعرِ وهو يئدها فى الصدور؟!

أَعْمَى تُطَاعِنُهُ الشُّجُونْ !!

وَجِرَاحُهُ صَارَت عُيُونْ !!

وَبِهَا يَرَى سُبُلَ المَنُونْ !!

فَيَسِيرُ سَيْرَ الظَّافِرِينْ !!

ولقد يكون فى مُطاعنة الشُّجُون واستحالة الجراح عُيُوناً يسير بها الشاعر فى سُبُل المَنُون سير الظافرين ـ الذين يعتبرون الموت غنيمة ـ من القوة ما يكاد يمس المُبالغة البعيدة أو تكلُّف الأداء ؛ ولكنَّنا مع ذلك لا ننفر من الصُّورة .

حَتَّى إِذَا اقْتَرَبَ المُرَادْ

تُطْلَى رُؤاهُ بِالسَّوادْ

فَيَعُودُ أَعْمَى لا يُقَادْ !!

؛ إِلاَّ بِعُكَّازِ الحَنِينْ !!

وهو رغم إحساسه بالظفر لا يلبث عندما يصل إلى نهاية الشوط أن يضطرب بصره فتطلى رُؤاه بالسَّواد ؛ وقد عاوده ضعف البشر ؛ فإذا به يُقاد بِعُكَّازِ الحنين !! ؛ وهذه حقائقٌ نفسيَّةٌ صادقةٌ رغم ما حولها من ضباب الشِّعر ؛ وفى طُرُق أدائها بساطةٌ جميلةٌ وبخاصةٍ فى : ((عُكَّاز الحَنِين)) يتكئ عليه مُتَحَسِّسَاً سبيله ؛ ونحن إذا جمعنا بين هذه المقطوعة وسابقتها استطعنا أن نفهم إسرافه فى الأولى ؛ إذ نُدرك ما يرمى من إظهار المُكابرة التى تُموِّه ما فينا من ضعف .

يَتَلَمَّسُ النُّورَ البَعِيدْ !!

بِأَنَامِلِ الفِكْرِ الشَّرِيدْ !!

وَيَسِيلُ مِن فَمِهِ النَّشِيدْ !!

سَيْلَ الدِّمَاءِ مِنَ الطَّعِينْ !!

فى البيت الأول صُورةٌ دالَّةٌ ؛ صورة الشَّاعر وهو :

يَتَلَمَّسُ النُّورَ البَعِيدْ !!

بِأَنَامِلِ الفِكْرِ الشَّرِيدْ !!

تجسيمٌ جميلٌ يرتكز فى ((الأنامل التى تتلمس)) .

وفى البيت الثانى يتحدَّث الشاعر عن نشيده ؛ ولكنه غير حديث شُعرائنا عن قصائدهم الخطابيَّة القيمة ؛ فالنشيد يسيل من فمه كما تسيل الدماء من الطعين ؛ يسيل لأن الشاعر يتألم ؛ لا لأنه يريد أن يخلع الخلود على عباد الله ؛ أو لأن الآلهة قد اختصته بِمَلَكَة الشِّعر .

... ؛ أَرَأَيْتِ بَيْتَ العَنْكُبُوتْ ؟!

..... ؛ وَدُبَابَةً فِيهِ تَمُوتْ ؟!

رَقَصَت عَلَى نَغَمِ السُّكُوتْ ؟!

.. ؛ أَلَمَاً فَلَم يُغْنِ الطَّنِينْ ؟!

؛ فَكَذَاكَ فِى شَرَكِ الرَّجَاءْ !!

..... ؛ قَلْبِى يَلَذُّ لَهُ الغِنَاءْ !!

.. ؛ مَا ذَاكَ شَدْواً بَل رِثَاءْ !!

. ؛ يَبْكِى بِهِ الأَمَلَ الدَّفِينْ !!

وبذا يُحَدِّثُنا عمَّا نحسه فى نشيده : صوت الألم ؛ ورثاءٌ يبكى به الأمل الدفين.

وأخيراً ؛ نعود إلى الفكرة ؛ فإذا بالرُّوح تصعد :

يَا نَفْسُ إِن حُمَّ القَضَاءْ !!

وَرَجَعْتِ أَنْتِ إِلَى السَّمَاءْ !!

وَعَلَى قَمِيصَكَ مِن دِمَاءْ !!

. ؛ قَلْبِى فَمَاذَا تَصْنَعِينْ ؟!

ضَحَّيْتِ قَلْبِى لِلوصُولْ !!

وَهَرَعْتِ تَبْغِينَ المُثُولْ !!

فَإِذَا دُعِيتِ إِلَى الدُّخُولْ ؟!

... ؛ فَبِأَىِّ عَيْنٍ تَنْظُرِينْ ؟!

وتعود الصور ـ وقد بعُدنا عن حياتنا الأرضيَّة ـ فترفع من استواء الفكرة ـ كما قُلنا ـ : ((فالدَّم على قميص النَّفْس)) ؛ و : ((العين التى ستنظر بها إذا دُعيت إلى الدُّخول أمام الله)) : كُلُّ هذا صورةٌ قريبةٌ تزيد من روحانيَّة هذه الخاتمة الجميلة ؛ وتُقوِّى من إحساسنا بذلك الصراع العنيف الذى يدور بنفس الشَّاعر وقد ألقت به الحياة إلى الجهاد المستمر.

والآن ؛ قد يتساءل القارئ : لِمَ استطاع شُعراء المِهْجَر ما لم يستطعه غيرهم؟!

جوابى ؛ هو : لأنهم قد يكونون من بلاد تُحرِّك مناظرها الجبليَّة من الخيال ما لا تُحرِّكه السُّهول ؛ ومن جنسٍ يشهد له التاريخ بالنُّزوع إلى المُغامرة والتوثُّب ؛ ثُمَّ إن غربتهم بأمريكا وكفاحهم من أجل الحياة قد أرهف حِسَّهُم وقوَّى من نفوسهم.

وأخيراً ـ وهذا هو السبب المهم ـ لأنهم قومٌ مُثقَّفُون ؛ قد أمعنوا النَّظر فى الثقافات الغربيَّة التى لا غنى لنا اليوم عنها ؛ وعرفوا كيف يستفيدون منها بعد أن هضموها

فى لُغاتها الأصليَّة ؛ فهم إذن ليسوا كأولئك الذين يُسرفون فى الغُرُور عن جهلٍ وكسلٍ ؛ ظانِّين أن الأدب فى مُتناول كُلِّ إنسان ؛ وأن
كُلَّ كلامٍ منظومٍ شعر.
الثقافة هى التى تُشِعُّ فى ألفاظ هؤلاء الشُّعراء ؛ وإنك لتقرأ الجُملة لهم فتحس أن خلفها ثروة من التفكير والإحساس. ﴾ .[٣٣] (١).

ثُمَّ : قَالَ الدُّكتُور مُحَمَّد مندُور :

((ووقع اختيارى على بعضٍ من قصائد وكتابات لأُدباء المِهْجَر ؛ وأحسست فى أدبهم من الصِّدْقِ والأُلفة ما وقع فى نفسى موقع الأسرار التى يتهامس بها الناس ؛ وأكبر الظَّنِّ أن الكذب فى التهامس أقلُّ بكثيرٍ منه فى الجهر ؛ ولربما كانت هذه الحقيقة النفسيَّة هى السبب الأوَّل فى تسميتى لهذا الأدب
بِـ : المهموس.)) .[٣٤] (١).

ـ فَـائِـدَةٌ :

قَالَ الدُّكتُور مُحَمَّد مندُور :

((ليست هُناك معرفةٌ تُغنى عن الذَّوْقِ التأثُّرىِّ ؛ إلاَّ أننى مع ذلك أحرص على أن يكون الذوق مُستنيراً .

---

(١) ـ أنتهى ما أردناهُ من كلامِ الدُّكتُور مُحَمَّد مندور.

(١) ـ ((فى الميزان الجديد)) ؛ (ص : ٦) .

وفى هذا المجال ـ مجال الاستنارة ـ أُمَيِّزُ بين نوعين من المعرفة :

فهُناك المعرفة الأدبيَّة اللُّغويَّة ؛ وهذه هى الأساس ؛ فقراءة مُؤلَّفات كبار الشُّعراء والكُتَّاب هى السبيل إلى تكوين مَلَكَةِ الأدب فى النُّفُوس ؛ وليست هُناك سبيل غيرها ؛ وذلك على أن تكون قراءةُ درسٍ وفهمٍ وتذوقٍ .

وأمَّا ما دُون ذلك من أنواع المعرفة ؛ كالدِّراسات النفسيَّة والاجتماعيَّة والأخلاقيَّة والتاريخيَّة وما إليها ؛ فهى وإن كانت عظيمة الفائدة فى تثقيف الأديب ثقافةً عامةً وتوسيع آفاقه ؛ إلاَّ أننى لا أُريد أن تطغى على دراستنا للأدب كَفَنٍّ لُغَوىٍّ ؛ وأنا مُؤمنٌ بأنَّهُ من الواجب أن يستقل الأدب بمنهجه عن غيره من العلوم .)) . [٣٥](٢).

(٢) ـ ((فى الميزان الجديد)) ؛ (ص : ٦) .

وبعد:

قَالَ نِـزَار شَـاهِين :

هذهِ هىَ نظريَّة الدُّكتور مُحمَّد منـدور عـن الشِّـعْرِ المهموس ؛ والـذى ظننتُ أنـَّنى ابتكرتُهُ : إذا بهِ قد نُشِرَ على النَّاسِ مُنْذُ عشرات السِّنين ؛ وما أعيبُ عليهِ من شىءٍ بصددِ منهجه ؛ وإِنَّما أرى أنَّهُ غَفَلَ عن أمثلةٍ شعريَّةٍ هى أقربُ ما تكُون لطبيعةِ ما دعا إليه ... ؛ تأمَّل قصيدة ((أخى !)) لميخائيل نعيمة ؛ وردِّد أبياتها مرَّةً أُخرى بلا انقطاعٍ ولا توقُّفٍ :

أَخِى !! إِن ضَجَّ بَعْدَ الحَرْبِ غَرْبِىٌّ بِأَعْمَالِهْ
وَقَـدَّسَ ذِكْـرَ مَن مَاتُوا وَعَظَّمَ بَطْشَ أَبْطَالِهْ
فَـلا تَهْـزَج لِمَن سَادُوا وَلا تَشْمَت بِمَـن دَانَا
بَـل ارْكَـع صَامِتَـاً مِثْلِى بِقَـلْـبٍ خَاشِعٍ دَامٍ
.. ؛ لِنَبْكِى حَظَّ مَوْتَـانَـا

أَخِى !! إِن عَادَ بَعْدَ الحَرْبِ جُنْدِىٌّ لأَوْطَانِهْ
وَأَلْقَى جِسْمَهُ المَنْهُـوكَ فِى أَحْضَانِ خِلاَّنِهْ
فَـلا تَـطْـلُب إِذَا مَـا عُدتَ للأَوْطَـانِ خِـلاَّنَـا
لأَنَّ الـجُـوعَ لَم يَـتْـرُك لَنَـا صَحْبَـاً نُنَاجِيهم
سِوَى أَشْبَاحِ مَوْتَـانَـا !!

أَخِى !! إِن عَادَ يحَرُثُ أَرْضَهُ الفَلاَّحُ أَو يَزْرَعْ
وَيَبْنِى بَعْـدَ طُـولِ الهَجْـرِ كُوخَـاً هَدَّهُ المِدْفَعْ

فَقَد جَفَّت سَوَاقِينَا ؛ وَهَدَّ الذُّلُّ مَأْوَانَا
وَلَم يَتْرُك لَنَا الأَعْدَاءُ غَرْسَاً فِى أَرَاضِينَا
سِوَى أَجْيَافِ مَوْتَانَا !!
أَخِى !! قَد تَمَّ مَا لَو لَم نَشَأْهُ نَحنُ مَا تَمَّا
وَقَد عَمَّ البَلاءُ وَلَو أَرَدْنَا نَحْنُ مَا عَمَّا
فَلا تَنْدُب فَأُذْنُ الغَيْرِ لا تُصْغِى لِشَكْوَانَا
بَل اتْبَعْنِى لِنَحْفُر خَنْدَقَاً بَالرَّفْشِ وَالمِعْوَل
نُوَارِى فِيهِ مَوْتَانَا !!
أَخِى!! مَن نَحنُ !! لا وَطَنٌ وَلا أَهْلٌ وَلا جَارُ
إِذَا نِمْنَا ؛ إِذَا قُمْنَا... ؛ رِدَانَا الخِزْىُ وَالعَارُ
لَقَد خَمَّت بِنَا الدُّنْيَا ؛ كَمَا خَمَّت بِمَوْتَانَا
فَهَاتِ الرَّفْشَ وَاتْبَعْنِى ؛ لِنَحْفُر خَنْدَقَاً آخِر
نُوَارِى فِيهِ أَحْيَانَا !!

أليست أقرب إلى الشعر الخطابىِّ الرنَّان منها إلى الشعرِ المهمُوس ؟!! ... ؛ قصائدُ الشعر المهمُوس لا تُلْقَى بخطابيَّةٍ وإن رُمْتَ ذلك وحاولتهُ ؛ ومن أراد ذلكَ فلن يخرج فى النِّهاية إلاَّ بما يُضحك أصحاب الآذان !! ... ؛ نعم ؛ هذه القصيدة فيها شىءٌ من الهمس ؛ ولكنَّها لا تُعبِّرُ تعبيراً قُويـًّا إذا ما جىء بها فى مقامِ الاستشهادِ والتَّمثيل ... ؛ والذى أراه : أنَّ الدُّكتور مُحَمَّد مندُور ؛ لو تأمَّلَ أشعار الشَّاعر المهجرىّ جُبران خليل جُبران : لوجد فيها خير ما يصلُح

للمجىءِ بهِ كأمثلةٍ للشعر المهمُوس .

استمع إليهِ وهو يقُول :

أَعْطِنِى النَّـاىَ وَغَـنِّ
وَانْسَ مَـا قُلْتُ وَقُلْتَا
؛ إِنَّـمَـا النُّـطْـقُ هَبَـاءٌ
فَـأَفْدِنِى مِـمَّا فَعَـلْتَـا
هَل تَخِذْتَ الغَابَ مِثْلِى
مَـنْـزِلاً دُونَ القُـصُورْ ؟!
فَـتَتَبَّـعْـتَ السَّـوَاقِى ؟!
وَتَسَـلَّقْـتَ الصُّخُـورْ ؟!
هَل تَحَـمَّـمْـتَ بِعِطْـرٍ ؟!
... ؛ وَتَنَشَّـفْـتَ بِـنُـورْ ؟!
وَشَرِبْتَ الفَجْرَ خَمْرَاً ؟!
فِى كُـؤُوسٍ مِـن أَثِـيرْ ؟!
هَل جَلَسْتَ العَصْرَ مِثْلِى
بَـيْـنَ جَفْـنَاتِ العِنَبْ ؟!
؛ وَالعَـنَـاقِـيـدُ تَـدَلَّـت ؟!
. ؛ كَـثُـرَيَّـاتِ الـذَّهَـبْ ؟!
فَهِىَ لِلصَّـادِى عُـيُونٌ ؟!

وَلِمَن جَاعَ الطَّعَامْ ؟!

وَهِىَ شَهْدٌ وَهِىَ عِطْرٌ ؟!

وَلِمَن شَاءَ المُدَامْ ؟!

هَل فَرَشْتَ العُشْبَ لَيْلاً

؛ وَتَلَحَّفْتَ الفَضَا ؟!

زَاهِداً فِى مَا سَيَأْتِى ؟!

نَاسِيَاً مَا قَد مَضَى ؟!

وَسُكُوتُ اللَّيْلِ بَحْرٌ ؟!

مَوْجُهُ فِى مَسْمَعِكْ ؟!

وَبِصَدرِ اللَّيْلِ قَلْبٌ ؟!

خَافِقٌ فِى مَضْجَعِكْ ؟!

أَعْطِنِى النَّاىَ وَغَنِّ

.. ؛ وَانْسَ دَاءً وَدَوَاءْ

إِنَّمَا النَّاسُ سُطُورٌ

؛ كُتِبَت لَكِن بِمَاءْ

لَيْتَ شِعْرِى أَىُّ نَفْعٍ ؟!

فِى اجْتِمَاعٍ وَزِحَامْ ؟!

؛ وَجِدَالٍ وَضَجِيجٍ ؟!

وَاحْتِجَاجٍ وَخِصَامْ ؟!

؛ كُلُّهَا أَنْفَاقُ خُلْدٍ
وَخُيُوطُ العَنْكَبُوتْ
فَالَّذِى يَحْيَا بِعَجْزٍ
فَهُوَ فِى بُطءٍ يَمُوتْ
لَيْسَ فِى الغَابَاتِ مَوْتٌ
؛ لا وَلا فِيهَا القُبُورْ
.. ؛ فَإِذَا نِيسَانُ وَلَّى
لَم يُمت مَعْهُ السُّرُورْ
إِنَّ هَوْلَ المَوْتِ وَهْمٌ
يَنْثَنِى طَىَّ الصُّدُورْ
فَالَّذِى عَاشَ رَبِيعَاً
كَالَّذِى عَاشَ الدُّهُورْ
أَعْطِنِى النَّاىَ وَغَنِّ
؛ فَالغِنَا سِرُّ الخُلُودْ
؛ وَأَنِينُ النَّايِ يَبْقَى
بَعْدَ أَن يَفْنَى الوُجُودْ

مهما حاولت مع القصيدة ؛ فإنَّكَ لن تشعر بها ـ فضلاً عن إشعارِ الآخرين بصُورها ومضمُونها ـ إلاَّ مع الهمس .

بل إن تشأ مثالاً أقوى وأجلى ؛ فردِّد قصيدة جُبران :

هُوَ ذَا الفَجْرُ فَقُومِى نَنْصَرِفْ
عَن دِيَارٍ مَالَنَا فِيهَا صَدِيقْ
مَا عَسَى يَرْجُو نَبَاتٌ يَخْتَلِفْ
زَهْرُهُ عَن كُلِّ وَرْدٍ وَشَقِيقْ
وَجَدِيدُ القَلْبِ أَنَّى يَأْتَلِفْ
مَعْ قُلُوبٍ كُلُّ مَا فِيهَا عَتِيقْ
هُوَ ذَا الصُّبْحُ يُنَادِى فَاسْمَعِى
؛ وَهَلُمِّى نَقْتَفِى خُطُوَاتِهِ
قَد كَفَانَا مِن مَسَاءٍ يَدَّعِى
. ؛ أَنَّ نُورَ الصُّبْحِ مِن آيَاتِهِ
قَد أَقَمْنَا العُمْرَ فِى وَادٍ تَسِيرْ
بَيْنَ ضِلْعَيْهِ خَيَالاتُ الهُمُومْ
وَشَهِدْنَا اليَأْسَ أَسْرَاباً تَطِيرْ
فَوْقَ مَتْنَيهِ كَعُقْبَانٍ وَبُومْ

وَشَرِبْنَا السُّقْمَ مِن مَاءِ الغَدِيرْ

وَأَكَلْنَا السُّمَّ مِن فَجِّ الكُرُومْ

وَلَبِسْنَا الصَّبْرَ ثَوْبَاً فَالتَهَبْ

... ؛ فَغَدَوْنَا نَتَرَدَّى بِالرَّمَادْ

وَاِفْتَرَشْنَاهُ وِسَادَاً فَاِنْقَلَبْ

عِنْدَمَا نِمْنَا هَشِيمَاً وَقَتَادْ

يَا بِلادَاً حُجِبَت مُنْذُ الأَزَلْ

كَيْفَ نَرْجُوكِ وَمِن أَىِّ سَبِيلْ

.. ؛ أَىُّ قَفْرٍ دُونَهَا أَىُّ جَبَلْ

سُورُهُا العَالِى وَمَن مِنَّا الدَّلِيلْ

أَسَرَابٌ أَنْتِ أَم أَنْتِ الأَمَلْ

فِى نُفُوسٍ تَتَمَنَّى المُسْتَحِيلْ

؛ أَمَنَامٌ يَتَهَادَى فِى القُلُوبْ

فَإِذَا مَا اسْتَيْقَظَت وَلَّى المَنَامْ

أَم غُيُومٌ طُفْنَ فِى شَمْسِ الغُرُوبْ

قَبْلَ أَن يَغْرَقْنَ فِى بَحْرِ الظَّلامْ

يَا بِلادَ الفِكْرِ يَا مَهْدَ الأُلَى

عَبَدُوا الحَـقَّ وَصَلُّوا لِلجَـمَالْ

؛ مَـا طَلَبْنَـاكِ بِـرَكْـبٍ أَو عَلَى

مَتْنِ سُفْنٍ أَو بِخَـيْـلٍ وَرِحَـالْ

. ؛ لَسْتِ فِى الشَّرْقِ وَلا الغَرْبِ وَلا

فِى جَنُوبِ الأَرْضِ أَو نَحْوَ الشَّمَالْ

. ؛ لَسْتِ فِى الجَوِّ وَلا تَحْتَ البِحَارْ

؛ لَسْتِ فِى السَّهْلِ وَلا الوَعْرِ الحَرِجْ

.... ؛ أَنْتِ فِى الأَرْوَاحِ أَنْوَارٌ وَنَارْ

..... ؛ أَنْتِ فِى صَدْرِى فُؤَادٌ يَخْتَلِجْ

لعمـرى ؛ لئن لم تكُـن هـذه القصـيدة هـى خـير مـا يُستشـهدُ بـهِ لروعـةِ الشِّـعرِ المهمُـوس ؛ فلا أدرى أيـنَ تسـتخفى الشَّـواهد؟!! ... ؛ مـن عـاش معهـا بـنفسٍ شاعريَّةٍ ؛ أيقنَ أنَّهُ مع هُدُوءِ جَرْسِهَا ؛ تكادُ فى بعضِ المواطنِ أن تُزلزلَ النَّفْسَ وَتُهَيِّجَ المكنون من دفينِ المشاعر وذكريات الماضى .

*- فَائِدَةٌ ... لا ضَيْرَ مِن إِيرادِهَا

.....

قَالَ الدُّكتور مُحَمَّد مندُور فى كتابهِ الذِى وردَ ذكرهُ سلفاً [٣٦](١) :

﴿ - أَوْزَانُ الشِّعْر

١ ـ الشِّعْرُ الأُورُبِىُّ :

يُخَيَّل إِلَىَّ أننا قد وصلنا الآن إلى مرحلةٍ من نمو ثقافتنا يجب عندها أن نأخذ أنفسنا بالصرامة فيما نكتب ؛ فلا نتحدث إلا عن بَيِّنَةٍ تامَّةٍ وتحقيقٍ لما نقول ؛ بعد أن نكون قد عمَّقنا الفهم ؛ وإلا فسنظل نوهم ونتوهَّم أنا نعرف شيئاً نافعاً ؛ ونحن فى الواقع نضرب شرقاً بغرب !! .

وهُنا مسائل لا يكفى للحديث عنها أن نقرأها فى كتابٍ إنجليزىٍّ أو فرنسىٍّ ثم ننقلها إلى قُرَّائنا حسبما نظن أننا قد فهمناها ؛ هذا لا ينبغى .

ونأخذ اليوم لتلك المسائل مثلاً من ((أوزان الشِّعر)) كما تحدَّث عنها الأُستاذ درينى خشبة فيما يحشُد فى ((الرِّسالة)) من أحاديث.

يُريد الأُستاذ أن يُمَيِّز بين العروض الإنجليزىِّ وغيره من الأعاريض الأوربيَّة ؛ وبين العروض العربىِّ ؛ فيقول : ((وبحسبنا هُنا أن نذكر أن العروض الإنجليزىَّ ؛ بل كل أنواع العروض فى اللغات الأوربيَّة ؛ إنما أساسها التفعيلة the foot ؛ وليس أساسها الأبحر كما فى العروض العربىِّ.)).

وهذا قولٌ لا معنى له إطلاقاً !! ؛ لأن جميع أنواع الشعر ـ الشَّرقىُّ والغربىُّ

---

(١) ـ ((فى الميزان الجديد)) ؛ (ص : ١٨٣ ـ ١٩٤) .

على السَّواء ـ تتكون من تفاعيل يجتمع بعضها إلى بعض فتُكوِّن الأبحر ؛ والشعر العربىُّ فى هذا كغيره من الأشعار ؛ وإنما التبس الأمر على الأُستاذ ؛ لأنه رأى الأبحر فى الإنجليزيَّة تُسمَّى باسم التفعيلة المكونة لها فيقولون **lambic meter** ؛ إلخ.

وأما فى العربيَّة ؛ فقد وضعوا لها أسماء أُخرى ؛ كالطويل والبسيط وغيرهما ؛ وإذا كانت فى الشعر العربىِّ أبحُر متجاوبة التفاعيل كالطويل والبسيط مثلاً ؛ حيث نجد التفعيل الأول يساوى الرَّابع ؛ فإن هُناك أيضاً أبحُراً متساوية التفاعيل كالمُتدارك والرجز والهزج والكامل وغيرها ؛ وهذه كان من المُمكن أن تُسمَّى بأسماء تفاعيلها ؛ فالمسألة مسألة مُواضعة ؛ وإذا كانت فى الشعر العربىِّ زحافات وعلل ؛ فإن الشعر الأوربىَّ أيضاً فيه ما يُسمُّونه بالإحلال **Substitution** ؛ فتراهم يضعون مقطعاً اسبوندياً مَحِلَّ مقطع داكتيلى أو مقطع إيامبى ؛ وفى الشعر الأوربىِّ والعربىِّ معاً لا يُغيِّر هذا الإحلال من اسم التفعيل الأصلىِّ ؛ وإذن فَكُلُّ الأشعار من هذه الناحية لا تختلف فى شىءٍ.

وإنما تتميَّز الأشعار ببنية التفاعيل ؛ وهُنا نُلاحظ أن الأُستاذ خشبة لم يُدرك بأُذُنه حقيقة الشعر الإنجليزىِّ ؛ وكان السبب فى ذلك اعتماده فى الأرجح على قواميس اللُّغة الإنجليزيَّة ؛ فقد قرأ فى أحد كُتُبِ العروض الإنجليزىِّ أن هُناك شعراً تتكون تفاعيله من الإيامب ؛ وشعراً تتكون تفاعيله من الداكتيل ؛ إلخ ؛ ممَّا يجده القارئ فى هامش مقاله ـ

وبحث فى القاموس ؛ فوجد أن الإيامب عبارة عن وِحْدَةٍ من مقطعين ؛ أولهما قصير والثانى طويل ؛ وهكذا.

وفاته أن هذه التعاريف لا تنطبق على الشعر الإنجليزىِّ بسهولة ؛ وإنما هى خاصة بالأشعار اليونانيَّة واللاتينيَّة ؛ ففى هاتين اللُّغتين تتميَّز المقاطع بعضها عن بعضٍ بالطُّول والقصر ؛ وأما اللُّغة الإنجليزيَّة واللُّغة الألمانيَّة ؛ فتتميَّز مقاطعهما قبل كُلِّ شىءٍ بالارتكاز الصوتىِّ **stress** ؛ فهُناك مقاطع تُنطق بضغطٍ وأُخرى بغير ضغط ؛ وعلى هذا يكون الإيامب وِحْدَة من مقطع لا يحمل ارتكازاً وآخر يحمله ؛ ومن ثَمَّ لا يكون الشِّعْرُ الإنجليزىُّ شعراً كَمِيَّاً ؛ بل شعر ارتكاز **stressed.**

وهذا هو الرأى المُعتمد .

وفى موضعٍ آخرٍ يقُول الأُستاذ : ((ويُفضِّل بعض الشُّعراء البحر الإسكندرىَّ ـ نسبة إلى الإسكندر الأكبر ـ ؛ والقصائد التى نُظِمَت فيه من هذا البحر.

وَيُؤْثِر شُعراء المأساة الفرنسيُّون النَّظم من هذا البحر إطلاقاً ؛ وهو يتكوَّن من اثنى عشر مقطعاً : ست تفعيلات إيامبيَّة ؛ كُلُّ تفعيلٍ من مقطعين.)) .

وهذا القول أيضاً يَدُلُّ على أنواعٍ من عدم الدِّقَّة ؛ بل ومن الخطأ البَيِّن!! ؛ فعدم الدِّقَّة نجدها فى شرح سبب تسمية هذا البحر ؛ فهو ليس نسبة إلى الإسكندر الأكبر ؛ بل نسبة إلى رواية بالذات كُتِبَت فى القرن الثانى عشر بفرنسا عن الإسكندر الأكبر ((**le Roman d'alexandre**)) ؛ استُعْمِلَ فيها لأوَّلِ مرَّةٍ هذا البحر بدلاً من الأبحُر الأقصر منه التى كانت مُستعملة فى القُرُون الوسطى .

أمَّا الخطأ ؛ ففى ظنِّ الأُستاذ أن البحر الإسكندرىَّ فى الشِّعر الفرنسىِّ يتكوَّن من سِتِّ تفعيلات إيامبيَّة كُلُّ تفعيلٍ من مقطعين ؛ فهذا لا وجُودُ له فى الشِّعْرِ الفرنسىِّ ؛ ومن المعلوم أن اللُّغة الفرنسيَّة قد فقدت مُنْذُ قُرُونٍ الكم ؛ فلم تعد هُناك مقاطع طويلة ومقاطع قصيرة إلاَّ فى حالاتٍ نادرةٍ فى أواخر الكلمات مثل age.

ومن المُسَلَّمِ به عند الفرنسيين ؛ وعند جميع من كتبوا عن الشعر الفرنسىِّ :

أن هذا الشعر لا علاقة له بِكَمِّ المقاطع .

٢ ـ الارتكاز : فألفاظ اللُّغة الفرنسيَّة لم تَعُد تحمل ارتكازاً stress ؛ وإنما يُوجد ارتكاز فى أواخر الجُمل ؛ فَكُلُّ جُملةٍ فرنسيَّةٍ أو شبه جُملة تنتهى بارتكازٍ نَحسُّ أنه ارتكاز شِدَّةٍ وارتفاعٍ معاً ؛ إلاَّ فى حالة الوقف ؛ فإنه يُعتبر

ارتكاز شِدَّةٍ فحسب .

فمثلاً : جُملة Cette maison est tres belle ؛ لا نجد فيها غير ارتكازين اثنين ؛ أولهما على on والآخر bel ؛ والارتكاز الأول ارتكاز شِدَّةٍ وارتفاعٍ فى الصوت ؛ أما الثانى فَشِدَّةٌ فقط ؛ لأن الارتفاع يسقط للوقف .

وإذن ؛ فَالشِّعْرُ الفرنسىُّ ليس شعراً كَمِيَّاً ولا شعراً ارتكازيَّاً ؛ لسببٍ واضحٍ : هو أن مقاطع تلك اللُّغة لا تتميز بِكَمٍ ولا ارتكاز ؛ الشعر الفرنسىُّ

يُسمونه ـ بِكُلِّ بساطةٍ ـ : ((شعراً مقطعيَّاً syllabique)) .

من هذه المُلاحظات : يتبيَّنُ لنا أن هُناك ثلاثة أنواع من الشِّعْرِ كُنَّا نُحب من الأستاذ خشبة ـ ما دام قد أراد أن يُبصِّرنا بحقائق الأوزان ـ أن يُمَيِّز بينها لنحاول بعد ذلك

أن نرى أين يقع منها الشعر العربىُّ ؛ وبذلك قد نستطيع أن نُساعد على ظُهُور أنواعٍ جديدةٍ من الشعر العربىِّ تُمكِّن شُعراءنا الكِبَار الذين يُعجب بهم الأستاذ من إجادة منهم حقًّا ؛ وعندئذٍ سنرى المسرحيات تُكتب شعراً كما كانت تُكتب مُنْذُ ثلاثة قُرُون ؛ ونكون بعملنا هذا قد أثبتنا للعالم المُتحضِّر أنهم مخُطئون فى عدم استمرارهم على استخدام الشِّعر فى المسرحيات[٣٧](١).

هذه الأنواع الثلاثة ؛ هى :

١ ـ الشِّعْرُ الكَمِىُّ .

٢ ـ الشِّعْرُ الارتكازىُّ .

٣ ـ الشِّعْرُ المقطعىُّ .

أما النوع الأول : فهو الشعر اليونانىُّ واللاتينىُّ القديم .

أما النوع الثانى : فهو الشعر الإنجليزىُّ والألمانىُّ .

وأما الثالث : فهو الشعر الفرنسىُّ .

١ ـ الشِّعْرُ الكَمِىُّ

لنأخذ لذلك مثلاً بيت فرجيليوس فى الإنيادة [٣٨](١) :

---

(١) ـ قَالَ الدُّكتُور مندُور فى حاشيتهِ مُعَلِّقًا :

كتابة المسرحيات شعراً : رأىٌ نادَى به الأستاذ خشبة فى عِدَّة مقالات بالرِّسالة ؛ هو رأىٌ لا نُقِرُّه .

(١) ـ قَالَ الدُّكتُور مندُور فى حاشيتهِ مُعَلِّقًا :

هذا البيت فى مطلع الأُغنية الثامنة من الإلياذة ؛ وترجمته : ((أيتها الملكة !! ؛

Infandum regina jubes renovare deolorem

نجده مُكوَّناً من ستة تفاعيل ؛ وكل تفعيل مكون من مقطعين طويلين ((إسبوندیه)) ؛ أو مقطع طويل أو مقطعين قصيرين ((داكتل)) ؛ ما عدا التفعيل الأخير ؛ فمقطعه الأخير قد يكون قصيراً ويكتفى به ؛ لأن الوقف يُعوِّض النقص .

... ؛ وأما الأساس الذى يُعتبر به المقطع طويلاً أو قصيراً ؛ فيرجع إلى الحرف الصائت **voyelle** ؛ فإذا كان طويلاً بطبيعته ـ كما هو الحال فى بعض الحُرُوف اليونانيَّة ـ ؛ أو كان حرفاً مزدوجاً **dephtongue** ؛ أو كان ناتجاً عن إدغام حرفين صائتين ؛ أو كان متلوّاً فى نفس المقطع بحرفٍ صامتٍ **consonne** : اعْتُبِرَ المقطع طويلاً ؛ وإلا فهو قصير .

وفى القواميس الجيِّدة نجد دائماً كَمَّ الحُرُوف المُلتبسة .

ونحن لا نُريد أن نُطيل فى تحليل مُوسيقى هذا النوع من الشعر ؛ فهى لا شك لا تقف عند التفاعيل والمقاطع ؛ بل لابُدَّ لها من إيقاع **rythme** ينتج عن وجُود ارتكازٍ شعرىٍّ يُسَمَّى **lctus** ؛ وهو يقع على مقطعٍ طويلٍ فى كُلِّ تفعيل ؛ كما أن هُناك وقفاً مُهِمَّاً فى كُلِّ بيتٍ يُشبه الوقف على الشَّطر فى البيت

إنك تأمرين بتجديد ألمٍ لا تمكن العبارة عنه .)).

قاله إينوس بطل الملحمة عندما طلبت إليه ديدون ملكة قرطاجنة أن يقص عليها نبأ ما كان من تدمير الإغريق لمدينة طروادة وطن البطل الأصلى.

العربىِّ ... ؛ والواقع أن أوزان الأشعار اليونانيَّة واللاتينيَّة مُعقَّدةٌ صعبةٌ حتى بالنسبة لمن يُتقنون تلك اللُّغات ؛ وذلك لأن نُطقها غير معروفٍ على وجهٍ دقيقٍ ؛ ومن بابٍ أولى عناصرها الموسيقيَّة ؛ ولهذا نكتفى بما ذكرنا .

٢ ـ الشِّعْرُ الارتكازىُّ

نأخذ لهذا النوع بيتاً من الشعر الإنجليزىِّ ؛ وليكُن مطلع ((مرثيةٌ فى مقبرةٍ بالرِّيف)) لتوماس جراى(١)[٣٩] :

the jcurfew tolls the knell of pattin day

نجده مُكوَّناً من ستة تفاعيل إيامبيَّة ؛ وكل تفعيل مُكوَّن من مقطعٍ غير مرتكزٍ عليه ومقطع آخر مرتكزٌ عليه... ؛ ومن البيِّن أن ما يُميِّز هذه المقاطع بعضها عن بعضٍ ليس كَمُّهَا كما قال الأُستاذ خشبة ؛ بل الضغط الواقع على بعضها .

وأمَّا أن هذا الضغط يزيد من كَمِّ المقاطع التى يقع عليها ؛ فهذه مسألةٌ تابعةٌ لا يُمكن أن تُغيِّر من طبيعة هذا الشِّعر الذى يُعتبر إيقاعيًّاً قبل كُلِّ شىءٍ .

ومن المُلاحظ أن اللُّغة الإنجليزيَّة بوجهٍ عامٍ لُغَةُ إيقاعٍ ؛ إذا قِيسَت بلُغةٍ سَيَّالَةٍ كاللُّغة الفرنسيَّة .

---

(١) ـ ترجمته : دقَّ ناقوس المساء ينعى النهار المُدْبِر .

٣ ـ الشِّعْرُ المقطعىُّ

هذا النوع من الشِّعر خاصٌّ باللُّغة الفرنسيَّة ؛ وسببُ وجُوده هو ما أشرنا إليه من قبل ؛ فاللُّغة الفرنسيَّة كما هو معلومٌ تطوُّرٌ للُّغة اللاتينيَّة على نحو ما تطوَّرت لُغتنا العاميَّة عن اللُّغة الفُصحى مع المحافظة على النَّسَب .

ولقد كانت اللُّغة اللاتينيَّة كما رأينا لُغَةٌ كميَّةٌ تتميَّز مقاطعها بعضها عن بعضٍ بالطُّول والقصر ؛ ولكن اللُّغة الفرنسيَّة فقدت هذه الخاصية ؛ كما فقدت الارتكاز أيضاً ؛ فَكُلُّ لفظةٍ لاتينيَّةٍ كانت فى العادة تحمل ارتكازاً على المقطع السابق الأخير ؛ وذلك ما لم يكن هذا المقطع قصيراً ؛ فإن الارتكاز يسمو فى هذه الحالة إلى المقطع الثالث من الآخر ؛ ولكن هذا الارتكاز سقط من الفرنسيَّة بسقوط الكثير من أواخر الكلمات اللاتينيَّة الأصل.

فقدت اللُّغة الفرنسيَّة ـ إذن ـ الكم والارتكاز ؛ فعلى أىِّ أساسٍ يقوم ـ إذن ـ الشِّعر فيها ؟!.

الواقع أن مُوسيقى الشِّعر الفرنسىِّ ليست فى جوهرها موسيقى إيقاع ؛ ولكنها موسيقى سَيَّالَة دقيقة ؛ ومع ذلك فالأمر فيها ليس أمر مقاطعٍ مُتشابهةٍ ؛ كُلُّ عشرة أو اثنى عشر أو غيرها تُكَوِّن بيتاً من الشِّعر ؛ بل لابُدَّ أن يكون هُناك تقسيم لهذه المقاطع فى وحدات مُوسيقيَّة إيقاعيَّة إلى حَدٍّ ما.

فالوزن الإسكندرىُّ مثلاً ينقسم عند مُعظم الشُّعراء الكلاسيكيين إلى أربع وحدات ؛ كبيت راسين :

Oue je viens dans son temple adorer l'Eternel.(١)

فيه نرى تفعيلة مُكوَّنة من ثلاثة مقاطع : ((حرف e فى آخر كلمة Temple يحُذف فى القراءة.)) .

ولكن هذه المقاطع لا يتميز بعضها عن بعضٍ بِكَمٍّ ولا ارتكاز ؛ وإنما يأتى الإيقاع من وجُود ارتكازٍ شعرىٍّ على آخر مقطع من كُلِّ تفعيلة ؛ وقد رمزنا له بالعلامة ((ً)) ؛ وهذا الارتكاز ـ كما قُلنا ـ ارتكاز ضغطٍ وارتفاعٍ معاً فى التفاعيل الثلاثة الأُولى ؛ وارتكاز ضغطٍ فقط فى التفعيل الأخيرِ لسُقُوطِ الصوت عند الوقف .

هـذا هـو التقسـيم الشـائع عنـد الكلاسـيكيين ؛ وأمَّا الرُّومـانتيكيون فقـد اعتـزوا بالتقسيم الثُّلاثىِّ ؛ ففكتور نفسه قد افتخر بتمزيق أوصال الوزن الكلاسيكىِّ لهذا البحر فى بيتٍ ثُلاثىٍّ شهير ؛ هو :

j' ai desloque ce grand niais d'alexandrin

وهـو مُقسَّـم كمـا تـرى إلى ثلاثـة تفاعيل ؛ كُـلُّ تفعيـل أربعـة مقاطع ؛ وأمـا عـن الإيقاع ؛ فيأتى من الارتكاز على أواخر الجُمل كما ذكرنا بالنسبة للبيت السابق.

هذا ؛ والتفاعيل الفرنسيَّة ليست دائماً مُتساوية فى عدد مقاطعها ؛ ولقد كتب

---

(١) ـ قَالَ الدُّكتور مندُور :

وترجمته : نعم !! لقد أتيت أعبد الرَّبَّ الخالد فى معبده .

الأُستاذ الكبير جرامو Grammont كتاباً مُهِمَّاً جِدَّاً بعُنوان :

Le vers francais, ses moyens d'expression, son harmonie.

وفيه يظهر أن التفاعيل الفرنسيَّة وإن لم تكن مُتساوية فى الكتابة ؛ إلاَّ أنه من الواجب أن نقرأها كأنها مُتساوية ؛ فعدم التَّساوى هذا قد ساقت إليه غريزة الشِّعر عند الموهوبين من الشُّعراء عندما أحسُّوا أنه لابُدَّ من أن تُسرع القراءة أو تُبطئ ؛ لتُترجم ترجمةً صحيحةً عن مشاعرهم المُتباينة.

وإذن ؛ فمن واجب القارئ أن يُسَوِّى بين التفاعيل فى كَمِّهَا الزمنىِّ ؛ ثم يبحث بعد ذلك عن العِلَّة فيما اضطر إليه من إسراعٍ أو تباطُؤٍ .

هذه هى أنواع الشِّعر الأوربىِّ الثلاثة : كَمِىٌّ ؛ وَارْتِكَازِىٌّ ؛ وَمَقْطَعِىٌّ.

ومن المُمكن أن نستخلص منها عُنصرين عامين يقوم عليهما كُلُّ شعرٍ ؛ وهُما :

١ ـ الكَم.

٢ ـ الإيقاع .

أما الكَم : فَقُصِدَ به هُنا كَمُّ التفاعيل التى يستغرق نُطقها زمناً ما ؛ وَكُلُّ أنواع الشِّعر لابُدَّ أن يكون البيت فيها مُقَسَّمَاً إلى تلك الوحدات .

وهى بَعْدُ قد تكون مُتساوية ؛ كالرَّجَز عندنا مثلاً.

وقد تكون مُتجاوبة ؛ كالطويل ؛ حيث يُساوى التفعيل الأوَّل التفعيل الثالث ؛ والتفعيل الثانى التفعيل الرَّابع ؛ وهكذا .

ولكن هذا الكَم الذى يُسَمَّى فى المُوسيقى **mesure** ؛ لا يكفى لكى نحس بمفاصل الشِّعر ؛ فلابُدَّ من أن يُضاف إليه الإيقاع المُسَمَّى **rythme**.

ولكى نضمن تحديد الفهم ؛ نُعَرِّف الإيقاع : فهو عبارة عن رُجُوع ظاهرةٍ صوتيَّةٍ ما على مسافات زمنيَّة مُتساوية أو مُتجاوبة ؛ فأنت إذا نقرت ثلاث نقرات ؛ ثم نقرت رابعة أقوى من الثلاث السابقة ؛ وكررت عملك هذا ؛ تولَّد الإيقاع من رُجُوع النَّقرة القويَّة بعد كُلِّ ثلاث نقرات ؛ وقد يتولَّد الإيقاع من مُجَرَّد الصَّمت بعد كُلِّ ثلاث نقرات.

لابُدَّ إذن أن تكون هُناك ظاهرةٌ صوتيَّةٌ مُتميِّزةٌ تحدث فى أثناء نُطق كُلِّ تفعيل ؛ وتعود إلى الحُدُوث فى التفعيل الذى يليه.

والأمر فى الشعر الارتكازىِّ واضحٌ .

فالارتكاز نفسه كما يُميِّز بين المقاطع ؛ يُولِّد كذلك الإيقاع ؛ وأمَّا الشِّعْرُ الكَمِىُّ ؛ فقد أحسَّ القُدماء بأن مُجَرَّد عودة مقطعٍ طويلٍ بعد مقطعين قصيرين مثلاً لا يكفى لإيضاح الإيقاع ؛ فدلُّونا على أن هُناك ارتكازاً شعريَّاً يقع على مقطعٍ طويلٍ فى كُلِّ تفعيلٍ ؛ ويعود فى نفس الموضع تقريباً من التفاعيل الأُخرى ؛ كذلك الأمر فى الشِّعْرِ الفرنسىِّ ؛ فهم لم يكتفوا بتقسيم البحر الإسكندرىِّ مثلاً إلى تفاعيلٍ مُتساويةٍ فى الكتابة والقراءة معاً ؛ أو القراءة فحسب ؛ بل أضافوا إليه وجُود ارتكاز ضغطٍ وَشِدَّةٍ ؛ أو ضغطٍ فقط فى آخر كُلِّ تفعيل ؛ وعودة هذا الارتكاز إلى مسافاتٍ زمنيَّةٍ مُحَدَّدةٍ هو الذى يُولِّد

الإيقاع ؛ ولكنه لَمَّا كان إيقاعاً قليل العدد خفيف الوقع ؛ فإن الشعر الفرنسىَّ لا يُعتبر بالنسبة للشعر الإنجليزىِّ مثلاً شعراً إيقاعيًّاً ؛ بل شعراً سَيَّالاً كما قُلنا.

والآن ؛ أين يقع الشعر العربىُّ من كُلِّ هذا ؟.

للجواب عن هذا السؤال يجب أوَّلاً أن نُناقش مذهب الخليل :

الشِّعْرُ العَرَبِىُّ

ليس من شَكٍّ فى أن الخليل بن أحمد كان رَجُلاً عبقريًّاً ؛ نفخر به مع من نفخر بهم من أجداد.

ولكن؟! ؛ العلم لا يعرف الوقوف ؛ ولقد تقدَّمت الدِّراسات اللُّغويَّة تقدُّماً يحملنا على أن نطمح إلى معرفةٍ أدق من معرفة الخليل بالعناصر الموسيقيَّة فى شعرنا العربىِّ.

والذى لا شَكَّ فيه : أن الخليل قد وضَّح حقيقةً أساسيَّةً فى الشعر العربىِّ لا نستطيع أن نغفلها ؛ وهى انقسام كُلُّ بيتٍ إلى تفاعيلٍ مُتساويةٍ ؛ كما هو الحال فى الرَّجَز وَالهَزَج وغيرهما ؛ أو مُتجاوبة ((التفعيل الأول يُساوى الثالث ؛ والثانى يُساوى الرَّابع)) ؛ كما هو الحال فى الطويل والبسيط وغيرهما.

وهذا التقسيم من أُسُس الموسيقى والشعر عند الأُوربيين اليوم ؛ فهُنالك وحدات موسيقيَّة مُتساوية **isometriques** ؛ وأُخرى مُتجاوبة **symetriques** ـ كما وضَّح الخليل ـ .

ولكنَّنا لا نكاد نترُك وجُود التفاعيل إلى بِنْيَةِ تلك التفاعيل حتى نختلف مع

الخليل ؛ وذلك لأنه لم يدلنا على وحدة الكلام ـ وهى المقطع ـ ؛ وأكبر ظنِّى أن الخليل لم يعرف العروض اليونانىَّ ؛ وإلا لَفَطِنَ إلى المقطع ؛ وإن يكن قد علم ـ فيما نُرَجِّح ـ بالموسيقى اليونانيَّة بفرعيها :

علم الإيقاع **rythmique** .

وعلم الانسجام **Les harmoniques**.

... ؛ ونخلص من هذا إلى وجُود مقاطع فى اللُّغة العربيَّة ؛ وهذه المقاطع تختلف فى كَمِّهَا ؛ فهل نستنتج من ذلك أن الشعر العربىَّ كَمِىٌّ ؛ بمعنى أن كُلَّ تفعيلٍ فيه يتكوَّن من مقاطعٍ مُختلفة الكَمِّ بنسبةٍ محدودةٍ ؟

ذلك ما رآه المستشرق أولد **Ewald** ؛ فقد وضع للشعر العربىِّ عروضاً على غِرَارِ العروض اليونانىِّ ؛ وهو عروضٌ مُستقيمٌ ؛ سهل الفهم ؛ مُبَسَّطٌ عن عروضنا تبسيطاً كبيراً ؛ ولقد درَّسناه للطلبة بالجامعة فأجادوا فهمه ؛ ويستطيع القارئ أن يجده فى الجزء الثانى من ((قواعد اللُّغة العربيَّة)) **Arabic Gramar** للمُستشرق المشهور ريت **Right** ؛ ولكنَّنا مع ذلك لا نُقِرُّ أولد ومن نحا نحوه من عامة المستشرقين فى اكتفائهم بِرَدِّ العروض العربىِّ إلى المقاطع الكميَّة كما هو الحال فى العروض اليونانىِّ واللاتينىِّ ؛ وذلك لأنهم لم يُبَصِّرُونَا بالإيقاع **Rythme** ؛ فالكم ـ كما قُلنا ـ لا يكفى لإدراك مُوسيقى الشعر ؛ بل لابُدَّ من الارتكاز الشعرىِّ الذى يقع على كُلِّ تفعيلٍ ويعود فى نفس الموضع على التفعيل التالى ؛ وهكذا.

ولقد كان على نِسَبٍ محدُودةٍ يوضح ذلك الإيقاع ؛ وكذلك تتابع المقاطع المُختلفة الكم.

والواقع أن الارتكاز فى اللُّغة العربيَّة موضوعٌ شاقٌّ لا يزال فى حاجةٍ إلى البحث ؛ نحن لا نَظُنَّ أن المُستشرقين يستطيعون بحثه ؛ لأن معرفتهم باللُّغة مهما اتسعت لا يُمكن أن تصل إلى الإحساس بمسائلٍ موسيقيَّةٍ لُغويَّةٍ دقيقةٍ كهذه ؛ فهل مُستطيعون نحن ذلك ؟.

ليسمح لى القارئ بأن أقُول : إننى قد حاولت حَلَّ هذا الإشكال فى بحثٍ طويلٍ كتبته باللُّغة الفرنسيَّة بعد دراسةٍ وتحليلٍ لثلاثة أبحُرٍ من الشعر العربىِّ بمعمل الأصوات بباريس ؛ هى : الطويل ؛ والبسيط ؛ والوافر.

ولنأخذ مثلاً من هذه الدِّراسة بيت امرئ القيس :

وَلَيْلٍ كَمَوْجِ البَحْرِ أَرْخَى سُدُولَهُ

عَلَىَّ بِأَنْوَاعِ الهُمُومِ لِيَبْتَلِى

ولكن هذا الوزن لا يُبَصِّرُنَا بالحقيقتين الكبيرتين اللَّتين يقوم عليهما الشعر فى جميع اللغات ؛ وهما : الكم ؛ والإيقاع .

الكم **mesure** :

نقصد بالكم : لا كم كل مقطع مُنفرداً ؛ فذلك ما سبق أن أوضحناه ؛ بل كم التفاعيل ؛ فنحن هُنا أمام تفاعيلٍ مُتجاوبةٍ ((التفعيل الأوَّل يُساوى الثالث ؛ والثانى يُساوى الرابع)) ؛ ولكنَّنا مع ذلك نُسَلِّم بجواز دُخُول زَحَافَات وَعِلَل ؛ فكيف يستقيم الكم برغم هذه الزَّحافات والعلل التى تُنقص من

التفعيل فى الغالب ؟ .

هـذه المُشكلة قـد حيَّـرت المُستشـرقين !! ؛ ولقـد حـاول العـالم الفرنسىُّ جويـار Guyard أن يحلها فى كتابٍ له بعنوان Novelle theorie de ja metrique arabe ؛ وفيه يُطَبِّق مُواضعات الموسيقى وأُصُولها على الشعر العربىِّ ؛ ولكنَّه لا يُـدْخِل فـى حسـابه غـير الحُـرُوف الصـائتة كمـا يفعلـون فـى الموسيقى ؛ فيُغطِّى تلك الحُرُوف المُختلفة بقيمٍ مُتفاوتةٍ من نُقطةٍ بيضاءٍ إلى نُقطةٍ سوداءٍ إلى كروش مزدوج ؛ إلخ .

ومن البَيِّن ؛ أنه قد أخطأ لسُوء الحظِّ بإهماله كم الحُرُوف الصامتة العظيمة الأهميَّة فى اللُّغة العربيَّة واللُّغات السَّاميَّة عامة كما أشرنا .

والذى اهتدينا إليه بحساب الآلات الدقيقة هو ما يأتى ـ مُقدِّرين كم كُلِّ تفعيلٍ بأجزاءٍ من مائةٍ من الثانية ـ :

وهذه نتائج غريبة ؛ نُلاحظ عليها :

١ ـ أن التفاعيل المُزَحَّفَة ـ كالتفعيل الخامس والسَّابع ـ قد ساوى كَمُّهَا فى النُّطق مع كم التفاعيل الصحيحة ؛ بل زَاد .

٢ ـ أن هُناك فُرُوقاً بين التفاعيل المُتساوية ؛ كالتفعيل الثانى والرَّابع والسَّادس والثَّامن .

وتفسير ذلك ؛ هو :

ـ أولا : أن الفُرُوق التى ظهرت فى حساب الآلات لا تُدركها الأُذُن ؛ لأنه من الثابت أن الفرق الذى لا يزيد على ١٦/ ١٠٠ من الثانية لا تكاد تُدركه الأُذُن .

وإذن فهذه نستطيع إسقاطها .

ـ ثانياً : وأما عن مُساواة التفاعيل المُزَحَّفَة للتفاعيل الصحيحة ؛ فهذا يُفَسَّرُ بحقيقةٍ مُهِمَّةٍ تحدث عند إنشاد الشعر ؛ وهى عبارة عن عمليَّات تعويض نقوم بها آليَّاً ؛ وهذا التعويض يحدث بطريقةٍ مُختلفةٍ ؛ منها :

أ ـ تطويل حرفٍ صائتٍ بشرط ألاَّ ينتج عن ذلك لَبْسٌ يأتى من قلب الحرف القصير بطبيعته اللُّغويَّة إلى حرفٍ طويلٍ .

ب ـ ومنها : مَدُّ النُّطق فى حرفٍ صامتٍ مُتمادٍّ ؛ كالسين أو اللام أو غيرهما .

جـ ـ ومنها الصمت بعد لفظٍ أو عند حرفٍ آنىٍّ ؛ كَحُرُوف الانفجار ؛ مثل الباء والفاء والدال وغيرها .

إذن ؛ فالزَّحافات والعلل لا تُغيِّر شيئاً فى كَمِّ التفاعيل عند النُّطق ؛ وهى لذلك لا تكسر الوزن .

الارْتِكَازُ الشِّعْرِىُّ

الارتكازُ عُنصرٌ أساسىٌّ فى الشعر العربىِّ ؛ بل عُنصرٌ غالبٌ ؛ ومن تردُّده يتولَّد الإيقاع ؛ ولهذا بحثنا عنه فى عناية .

والذى يبدو لنا : هو أن هُناك ارتكازاً على المقطع الثانى من التفعيل القصير ((فعولن)) .

وأما التفعيل الكبير ؛ فيقع عليه ارتكازان :

أحدهما أساسىٌّ على المقطع الثانى .

والآخر ثانوىٌّ على المقطع الآخير فى ((مفاعيلن)) .

وقد رمزنا للارتكاز الأساسىِّ بالعلامة ـ ؛ وللارتكاز الثانوىِّ بالعلامة // .

ومن المعلوم أن الارتكاز لا يقع إلاَّ على مقطعٍ طويلٍ ؛ ومن ثَمَّ نُلاحظ أن هذا الوزن لابُدَّ أن يسلم منه دائماً مقطعٌ طويلٌ بعد المقطع الأول القصير ؛ فإذا لم يحدث ذلك انكسر البيت ؛ فالمجموعة ب // الموجودة فى أوَّلِ كُلِّ تفعيلٍ من البحر الطويل هى النَّواة الموسيقيَّة للبيت ؛ وهى عبارة عن وَتَدٍ مجموعٍ فى لُغة الخليل .

ومن عودة الارتكاز على هذا المقطع من كُلِّ تفعيل يتكوَّن الإيقاع ؛ لأنه ـ كما قُلنا ـ عبارة عن عودة ظاهرةٍ صوتيَّةٍ ما على مسافاتٍ زمنيَّةٍ مُحدَّدةٍ .

وإذن ؛ فاستقامة الوزن أو عدم استقامته لا تعود إلى الكم الذى تُؤثِّر فيه الزَّحافات والعلل تأثيراً ظاهريًّاً فقط ؛ إلاَّ إذا نتج عن هذه الزَّحافات والعلل فُقدان للنَّواة الموسيقيَّة التى تحمل الارتكاز .

ولكن؟! ؛ هل ينتُج عن ذلك أن الشِّعر العربىَّ شعرٌ ارتكازىٌّ ؛ بمعنى أن مقاطعه تتميَّز بأنها تحمل ارتكاز ضغطٍ أو لا تحمله ؟ .

الجواب أيضاً بالنَّفى ؛ فالمقاطع العربيَّة كما تحمل الارتكاز تتميَّز بالكم كذلك .

وإذن ؛ فَالشِّعْرُ العَرَبِىُّ يجمع بين الكم والارتكاز ؛ ورُبما كان هذا سبب تعقُّد أوزانه .

وَنُلَخِّص طبيعة الأوزان العربيَّة : بأنها تتكوَّن من وحداتٍ زمنيَّةٍ مُتساويةٍ أو مُتجاوبةٍ هى التفاعيل ؛ وأن هذه التفاعيل تتساوى أو تتجاوب فى الواقع

عند النُّطق بها ؛ بفضل عمليَّات التعويض ؛ سواء أكانت مُـزَحَّفَةٌ معلولةٌ أو لم تكن ؛ وأن الإيقاع يتولَّد فى الشعر العربىِّ من تردُّد ارتكازٍ يقع على مقطعٍ طويلٍ فى كُلِّ تفعيلٍ ؛ ويعود على مسافاتٍ زمنيَّةٍ مُحَدَّدة النِّسَب ؛ وعلى

سلامة هذا الإيقاع تقوم سلامة الوزن .

وهكذا ننتهى فى هذا الحديث إلى ما انتهينا إليه فى الحديث السابق : من قيام جميع الأشعار على عُنصرى الكم والإيقاع ؛ وأمَّا موضع الاختلاف بين الأشعار المُختلفة ؛ فهو فى كيفيَّة هذين العُنصرين .)) .

انتهى ما أردناهُ من كلامِ الدُّكتُور مُحَمَّد مندُور .

۞ - ﴿ نَظَرِيَّةُ الشِّعْرِ الصَّوْتِىِّ ﴾

الأَدَاءُ اللُّغَوِىُّ... المُوسِيقَى الشِّعْرِيَّة

بِيَرَاعَةِ صَاحِبِهَا... ؛ نِزَار شَاهِين

١ - الأَدَاءُ اللُّغَوىُّ:

نِسْتَطِيعُ أَن نَصِلَ إِلَى المُرَادِ مِن وَرَاءِ شَرِيطَةِ البِنْيَةِ اللُّغَويَّةِ الشِّعْرِيَّة ؛ مِن خِلالِ تَأَمُّلِ مَا سَلَفَ مِن عَرْضٍ لِمَنَاهِجِ الأَئِمَّةِ المُتَقَدِّمِين... ؛ وَالَّتِى تَتَمَثَّلُ فِى :

أ ـ جَزَالَةُ الأَلْفَاظ: أَى الأَلْفَاظِ العَرَبِيَّةِ القَوِيَّةِ المُعَبِّرَةِ مِن جِهَةٍ.

ب ـ سَلاسَةُ الأَلْفَاظِ مِن جِهَةٍ أُخْرَى ؛ وَمُوافَقَتُهَا لِطَبِيعَةِ الفُحُولَةِ اللُّغَوِيَّةِ المُعَاصِرَة.

أَى أَنَّنَا نُرِيدُ الأَلْفَاظَ الَّتِى يَشْعُرُ الأَدِيبُ بِأَنَّهَا مَا خَرَجَت إِلاَّ مِن مَعِينِ شَاعِرٍ امْتَلأَ بِأَسَالِيبِ وَعِبَارَاتِ أَرْبَابِ البَيَانِ وَالبَلاغَة... ؛ وَكَذَلِكَ فَهِىَ أَلْفَاظٌ لا تَحْتَاجُ ـ لِكَوْنِهَا مِنَ الحَوشِىِّ الغَرِيب ؛ أَو مِن تِلْكَ الأَلْفَاظِ النَّادِرَةِ الاسْتِعْمَالِ مَعَ التَّسْلِيمِ بِأَصَالَةِ عَرَبِيَّتِهَا ـ إِلَى الرُّجُوعِ لِلمَعَاجِمِ العَرَبِيَّةِ لِلوقُوفِ عَلَى حَقِيقَةِ كُنْهِهَا... ؛ وَلا عَلاقَةَ بَيْنَ الأَلْفَاظِ الَّتِى نُرِيدُهَا هُنَا ؛ وَبَيْنَ الأَلْفَاظِ المُبْتَذَلَةِ السَّاقِطَةِ الَّتِى تَسْفُلُ بِصَاحِبِهَا وَتَحُطُّ مِن قَدْرِ فُحُولَتِهِ اللُّغَوِيَّة.

٢ - مُوسِيقَى الشِّعْرِ الصَّوْتِىّ

لِهَذَا النَّمَطِ الشِّعْرِى مُوسِيقَاهُ الَّتِى يَنْمَازُ بِهَا وَيَعْتَمِدُ وَيُعَوِّلُ عَلَيْهَا... ؛ وَهِىَ مَنَاطُ الخِلافِ بَيْنَنَا وَبَيْنَ أَنْصَارِ الجُمُودِ وَالتَّزَمُّت... ؛ وَهَذِهِ هِىَ رَكَائِزُهَا :

أ ـ الاعْتِمَادُ عَلَى التَّفْعِيلَةِ الوَاحِدَةِ فِى بَعْضِ المَقَاطِعِ وَالفِقَر.

ب ـ دَمْجُ تَفْعِيلَةُ بَحْرٍ مَعَ تَفْعِيلَةِ بَحْرٍ آخَر.

ج ـ الصِّيَاغَةُ الحُرَّةُ الَّتِى لا تَعْتَمِدُ عَلَى التَّفْعِيلَةِ العَرُضِيَّة.

د - السَّكَتَاتُ اللَّطِيفَةُ وَالجَلِيَّةُ [... ؛] ؛[!!... ؛] ؛[!!؟... ؛] ؛ وَالَّتِى مِن شَأْنِهَا أَن
تُشْعِرَ بِالسَّلاسَةِ وَالْمُرُونَةِ وَعَدَمِ الدَّمْجِ العَرُوضِىِّ وَالشُّذُوذِ الْمُوسِيقِىِّ.

وَيَكَادُ أَن يَكُونَ هَذَا الشَّرْطُ هُوَ المِحْوَرُ الَّذِى تَعْتَمِدُ عَلَيْهِ هَذِهِ النَّظَرِيَّةُ وَتَدُورُ حَوْلَهُ... ؛ وَبِدُونِهِ تَنْتَفِى قِيمَةُ كُلِّ هَذِهِ الشُّرُوطِ السَّابِقَة .

- دِيوَانٌ شِعْرِىٌّ:

عِندَمَا نَجلِس سَوِيًّا

لِشَاعِرِ الشَّمَال

محمد محمود دحروج

- الشَّهِير بـ: ((نِزَار شَاهِين المصرى)) -

* - تَصْدِير :

﴿ رَبَّمَا كَانَ مِنَ الصَّوَابِ القَوْلُ بِأَنَّ ظُهُورَ شَاعِرٍ
فِى هَـذَا العَالَـم ؛ يَكُونُ لِحِكْمَةٍ يَشَاؤهَا القَـدَر ؛
لأَنَّ الأَمْرَ مَعَ هَذَا الفَنِّ أَمْرٌ عَجِيب !! . ﴾ .

﴿ نوفاليس ﴾
ـ الشَّاعِرُ الأَلْمَانِىُّ ـ

* - مَدْخَل:

رَمَتْنِى بَنَاتُ الـدَّهْرِ مِن حَيْثُ لا أَرَى

.. ؛ فَكَيْفَ بِمَن يُـرْمَى وَلَيْسَ بِـرَامِ؟!.

..... ؛ فَلَو أَنَّهَا نَبْلٌ إِذًا لاَتَّقَيْتُهَا

..... ؛ وَلَكِنَّمَا أُرْمَى بِغَيْرِ سِهَامِ!!.

وَأَفْنَى وَمَا أُفْنِى مِنَ الـدَّهْـرِ لَيْلَةً

وَلَـم يُغْنِ مَا أَفْنَيْتُ سَلْكَ نِظَامِ!!.

... ؛ وَأَهْلَكَنِى تَأْمِيلُ يَـوْمٍ وَلَيْلَةٍ

..... ؛ وَتَأْمِيلُ عَـامٍ بَعْدَ ذَاكَ وَعَامِ!!.

* - مُفْتَتَح :

جَنَت عَلَىَّ اللَّيَالِى غَيْرُ ظَالِمَةٍ

إِنِّى لأَهْلٌ لِمَا أَلْقَاهُ مِن زَمَنِى.

فَمَا لَمَحْتُ مِن الآمَالِ بَارِقَةً

إِلاَّ بَنَيْتُ عَلَى أَجْوَازِهَا سَكَنِى.

وَمَا رَأَيْتُ مِن الأَخْطَارِ عَادِيَةً

إِلاَّ تَقَحَّمْتُ مَا تَجْتَازُ مِن فِتَنِ!!.

زَكِى مُبَارَك

القصائدُ السِّياسيَّة

قُل لِلرَّفِيقِ عَن النَّبَأ !!

قُل لِلرَّفِيقِ عَن النَّبَأ !!... ؛ قُل لِلرَّفِيقِ اليَوْمَ زَالَ القَيْدُ وَانْطَرَحَ الصَّدَأ !!... ؛ أَخْبِرْهُ أَنَّ الرِّيحَ قَد عَصَفَت فَلَم تُبْقِ عَلَيْهِم لَم تَدَع !!... ؛ قُل لِلرَّفِيقِ جِدَارُهُم مِن بَعْدِ آلافِ السِّنِينَ قَد انْصَدَع !!... ؛ قُل لِلرَّفِيقِ اليَوْمَ لا تَخْشَى فَسِر حُرًّا وَغَنِّ فِى الدُّرُوب !!... ؛ اليَوْمَ قَد رَحَلَ البَغَايَا وَالرَّزَايَا وَالذُّنُوب !!

... ؛ قُل لِلرَّفِيقِ اليَوْمَ لا قَبْرٌ وَلا قَبْوٌ وَلا خَنْقٌ لِصَوْتٍ أَو نَفَس !!... ؛ اليَوْمَ لا تَخْشَى مِنَ الجِلاَّدِ أَو آذَانِ أَوْغَادِ العَسَس !!... ؛ اليَوْمَ قَد سَقَطَ الَّذِى وَسَمُوهُ يَوْمَاً بِالزَّعِيم !!... ؛ العَرْشُ هُشِّمَ وَاحْتَرَق مِن بَعْدِ أَن جَاءَ الكَلِيم !!

... ؛ عَهْدُ المَمَالِيكِ انْدَحَر !!... ؛ بَابُ المَذَلَّةِ قَد تَقَوَّضَ وَانْكَسَر !!... ؛ اليَوْمَ قَد نَطَقَ الزَّمَن !!... : لا ظُلْمَ بَعْدَ اليَوْمِ لا قَيْدٌ هُنَاكَ وَلا رَسَن !!.

.مَن ذَا يَرُد ؟!!

مَن ذَا يَرُد ؟!!... ؛مَن ذَا يُجِيب ؟!!... ؛هَل مِـن لِسَـانٍ أَو خَطِيب ؟!!... ؛لَـو جَاءَ أَحْفَادُ التَّتَارِ فَقَالُوا مَن يَنْطِق لَنَا عَن شَعْبِ مِصْر ؟!!... ؛قُولُوا بَغِىٌّ إِى يُقَالُ بِأَنَّهَا صَنَعَت لَنَا أَمْجَادَ نَصْر !!... ؛هَل قَامَ وَحْدَهُ يَوْمَهَا هَزَمَ اليَهُود ؟!! ... ؛فِى الجَـوِّ كَـانَ مُحَلِّقَـاً أَمَّـا الـدَّمُ المِعْطَـارُ قَـد بَدَلَتْـهُ أَفْئِـدَةُ الجُنُـود !!... ؛بَـاعَ العُرُوبَةَ فِى جَلاءٍ مُخْبِرَاً أَن لا رُجُولَةَ لا عُهُـود !!... ؛اسْـأَل وَقُـل مَـن ذَا الَّـذِى خَانَ العِرَاق ؟!!... ؛مَن قَالَ لِلأَحْرَارِ مُوتُوا لَسْتُ أَعْبَأُ فَالدِّمَاءُ كَمِثْلِ خَمْرٍ عِنْدَ أَقْدَامِى تُرَاق ؟!!... ؛مَن بَاعَ أَقْصَانَا بِحِفْنَةَ مِن قُرُوش ؟!!... ؛مَن قَالَ يَفْنَى الشَّعْبُ كَى تَبْقَى الرِّئَاسَةُ وَالعُرُوش ؟!!.

مرثيات
مِنَ التاريخِ البعيد

اخْفِض يَدَاك

اخْفِض يَدَاك !!... ؛ اخْفِض يَدَاك!!... ؛ فَلَيْسَ مِن أَحَدٍ هُنَاك؟!!... ؛ لا صَحْبَ لا إِخْوَانَ لا أَحَداً أَرَى!!... ؛ فَلِمَن تُشِيرُ وَتَبْتَغِى بَيْنَ الوَرَى؟!!... ؛ وَلِمَا مَجِيئُكَ وَالرِّيَاحُ الهُوجُ عَاصِفَةٌ؟!!... ؛ وَلِمَا وُقُوفُكَ بَيْنَ أَسْتَارِ الظَّلام؟!!... ؛ فَتَنَهَّدَ القَلْبُ الخَفُوقُ مُرَدِّداً لَحْنَاً جَمِيلاً لا يُصَوِّرُهُ الكَلام!!... ؛ وَأَجَبْتُهُ : ... ؛ لا صَحْبَ لا إِخْوَانَ جِئْتُ لأَنْتَظِر!!... ؛ بَل جِئْتُ مُنْتَظِرَاً لِقَادِمَ مِن سَفَر!!... ؛ فَتَبَسَّمَ الرَّجُلُ العَجُوزُ وَقَد تَهَدَّمَ مِن كِبَر!!... ؛ قَالَ ابْنُ عَمِّكَ جِئْتَ تَرْقُبُهُ؟!! ... ؛ قُلْتُ ابْنُ عَمِّىَ مِن لَيَالٍ قَد حَضَر!!... ؛ أَنَا جِئْتُ كَى أَرْقُب أَبِى إِى قَالَ فِى هَذَا المَسَاءِ أَنَا أَعُود!!... ؛ وَتَحَيَّرَ الشَّيْخُ العَطُوفُ بِفَجْأَةٍ عَصَفَت رِيَاحٌ وَسْطَ صَرْخَاتِ الرُّعُود!!... ؛ وَبِصَوْتِهِ الفَانِى ابْتَدَر!!... ؛ اخْفِض يَدَاك !! ... ؛ اخْفِض يَدَاكَ فَلَيْسَ مِن أَحَدٍ هُنَاك؟!!... ؛ اخْفِض يَدَاك !!... ؛ قَد مَاتَ مُذ عَامٍ !!... ؛ فَبَعْدَ اليَوْمِ !!... ؛ لا تَرْقُب أَبَاك !!.

فِى بَلْدَةِ الصَّمْتِ اللَّعِين !!

فِى بَلْدَةٍ ظَلْمَاءَ فِى البَرْدِ اللَّعِين !!... ؛ فِى بَلْدَةٍ تَحْيَا بِوَسْطِ الصَّمْتِ لَم تَعْرِف بِيَوْمٍ سِرَّ أَطْيَافِ الحَيَارَى الحَالِمِين !!... ؛ فِى قَلْبِ مَمْلَكَةِ الجُنُوبِ العَابِثَه ... ؛ حَيْثُ المَدَائِنُ وَالقُرَى لَم تَدْرِ يَوْمَاً مَا البَرَاءَةُ مَا الحَنِين !!... ؛ فِى بَلْدَةٍ قَتَلَت أَبِى !!... ؛ وَإِذَا نَظَرْتُ بِلَيْلِ وَحْشَتِهَا أَرُومُ جَوَابَهَا ؟!!... ؛ قَالَت سُؤالُ بِلا جَوَابُ الدَّهْرُ لَيْسَ بِمُعْتِبِ !!... ؛ وَكَذَا قَضَيْتُ عَلَيْكَ بِالتُّعْسِ اللَّعِينِ فَلا سَبِيلَ وَلا هُنَا مِن مَهْرَبِ !!... ؛ وَبَقِيتُ فِى قَهْرِ المَسَالِكِ سَائِرَا !!... ؛ عَيْنَاىَ كَاللَّهَبِ الحَزِينِ وَأَمَّا قَلْبِى فَهُوْ يُزَلْزِلُ ذَا الكَيَانِ يَصِيحُ فِى طَيْشٍ بِكُلِّ جَوَانِبِى !!... ؛ وَبُعَيْدَ سَبْعٍ مِن سِنَى عُمْرِى جَنِيتُ شَقَاوَتِى !!... ؛ وَذَهَبْتُ لِلنَّهْرِ البَعِيدِ لِكَى أَعُود ... ؛ فَرَأَيْتُ أَشْرِعَتِى كَذِكْرَى !!... ؛ وَسْطَ نِيرَانِ الجَحِيمِ سَفَائِنِى !!... ؛ وَهُنَاكَ أَشْلاءٌ لِبَعْضِ مَرَاكِبِى !!... ؛ وَبِلَحْظَةٍ رَعْدُ السَّمَاءِ يَهُزُّنِى !!... ؛ كُلُّ النُّجُومِ تَنَاثَرَت !!... ؛ غَارَت هُنَاكَ كَوَاكِبِى !!... ؛

وَرَجَعْتُ أَعْدُو نَحْوَ قَافِلَةِ القِطَار ... ؛ وَقُبَيْلَ طَرْفِ العَيْنِ قَد وَلَّى !!.... ؛ وَسَار !!... ؛ وَبَقِيتُ وَحْدِى عَالِقَا !!... ؛ أَنْظُر فَلا أُبْصِر سِوَى غَيْمِ السَّمَاءِ وَلا أَرَى غَيْرَ السَّوَادِ بِلَيْلِ أَوْدِيَةِ المَرَار !!... ؛ وَبَقِيتُ وَحْدِى وَسْطَ صَوْتِ البُومِ أَشْبَاحٌ تُطَارِدُنِى تَحُومُ وَوَسْطِ صَيْحَاتِ الرِّيَاح !!... ؛ أَمْشِى يُواجِهُنِى الفَنَاءُ حَقِيبَتِى مَلأى مِنَ الخَوْفِ المُفَزِّعِ !!... ؛ وَالمَآسِى !!... ؛ وَالجِرَاح !!.

قَصَائِدُ الحُبِّ الَّذِى قَد كَان !!

– مَلْحَمَـة :

المُنْتَـحِـرُون

...

((كُلُّنَا هَـذَا الفَقِيـد!!... ؛ كُلُّنَـا مُغْتَـالُ وَسْـطَ اللَّـيْلِ!!... ؛ بِالـوَادِى البَعِيـد!! ... ؛ كُلُّنَـا أَضْحَى صَرِيعَاً بَعْدَ أَن جُرِّع عَـذَابَاتِ النَّـوَى!!... ؛ كُلُّنَا مَقْتُولُ وَالقَاتِل هُو المَوْسُومُ مِن قِدْمِ الزَّمَانِ بِأَنَّهُ!!... ؛ دَاءُ الهَوَى!!.

قِيلَ هَـذَا !!... ؛ رَغْمَ أَنِّـى مُوقِـنٌ أَنَّ الجَمِيعَ هُـوَ الَّـذِى رَغِبَ المَنِيَّـةَ وَانْتَحَـر!! ... ؛ وَالحَقِيقَةُ لَيْسَ مِن فَرْقٍ ... ؛ نِهَايَتُنا جَمِيعَاً !!... ؛ فَوْقَهَا هَزْءَ المَصِيرُ ... ؛ وَفَوْقَهَا!!... ؛ ضَحِكَ القدَر!!.

وَاَشَدُّ عِنْدِى فِى الحَقِيقَةِ أَنَّنَا!!... ؛ كُلُّنَا قَاتِل وَمَقْتُولُ!!... ؛ إِى هَكَذَا !! ... ؛ إِى كُلُّنَا عَاشِق وَلَكِن فِى النِّهَايَةِ فَوْقَ أَرْضِ الوَهْمِ مَخْذُولُ!!.

أَمَّا حَمَامَتُنَا اليَتِيمَةُ إِنَّهَا !!... ؛ وَقَفَت وَقَالَت مَن لَهَا؟!!... ؛ أَنَا قُلْتُ إِنِّـى فِى النِّهَـايَةِ مَحْـضُ تِلْمِيـذٍ صَـغِير!!... ؛ لا أَمْلُـكُ الـدِّينَارَ كَـى آتِـى فَعُـذْرَاً !!... ؛ إِنَّـهُ الـوَهْمُ الكَـبِير!!... ؛ وَذَهَبْـتُ مَهْمُومَـاً وَهِـىْ ذَهَبَـت وَلَكِـن فِـى الأَخِـير!! ... ؛ قَالُوا لَقَد جِئْنَاكِ يَا حَسْنَاءُ بِالزَّوْجِ الرَّشِيد!!... ؛ نَظَرَت رَأَت رَجُلاً تَجَاوَزَ مِن قَدِيمٍ... ؛ أَلْفَ عِيد!!... ؛ قَبِلْتُهُ مُجْبَرَةً وَرَغْمَ الأَنْفِ أَعْطَت عَن صَغَارٍ قَلْبَهَا !!... ؛ إِى هَكَذَا !!... ؛ وَكَأَنَّهَا فِى يَوْمِ عُرْسٍ !!... ؛ قَد تَعَاطَت سُمَّهَا!!.

وَكَذَاكَ فِى يَوْمِ المَرَار!!... ؛ عَاشَت بُعَيْدَ الانْتِحَار!!.

إِى بَعْدَهَا !!... ؛ إِى بَعْدَهَا جَاءَت حَنَان !!... ؛ كَانَت لَنَا أُنْشُودَةٌ تُتْلَى!! ... ؛ دُقْنَا بِهَا صِرْفَ البَرَاءَةِ وَالعُذُوبَةِ وَالأَمَان!!... ؛ الشَّعْرُ كَاللَّيْلِ البَهِيمِ وَرِيقُهَا أَنْفَاسُهَا كَالصُّبْحِ إِن صُبْحٌ تَهَادَى أَو تَنَفَّس!!... ؛ أَنَا كُنْتُ رَاهِبُ عَصْرِهَا!!... ؛ وَكَذَاكَ هِىْ كَانَت لَنَا سِفْرَ الهَوَى ... ؛ وَبَرَاءَةَ العَهْدِ المُقَدَّس!!... ؛ كَانَت حَقِيقَةُ بَعْثَتِى!!... ؛ وَهُنَاكَ فِى فَمِهَا ... ؛ هُنَاكَ نُبُوَّتِى!!... ؛ عِشْنَا!!... ؛ عِشْنَا وَلَكِن قَد أَتَت!!... ؛ أَصْدَاءُ مِن مَجْهُولِ عَصْرٍ قَد عَلَت!!... ؛ جَاءَ الغَنِىُّ المُقْتَدِر!!... ؛ وَبَقِيتُ وَحْدِى تَائِهًا!!

... ؛ أَبْكِى عَلَى زَمَنٍ غَدِر!!.

رَحَلَت بِدَمْعٍ يَسْتَقِى!!... ؛ مِن نَهْرِ أَوْدِيَةِ الأَلَم!!... ؛ أَسِفَت بُعَيْدَ فَوَاتِهِ!! ... ؛ ذَهَبَت لِقَبْرٍ مِن نَدَم!!... ؛ وَأَنَا هُنَا مِن يَوْمِهَا!!... ؛ مَازَالَ يَعْلُونِى الدَّهَش!!... ؛ أَحْيَا عَلَى أَرْضِ العَدَم!!.

إِى بَعْدَهَا ؟!!... ؛ إِى بَعْدَهَا رَامَا الَّتِى تَحْيَا بِشَارِعِنَا العَتِيق!!... ؛ مَا بَيْنَنَا يَفْصِل سِوَى أَمْتَارُ هِى عُرْضُ الطَّرِيق!!... ؛ رُبَّت عَلَى يَدِىَ النَّحِيلَةُ هَاهُنَا مُنْذُ الصِّغَر!!... ؛ كُنَّا نُقَضِّى اللَّيْلَ فِى نَسْجِ الأَمَانِى تَحْتَ أَضْوَاءِ القَمَر!! ... ؛ كُنَّا نُدَاعِبُهَا وَنَمْزَحُ إِى وَنَمْرَحُ مَا عَرِفْنَا بِيَوْمِهَا مَعْنَى السَّآمَةِ لَم يُرَافِقُنَا الضَّجَر!!.

أَذْكُر بِيَوْمِ القَيْظِ فِى وَسَطِ النَّهَار!!... ؛ كُنَّا هُنَالِكَ جَالِسِين!!... ؛ مَا كُنْتُ أَعْرِفُ يَوْمَهَا رِيحَ التَّعَاسَةِ وَالمَرَار!!... ؛ سَأَلَتْنِى مَا عِنْدَ الأَدِيبِ المُنْتَظَر؟!! ... ؛ قُلْتُ الهَوَى شَىْءٌ عَنِيدٌ لا تُحَطِّمُهُ العَوَاصِفُ أَو تُبَدِّلُهُ الغِيَر!!... ؛ أَكْمَلْتُ بَاقٍ مِن كِفَاحِى سَبْعُ أَعْوَامٍ عِجَاف!!... ؛ إِى مَا تَقُولِى حَبِيبَتِى؟!! ... ؛ قَالَت حَبِيبِى لا

تَخَاف !!... ؛ لَوْ صَارَ تَرْحَالٌ بِهَاذِى الأَرْضِ آلافَ السِّنِين!!... ؛ فَمُحَالُ لا لا مِن سَبِيل!!... ؛ فَالحُبُّ فِى قَلْبِى سَيَسْكُنُ دَائِمَاً !!

... ؛ الحُبُّ فِى حِصْنِ البَرَاءَةِ وَالعَفَاف !!.

وَمَضَت لَيَال !!... ؛ بَعْدَهَا سَلَفَت شُهُور !!... ؛ بَعْدَهَا ذَهَبَت سُنُون !!

... ؛ وَأَنَا هُنَاكَ بِوَسْطِ عَاصِمَةِ الدِّيَارِ مُضَيَّعٌ !!... ؛ وَبِيَوْمٍ عَوْدِى كَأَنَّنِى قَد جِئْتُ مَدْعُوَّاً لِيَوْمِ زِفَافِهَا !!... ؛ نَظَرَت إِلَىَّ تَبَسَّمَت !!... ؛ وَكَأَنَّهَا لِرِيَاحِ نِسْيَانِ العُهُودِ تَنَسَّمَت !... ؛ قَالَت لِى بِالنَّظَرَاتِ دَعْ عَنْكَ الَّذِى بِالأَمْسِ قَد وَلَّى وَكَان !!... ؛ هَاذِى مَوَاثِيقٌ كَوَاذِبُ مَا عَسَى تَفْعَل إِذَا جَاءَ الخَرِيفُ!!

... ؛ وَدِيسَتِ الأَحْلامُ مِن قَدَمِ الزَّمَان ؟!!.

حَمَلَتْهَا نَاقَةُ زَوْجِهَا يَوْمَ المَسِير !!... ؛ وَبَقِيتُ وَحْدِى وَاقِفَاً !!... ؛ وَبَقِيتُ وَحْدِى وَاقِفَاً أَنْظُر هُنَالِكَ فِى الأُفُق !!... ؛ أَذْكُر كُلَيْمَاتٍ بِيَوْمِ القَيْظِ فِى زَمَنِ الهَوَى الغَضِّ الغَرِير !!.

وَبُعَيْدَهَا ؟!!... ؛ وَبُعَيْدَهَا جَاءَت مَنَال !!... ؛ حَمَلَتْهَا رِيحٌ قَد أَتَت مِن عِنْدِ أَزْمِنَةِ المُحَال !!... ؛ شَهْرَانِ تَعْبَثُ كَى تُحَاوِلَ صَيْدَ شَاعِرَ نَحْوَ أَطْرَافِ المَدِينَةِ قَد أَتَى !! ... ؛ ظَلَّت تَرُومُ وَهُوَ يُدَاعِبُ مَكْرَهَا !!... ؛ وَبِآخِرِ الأَدْوَارِ قُلْتُ اليَوْمَ لا ضَيْرٌ !!... ؛ فَقَد عَشِقَ الفَتَى !!.

سِرْنَا قَلِيلاً كُلَّ يَوْمٍ فِى الغُرُوب !!... ؛ فِى أَوَّلِ الأَمْرِ الجَمِيلِ رَأَيْتُهَا أُخْتَ الكَمَال !!... ؛ وَبُعَيْدَ بِضْعِ مَوَاقِفٍ !!... ؛ صَرَخَ القُطُوب ؟!!... ؛ فَصَمَتُّ كَالمَخْدُوعِ يُوهِمُ أَنَّهُ سَيَسِيرُ دَوْمَاً فِى الطَّرِيق !!... ؛ مَثَّلْتُ بِالدَّمْعِ البَرِىءِ

مَوَدَّتِى !!... ؛ وَيلَحْظَةِ الحُبِّ الجَمِيلِ تَرَكْتُهَا ؟!!... ؛ خَلَّفْتُهَا عِنْدَ المَضِيق !!. وَبُعَيْدَهَا ؟!!... ؛ وَبُعَيْدَهَا جَاءَت مُنَى !!... ؛ بِالقُرْبِ مِنَّا وَسْطَ حَارَتِنَا العَتِيقَةِ قَد أَتَت عَاشَت هُنَا !!... ؛ عَاشَت مَعَ زَوْجٍ لَعِينٍ لا يَرَى غَيْرَ الأَنَا !! ... ؛ وَبِصُدْفَةٍ قَدَرِيَّةٍ عِنْدَ الأَصِيلِ عَرِفْتُهَا !!... ؛ كَانَت هِىَ البَادِى وَكُنْتُ أَنَا المُجِيب !!... ؛ سَأَلَتْنِى أَنْتَ الشَّاعِرُ السَّائِر عَلَى دَرْبِ الحَيَارَى التَّائِهِين ؟!! ... ؛ فَأَجَبْتُ أَدْرَكْتِ الخَبِيئَةَ !! تَعْرِفِين !!... ؛ إِنَّنِى هَذَا الأَدِيب !!... ؛ سَأَلَتْنِى عَن بَحْرٍ بِهِ سُفُنٌ تُهَاجِرُ نَحْوَ أَرْضٍ لا تَرَى غَيْرَ الحَقِيقَةِ وَاليَقِين ؟!! ... ؛ فَأَجَبْتُهَا أَنَا لِى سُنُونٌ لَم أَزَل أَبْحَث أَجُوبُ الأَرْضَ أَسْأَلُ فِى المَدَائِنِ وَالقِفَار !!... ؛ قَالَت فَهَل أَمَلٌ يُخَبِّرُ عَن قَرِيبٍ قَد تَصِل ؟!!... ؛ عَن قَرِيبٍ قَد تَجِد فِى الشَّاطِىءِ المَجْهُولِ مَا يُنْسِى ... ؛ عُهُودَ الانْكِسَار ؟!!... ؛ فَأَجَبْتُهَا إِى قَد أَرَى أَن لا مَحَالَةَ قَد يَكُون !!... ؛ وَإِذَا خَسِرْتُ فَلا مَلامَ فَإِنَّ دُنْيَانَا حُظُوظٌ ... ؛ أَو ظُنُون !!... ؛ وَتَرَكْتُهَا وَمَضَيْتُ فِى دَرْبِى أَسِير... ؛ فُوجِئْتُ بِالصَّوْتِ الحَزِينِ أَن انْتَظِر !!.. ؛ قَالَت أَمَا تَبْغِى رَفِيقاً أَو سَمِيراً فِى السَّفَر ؟!! ... ؛ قَالَت وَمَدَّت لِى يَدَا !!... ؛ قَالَت لَعَلَّ مَعَاً سَنُبْصِرُ مَا الهُدَى !!... ؛ سِرْنَا مَعَاً وَالحَقُّ قَد أَحْبَبْتُهَا !!... ؛ كُنَّا نُؤَمِّلُ أَن نَرَى نُورَ الحَيَاةِ بِدَرْبِنَا ... ؛ وَبِذَاتِ يَوْمٍ جِئْتُهَا !!... ؛ أَن قُلْتُ لا يَحْسُن بِنَا... ؛ حُبُّ النَّهَارِ وَفِى المَسَاءِ أَرَاكِ فِى بَيْتٍ غَرِيب !!... ؛ الزَّوْجُ فِى اللَّيْلِ البَهِيمِ وَعِنْدَ إِصْبَاحٍ !! ... ؛ يَجِى دَوْرُ الحَبِيب !! ... ؛ حَقَّاً هَوَانَا شَأْنُهُ ؟!!... ؛ شَأْنٌ عَجِيب ؟!! ... ؛ فَغَدَاً مَعَاً نَحْوَ الهُرُوب !! ... ؛ وَالمَوْعِدُ المَضْرُوبُ فِى وَقْتِ الغُرُوب !! ... ؛ قَالَت بُعَيْدَ تَسَاؤلٍ بِالعِيْنِ يُخْبِرُ عَن خَفِىٍّ قَد

أَتَى !!... ؛ قَالَت نُهَاجِرُ فِى الغَدِ !!... ؛ آتِيكَ مَعْ خَيْطِ المَسَاءِ لِمَوْعِدِى !!... ؛ فِى الصُّبْحِ جَاءَتْنِى فَتَاةُ تَقُولُ قَد ذَهَبَت مُنَى !! ... ؛ رَحَلَت مَعَ فَجْرٍ مَطِيرٍ ... ؛ لَم تَعُد تَقْطُن هُنَا !!... ؛ تَرَكَت رِسَالَةَ لِى بِأَسْطُرِهَا جَوَابُ سُؤالِىَ الحَيْرَانُ عَن سِرِّ الرَّحِيل !!... ؛ وَفَضَضْتُ أَخْتَامَ الرِّسَالَةِ فِى صَبَاحٍ مِثْلَ أَنْفَاسِ الرَّدَى ... ؛ أَو مِثْلَ صَيْحَاتِ العَوِيل !! ... ؛ فَوَجَدتُهَا تَذْكُر كُلَيْمَاتِ الوَدَاع !!... ؛ قَالَت ظُرُوفُ حَيَاتِىَ الحَيْرَى لَقَد شَاءَت بِأَن يَبْقَى الصِّرَاع !!... ؛ أَنَا لَسْتُ أَرْضَى مِن حَلِيلِى بِالطَّلاق !!... ؛ أَفَأَنْتَ تَرْغَبُ أَن نَسِيرَ بِنَحْوِ مَجْهُولِ الفَيَافِى وَالبِلاد ؟!!... ؛ نَرْقُب بِأَزْمِنَةِ المَرَاثِى أَن يُوافِينَا انْعِتَاق ؟!!... ؛ عُذْرًا حَبِيبِى فَإِنَّنِى أَخْشَى الدُّرُوبَ المُوعِره !! ... ؛ وَلِذَا أَرَدْتُ بِأَن أُرِيحَكَ مِن مَآسِينَا وَحِيرَتِنَا!!... ؛ بِإِعْلانِ الفِرَاق !!.

إِى هَكَذَا !!... ؛ إِى هَكَذَا رَحَلَت مُنَى !!... ؛ قَتَلَت هَوَانَا بِاعْتِذَار !! ... ؛ عَادَت لِمَوْطِنِهَا القَدِيم !!... ؛ وَذَهَبْتُ وَحْدِى فِى القِطَار !!. وَبُعَيْدَهَا ؟!!... ؛ وَبُعَيْدَهَا جَاءَت سِهَام !!... ؛ جَاءَت وَلا أَدْرِى لِمَا جَاءَت بِأَرْضٍ قَد أَمَاتَت مُنْذُ أَزْمَانٍ هَوَاهُ فَلَم يَعُد إِلاَّ الرَّمَادُ مِنَ الغَرَام ؟!! ... ؛ كَانَ اللِّقَاءُ بِحَارَةِ الأَغْرَابِ فِى زَمَنِ الشِّتَاء... ؛ كَانَت تُحَادِثُنِى عَنِ الشَّمْسِ الحَنُونَةِ أَمَّا حَالَتِى كَانَت كَدَمْعَةِ يَائِسٍ عِنْدَ المَسَاء !!... ؛ أَيَّامُ جَاءَت ثُمَّ وَلَّت بَعْدَهَا... ؛ نَظَرَت فَلَم تُبْصِر فَتَاهَا عِنْدَهَا !!... ؛ أَنَا قُلْتُ مَخْدُوعٌ إِذَا أَمَّلْتُ أَنَّ النَّجْمَ قَد يَظْهَر بِلَيْلٍ لَم يَرَ غَيْرَ المَطَر !!... ؛ نَظَرَت سِهَامُ فَلَم تَرَانِى قَادِمًا

!!... ؛ صَمَتَت عَلَى وَجَلٍ !!... ؛ وَفِى عَصْرٍ تَلاقَيْنَا فَقُلْتُ مُبَادِرَا !! ... ؛ عُذْرَاً إِلَيْكِ أَيَا فَتَاه !!... ؛ عُذْرَاً فَإِنَّ العُمْرَ أَخْبَرَ أَن مُحَالٌ أَن يَنَالَ العَاشِقُ المِسْكِينُ فِى يَوْمٍ مُنَاه !!... ؛ ذَهَبَت وَقَالَت لا مَلام !!... ؛ ذَهَبَت وَقَالَت لا تَحَار !!... ؛ فَالعِشْقُ فِى زَمَنِى حَرَام !!.

وَبَقِيتُ وَحْدِى مِن جَدِيد !!... ؛ وَبَقِيتُ وَحْدِى مِن جَدِيد !!... ؛ أَحْيَا بِزِىِّ الفَقْرِ وَالحِرْمَانِ فِى زَمَنِ الأَسَى !!... ؛ أَمْشِى بِأَقْدَامِى ... ؛ عَلَى بَرْدِ الجَلِيد !!.

وَبُعَيْدَهَا ؟!!... ؛ وَبُعَيْدَهَا ؟!!... ؛ وَبُعَيْدَهَا كَانَت رَبَاب !!... ؛ كَانَت سَوَاداً فِى بَلاءٍ فِى عَذَاب !!... ؛ تُبْدِى دُمُوعَ بَرِيئَةٍ !!... ؛ وَالسُّمُّ ذُو الطَّعْمِ اللَّعِينِ خِيَانَةُ الدَّمِّ الكَرِيهِ وَغَدْرُهَا !!... ؛ تُخْفِيهِ مِن خَلْفِ النِّقَاب !!... ؛ مَا كُنْتُ أَعْرِفُهَا وَعُذْرِى فِى جَهَالَةِ أَمْرِهَا !!... ؛ أَبْدَت كَلاماً رَامَ مِنِّى أَنَّهَا صَوْتُ البَرَاءَةِ مِن جَحِيمِ زَمَانِهَا !!... ؛ وَكَذَاكَ كَان !!... ؛ سِرْنَا فَكَانَت تَسْبِقُ الأَحْدَاثَ مِن قَبْلِ الأَوَان !!... ؛ فَالعِشْقُ قَد يَبْقَى سِنِيناً لا يَرَى غَيْرَ الكَلام !!... ؛ لَكِن بِأَعْرَافِ الإِنَاثِ المَاجِنَه !!... ؛ هُوَ مَحْضُ رَقْصٍ فَوْقَ أَصْدَاءِ المُدَام !!... ؛ وَسَأَلْتُ يَوْمَاً ؟!!... ؛ وَسَأَلْتُ يَوْمَاً كَيْفَ فَلْسَفَةُ الحَبِيبَةِ يَوْمَ أَن عَاشَت بِأَزْمِنَةِ الجِرَاح ؟!!... ؛ قَالَت أَقُومُ اللَّيْلَ لا أَسْجُد لِمَعْبُودِى ؟!!... ؛ وَلَكِن إِنَّمَا ؟!!... ؛ أُخْرِج نُهُودِى؟!!... ؛ بِقَسْوَةٍ ؟!! ... ؛ بِقَسْوَةٍ أَعْصِرْهُمَا بَيْنَ الشِّفَاهِ السَّاخِنَه!!... ؛ أَسْكُب عَلَى حَلَمَاتِهَا مِن بَعْضِ رَاح!!... ؛ أَنَا قُلْتُ يَا حُبِّى البَرِىء!!... ؛ أَنَا كُنْتُ أَزْعُمُ أَنَّنِى الوَلَدَ الجَرِىء؟!!... ؛ لَكِن بِهَذَا حَقِيقَةً

!!... ؛لَكِن بِهَذَا حَقِيقَةً أَنَا صِرْتُ تِلْمِيذاً بِمَدْرَسَةِ الجُنُون !!... ؛أَنَا كُنْتُ أَزْعُمُ أَنَّنِى كَالخَيْلِ لا تَهْدَأ وَلا تَعْرِف قَرَار !! ... ؛وَاليَوْمَ حُلْمِى أَن يَكُونَ العَيْشُ فِى ظِلِّ السُّكُون !!... ؛إِى مَن بِهَاذِى الأَرْضِ يَسْعَدُ أَن تَكُونَ نِهَايَتِى !!... ؛قَلْبٌ تَوَقَّفَ فَوْقَ جِسْمِ فَتَاةَ لَم تَرْقُب بِهَذَا الكَوْنِ غَيْرَ العَيْشِ فِى لَيْلِ المُجُون !!... ؛أَنَا أُمِّى قَالَت لِى يَوْمٍ فِى الصِّغَر ... ؛أَن لَن تَمُت مِن قَبْلِ أَن تُبْصِر عَيُونَ المُومِسَات !!... ؛إِى قَد رَأَيْتُ وَبَعْدَهَا أَعْلَنْتُ عُذْرَاً لَن أَكُون !!... ؛عُذْرَاً لِسَاخِنَةِ النُّهُود !!

... ؛عُذْرَاً فَإِنِّى إِى وَرَبِّى لا أَعُود !!... ؛عُذْرَاً فَإِنَّ الحُبَّ مَات !!.

وَبُعَيْدَهَا ؟!!... ؛وَبُعَيْدَهَا كَانَت هِبَه !!... ؛مَا كَان فِى حُلْمِ الفَتَاةِ سِوَى حَيَاةٍ طَيِّبَه !!... ؛تَرَكَت بَوَادِيهَا وَجَاءَت كَى تَعِيشَ هُنَا بِأَعْمَاقِ المَدِينَه !!... ؛أَنَا كُنْتُ ذَاهِبُ فِى دُرُوبِى وَجَدتُهَا تَشْكُو بِأَشْعَارٍ حَزِينَه !!... ؛وَاسَيْتُهَا فَرَأَيْتُهَا قَالَت أَلا تَرْغَب فِى أَن تَسْعَى مَعِى فِى وِحْدَتِى فَالضَّعْفُ يَشْمَلُنِى وَالعَزْمُ يَسْقُطُ فِى الطَرِيقِ ؟!!... ؛فَأَجَبْتُهَا !!... ؛فَأَجَبْتُهَا عَلَى أَىِّ نَحْوٍ قَد أَكُون ؟!! ... ؛قَالَت أَخِى فِى عُزْلَتِى... ؛أَو قُل صَدِيقِ !!... ؛سِرْنَا عَلَى الشَّرْطِ الصَّرِيح !!... ؛وَبِفَجْأَةٍ !!... ؛قَالَت أُحِبُّكَ دَاوِنِى فَالقَلْبُ مِن أَلَمٍ جَرِيح !!... ؛أَنَا حِرْتُ فِى أَمْرِى وَمِن دُونِ التَّأَمُّلِ أَو نَظَر !!... ؛أَنَا قُلْتُ مَن يَدْرِى؟! ... ؛فَسِيرِى لا ضَرَر !!... ؛مِن يَوْمِهَا سِرْنَا كَعُشَّاقٍ عَلَى دَرْبِ الأَمَل !! ... ؛وَبُعَيْدَ أَشْهُرَ مِن تَارِيخِ لِقَاءِنَا !!... ؛جَاءَ المَلَل !!... ؛فَتَرَكْتُهَا !! ... ؛ فَتَرَكْتُهَا إِذ كَانَ حُبِّيهَا كَوَهْمٍ لا يَبِين !!... ؛وَمَضَيْتُ لا أَلْوِى عَلَى شَىْءٍ وَهِىْ ذَهَبَت لِتَحْيَا فِى لَيَالِى اليَائِسِين

!!... ؛ مَرَّت بِدَمْعِ القَهْرِ فِى نَهْرِ العُيُون !! ... ؛ ذَهَبَت وَهِىْ تَبْكِى عَلَى العَهْدِ الخَؤون !!... ؛ فَأَجَبْتُهَا !!... ؛ فَأَجَبْتُهَا أُخْتَاهُ لا تَبْكِى فَفَرْقٌ بَيْنَ عَشْقِى لِلْحَبِيبَةِ بَيْنَ حُبِّى لِلصَّدِيقَه !!... ؛ هَل تَذْكُرِى شَرْطَ اللِّقَاءِ الأَوَّلِ ؟!!... ؛ فَهُنَاكَ أَسْبَابُ الفِرَاقِ !!... ؛ هُنَاكَ أَسْرَارُ الحَقِيقَه !!.

وَبُعَيْدَهَا ؟!!... ؛ وَبُعَيْدَهَا تَغْرِيدُ كَانَت مُنْذُ أَزْمَانٍ تَوَلَّت وَاقِفَه !!... ؛ وَكَأَنَّهَا عَن كُلِّ أَزْهَارِ العُمُر أَضْحَت هُنَالِكَ عَازِفَه !!... ؛ أَنَا كُنْتُ أَعْبُرُ فِى طَرِيقِى أَرَاهَا لا أَعْبَأ بِهَا !!... ؛ مَا كُنْتُ أُبْصِرُهَا سِوَى أُنْثَى تَعِيشُ بِحَارَةِ النَّهْرِ الصَّغِيرِ بِلا رِفَاقٍ غَيْرَ صَمْتِ حَيَاتِهَا !!... ؛ خَمْسٌ مِنَ الأَعْوَامِ وَلَّت مُنْذُ يَوْمِ مَجِيئِهَا وَأَنَا مُحَالٌ أَن أُدَاوِرَ أَو أُنَاوِرَ أَو أَرُوم !!... ؛ فَهِىَ كَمَا يَبْدُو حَزِينَةُ وَالحَقِيقَةُ أَنَّنِى عِفْتُ التَّقَدُّمَ نَحْوَ أُنْثَى فَوْقَهَا زَمَنٌ كَئِيبٌ لا يَرَى غَيْرَ الغُيُوم !! ... ؛ لَكِن لَقَد شَاءَ القَدَر !!... ؛ مَا كُنْتُ أَحْسَبُ ذَا يَكُونُ وَإِنَّمَا لا عُجْبَ فَالعُمْرُ المُولِّى مَلِيءُ بِالأَسْفَارِ عَن كُنْهِ العِبَر !!... ؛ كَانَت تَقُولُ بِأَنَّنِى شَخْصٌ غَرِيب !!... ؛ بَيْنَا أُضَاحِكُهَا تَرَى فِى لَحْظَةٍ صَمْتَاً يَدُلُّكَ أَنَّنِى قَد جِئْتُ مِن عَصْرٍ كَئِيب !!... ؛ وَمَضَت بِنَا الأَيَّامُ ثُمَّ عَرِفْتُهَا ؟!!... ؛ كُلُّ الحَيَاةِ بِعُرْفِهَا !! ... ؛ زَوْجٌ يَجِى يَحْمِلُهَا لِلبَيْتِ الجَدِيدِ وَحَسْبُ هَذَا حُلْمُهَا !!... ؛

وَذَهَبْتُ فِى يَوْمٍ صبِيح ؟!!... ؛ دَاعَبْتُهَا بِطَرِيقَتِى وَلَّت وَهِىْ تَبْكِى وَقَالَت إِنَّنِى!!... ؛ لا أَسْتَرِيح !!... ؛ أَقْسَمْتُ لا أَبْغِى وَرَاءَ المَزْحِ مِن شَىْءٍ مُرِيب !! ... ؛ قَالَت تَخَالُ الحُبَّ مَبْذُولٌ لِكُلِّ سَحَابَةٍ دَوْمَاً يُجِيب ؟!!... ؛ قَالَت تَخَالُ اللَّهْوَ مَطْرُوحٌ وَمَبْذُولُ ؟!!... ؛ قَالَت تَظُنُّ بَرَاءَتِى وُئِدَت وَهَذَا السِّتْرُ فَوْقَ

الطَّيْشِ مَنْثُورٌ وَمَسْدُولُ ؟!!... ؛أَنَا قُلْتُ مَهْلاً يَا صَبِيَّةُ لَسْتُ بِالخِلِّ الدَّنِىءِ وَلا الوَغْدِ !!... ؛فَلَعَلَّ فَهْمُكِ مُقْتَبَس مِن عِشْقِ فَتَىً تَوَلَّى فَعُذْرَاً قَد نَسِيتُكِ إِى وَقَد أُنْسِيتُ مَا قُلْنَا وَمَا عِنْدِى !!... ؛وَتَرَكْتُهَا !!... ؛وَتَرَكْتُهَا وَالسُّخْطُ قُدَّامِى وَمِن خَلْفِى شَيَاطِينُ النَّهَار !!... ؛وَلَعَنْتُهَا !!... ؛أَلْقَيْتُ فِى وَجْهِ

الزَّمَانِ بِمَا حَوَتْهُ يَدِى النَّحِيلَةُ!!... ؛مِن بُقَيَّاتِ الغُبَار !!.

وَرَجَعْتُ ثَانِيَةً !!... ؛وَرَجَعْتُ ثَانِيَةً لأَمْشِى بِلا حُبٍّ بِلا أَحَدِ !!... ؛أَقْتَاتُ مِن هَمِّ الشَّقَاءِ وَبِالأَغَانِى قَد تَبُوحُ وَتَشْتَكِى مِن بُؤْسِ عَهْدِى !!... ؛وَمَضَيْتُ كَالمَلْعُونِ حِينَ وَشَى عَلَى جَسَدِ المَسِيح !!... ؛فَبَقِى مُخَلَّدَ وَسْطَ لَعْنَتِهِ فَلا يَحْيَا كَمَا يَحْيَا البَشَر !!... ؛أَو لا يَمُوتُ !!... ؛فَيَسْتَرِيح !!.

وَبُعَيْدَهَا ؟!!... ؛وَبُعَيْدَهَا ؟!!... ؛حُبٌّ كَمَيْتٍ مَا وُلِد !!... ؛حُبٌّ أَرَادَ لأَن يُرَى !!... ؛وَبِلَحْظَةِ المِيلادِ فِى صَمْتٍ وُئِد !!... ؛هِنْدُ البَرِيئَةُ يَا مَلاك !! ... ؛أَنَا عِشْتُ فِى لَيْلِ الهَلاك !!... ؛أَنَا عِشْتُ فِى الزَّمَنِ السَّقِيم !!... ؛أَبَدَاً أُنَاجِى فِى دَيَاجِى رِحْلَتِى !!... ؛قِدِّيسَةَ الحَىِّ القَدِيم !!... ؛﴿ لا خَيْلَ عِنْدِىَ أُهْدِيهَا وَلا مَالُ ﴾ !! ... ؛فَلْيُسْكَبِ الدَّمْعُ إِن لَم يُسْعِدِ الحَالُ !!... ؛ذَهَبَت مَعَ زَوْجٍ لِتَحْيَا فِى مَتَاهَاتِ القُرَى!!... ؛وَبَقِيتُ وَحْدِى حِيلَتِى شِعْرٌ أُرَدِّدُهُ لأَطْيَافِ الكَرَى!!... ؛ذَهَبَت بِلا عَوْدٍ فَمَهْلاً يَا رِحَال !!... ؛مَا عَادَ بَعْدَ اليَوْمِ

يُجْدِى الحُبُّ!!... ؛أَو مَحْضُ السُّؤال!!.

وَبُعَيْدَهَا ؟!!... ؛ وَبُعَيْدَهَا أَسْمَاءُ كَانَت مَوْطِنِى !!... ؛كَانَت بِلادِى وَمَسْكَنِى !!... ؛كَانَت مَلاذِى وَمَوْئِلِى !!... ؛مَازِلْتُ أَذْكُرُ مُنْذُ أَزْمَانٍ لِقَائِى الأَوَّلِ

!!... ؛ كُنَّا بِجَمْعٍ مِن بَشَر !!... ؛ مَا بَيْنَ طَفْلٍ أَو فَتَاةٍ أَو صَبِى !! ... ؛ مَا بَيْنَ أُمٍّ أَو فَتَى أَو مَحْضِ شَيْخٍ قَد تَهَدَّمَ مِن كِبَر !!... ؛ مَازِلْتُ أَذْكُرُ ذَا الصَّبَاح !!... ؛ مَازِلْتُ أَذْكُرُ كَيْفَ لَم نَعْبَا بِبَرْدِ الفَجْرِ أَو عَصْفِ الرِّيَاح !! ... ؛ شُغِلَ الجَمِيعُ بِشَأْنِهِم !!... ؛ بِطَعَامِهِم وَبِخُبْزِهِم !!... ؛ بَيْنَا العُيُونُ تَكَلَّمَت !!... ؛ وَقَعَ الهَوَى !!... ؛ فَرَأَيْتُهَا صَمَتَت وَمِن بَيْنِ النِّسَاءِ تَبَسَّمَت !! ... ؛ كَانَت كَبَدْرِ الكَوْنِ فِى اللَّيْلِ الحَزِين !!... ؛ كَانَت كَلَحْنٍ سَاحِرٍ يَنْزِع مِنَ الصَّدْرِ المُعَذَّبِ كُلَّ آلامِ السِّنِين !!.

مَازِلْتُ أَذْكُرُ وَجْهَهَا !!... ؛ مَا عَيْنُهَا ؛ مَا ثَغْرُهَا وَشِفَاهُهَا !!... ؛ مَا غُصْنُهَا وَقَوَامُهَا وَبَرِيقُهَا !!... ؛ مَازِلْتُ أَذْكُرُ حُسْنَهَا وَجَمَالَهَا !!.

سِرْنَا مَعَا !!... ؛ كَانَت مَلاكُ وَفَوْقَ أَرْضِى قَد نَزَل !!... ؛ جَاءَت بِشَمْسٍ قَد أَبَادَت كُلَّ أَزْمَانِ المَلَل !!... ؛ أَحْيَت مَعِينَاً كَانَ فِى قَلْبِى نَضِب !!... ؛ ذَهَبَت رِيَاحُ الحُزْنِ وَالآثَارُ مِن عَهْدِ الغَضَب !!... ؛ كَانَ اللِّقَاءُ هُنَاكَ دَوْمَاً وَسْطَ أَحْشَادِ الجُمُوع !!... ؛ كَانَ النَّهَارُ إِذَا أَتَت يُحْيِى كَوَامِنَ قُوَّتِى وَإِرَادَتِى !! ... ؛ أَمَّا المَسَاءُ وَفِى لَيَالِى غُرْبَتِى ... ؛ عَيْنَاهَا كَانَت لِى شُمُوع !!... ؛ مَازِلْتُ أَذْكُرُ مُنْذُ أَعْوَامٍ تَخَلَّت كَيْفَ كَانَ لِقَاؤنَا عِنْدَ الصَّبَاح !!... ؛ كَيْفَ كُنْتُ بِرُؤيَةِ الوَجْهِ الحَبِيبِ أُمِيتُ مَا قَد كَانَ فِى لَيْلِى مِنَ الأَوْجَاعِ... ؛ أَو صَوْتِ الجِرَاح !! ... ؛ وَبِفَجْأَةٍ !!... ؛ وَبِفَجْأَةٍ غَابَت عُيُونُ حَبِيبَتِى !!... ؛ وَنَظَرْتُ لا أَدْرِى جَوَابَاً لِلسَّبَب ؟!!... ؛ وَبُعَيْدَ تَسْآلِى الحَزِين ؟!!... ؛ أَيْقَنْتُ أَنَّ السِّرَّ هُوَ عُدْمِى وَإِفْلاسِى وَفَقْرِى وَفَاقَتِى !!... ؛ وَلِذَاكَ وَلَّت بَعْدَ يَأْسٍ مِن رَجَاءٍ لَم يَرَ غَيْرَ القُنُوط

!!... ؛وَبَقِيتُ وَحْـدِى مِـن جَدِيـدٍ تَائِهَـا !!... ؛وَبِلَحْظَةٍ ؟!! .. ؛كَـانَ السُّقُوط !!.. ؛وَتَرَادَفَت عِنْدِى المَعَـانِى كُلُّهَـا !!... ؛كَلِمَـاتُ مَجْـدٍ !! .. ؛أَو سُكُوت !!.. ؛العَـيْشُ فِـى صَـرْحِ المَعَـالِى أَو بِإِحْـدَى خَرَائِـبِ المَجْهُـولِ !! ... ؛مَطْـرُوحٌ يَمُوت !!... ؛لا فَرْقَ بَيْنَ السُّمِّ مَعْسُولاً وَذِى طَعْمٍ مَرِير !!

... ؛لا فَرْقَ عِنْدَ البَائِسِ المَحْطُومِ أَن يَبْقَى طَوِيلاً !!... ؛أَو يُعَجَّلَ بِالمَصِير !!.

إِى هَاذِى كُلُّ حِكَايَتِى !!... ؛مَا بَيْنَ خَاتِمَتِى وَبَيْنَ بِدَايَتِى !!... ؛كَانُوا وَهَـا أَنَـا فِـى الأَخِيـر !!... ؛جَسَـدٌ طَـرِيح !!... ؛رُوحٌ تُطَارِدُهَـا خَيَـالاتُ الـرَّدَى !! ... ؛عَيْنٌ كَلِيلَةٌ لا تَرَى غَيْرَ التَّلاشِى !! ... ؛وَالنِّهَايَةِ !! ... ؛وَالمَصِير !!... ؛ هَاذِى رِوَايَةُ قُيِّدَت بِالأَسْطُرِ الحَمْرَاءِ مِن قَلَمِ الزَّمَن !!... ؛بِالأَمْسِ قَد كَانُوا هُنَا !!... ؛وَاليَوْمَ أَشْبَاحِى هُنَالِكَ عِنْدَ صَخْرِ الوَهْمِ !!... ؛فِى وَادِى المِحَن !!. وَبَقِيتُ وَحْدِى !!... ؛وَبَقِيتُ وَحْدِى حَائِرًا وَسْطَ الدُّرُوب !!... ؛رُوحِى مَلِيئَةُ ؟!! ... ؛بِالشَّظَايَا !!... ؛وَالنُّدُوب !!.

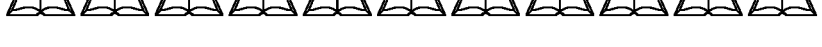

هَاذِى بِضَاعَتُنَا !!

هَبَاءٌ كُلُّهُنَّ فَلا عِتَاب !!... ؛ وَأَلُومُ نَفْسِى لأَنَّ عُمْرِى قَد أُضِيعَ بِوَسْطِ أَدْيرَةِ الكِلاب !!... ؛ رَامَا أَحَبَّت ؟!!... ؛ مَا أَحَبَّت !!... ؛ إِنَّمَا حُلْمُ الفَتَاةِ بِأَن تَعِيشَ عَلَى الفِرَاشِ حِوَارُهَا وَغْدٌ لَئِيمٌ !.. ؛ أَو حَقِيرٌ كَالذُّبَاب !!... ؛ أَن تَقُولَ بِأَنَّ لِى زَوْجٌ وَهَا نَحْنُ نَعِيشُ بِخَلْفِ بَاب !!... ؛ وَمَنَالُ مَا أَدْرَاكَ مَا كَانَت مَنَال ؟!!

... ؛ فَمَنَالُ كَانَت مِثْلَ شَحَّاذٍ يَدُورُ وَلا يَمَلُّ مِنَ السُّؤال !!... ؛ لَولا الحَيَا كَانَت تَصِيحُ أَنَا أَبِيعُ اليَوْمَ نَفْسِى لِلرِّجَال !!... ؛ أَمَّا مُنَى !!... ؛ فَهِىَ الضَّيَاعُ هِىَ العَنَا ... ؛ قَالَت أَعِيشُ إِلَى النِّهَايَةِ لَن أُفَارِقَ مِن هُنَا ... ؛ لَمَّا رَأَيْتُ الحُبَّ مَا حُبٌّ وَلَكِن إِنَّمَا مَحْضُ اشْتِهَاء ؟!!... ؛ أَنَا قُلْتُ عُذْرَاً يَا فَتَاتِى لَسْتُ مِن رُوَّادِهِ وَالفُحْشُ مَا عِنْدِى أَنَا !!... ؛ تَغْرِيدُ أَعْطَتْنِى مَقَادَتْهَا بِيُسْرٍ وَاخْتِصَار !!

... ؛ تَخْشَى الصَّبِيَّةُ أَن يُوَلِّى العُمْرُ أَو يَمْضِى القِطَار !!... ؛ أَسْمَاءُ كَانَت مِثْلَ حِرْبَاءٍ تَزَيَّا كُلَّ يَوْمٍ بِالجَدِيد !!... ؛ جَعَلَتْنِى فِى مَأْتَم !!... ؛ وَكُنْتُ أَظُنُّنِى فِى يَوْمِ عِيد !!... ؛ عَيْنٌ هُنَا عِنْدِى وَعَيْنٌ نَحْوَ مَجْهُولٍ بَعِيد !!... ؛ وَرَبَابُ لَحْنٌ لا يَمَلُّ مِنَ الحَدِيثِ مِنَ الكَلِم !!... ؛ لَو كُلَّ يَوْمٍ جَاءَهَا شَيْطَانُ يَبْغِى وِصَالَهَا رَضِيت فَلا تَعْرِف مَلالَ وَلا سَأَم !!... ؛ جَاءَت بِكُلِّ رَدِيَّةٍ لَو قَد رَآهَا الكَلْبُ أَعْرَضَ وَاحْتَشَم !!.

هَاذِى بِضَاعَتُنَا الجَمِيلَةُ يَا رِفَاق !!... ؛ مَحْضُ احْتِقَارٍ وَسْطَ حَفْلٍ مِن بُزَاق !!

.. ؛ فَالحَمْدُ لِلرَّبِّ الكَرِيمِ فَإِنَّ رُوحِى إِى وَنَفْسِى إِى وَدَمِّى !!... ؛ لَم يُرَاق !!.

رِسَالَةٌ إِلَى الفَتَاةِ الرَّاهِبَه !!

عُذْرَاً فَتَاتِى !!... ؛ عُذْرَاً لأَنـِّى قَـد خَـدَعْتُكِ مُنْـذُ رِحْلَتِنَـا !!... ؛ مَـا كُنْـتُ يَوْمَـاً عَاشِقَاً أَو وَالِهَاً أَو مُعْجَبَا !!... ؛ كُلُّ الحَقِيقَةِ أَنَّنِى !!... ؛ كُلُّ الحَقِيقَةِ أَنَّنِى مِن فَـرْطِ ضِيقِى كُنْـتُ أَمْشِـى تَائِهَـاً أَو مُتْعَبَـا !!... ؛ خَرَجَـت عَلَـىَّ عُيُونُـكِ الحَيْـرَى وَقَالَت لا تُجَاوز وَانْتَظِر !!... ؛ وَبِوَقْتِهَا أَنَا لَم أَجِد بِالقَلْبِ هَذَا الوَجْدُ أَو تِلْكَ الصَّبَابَةُ إِنَّمَا نَادَيْتُ هَيَّا لِلْمَسِيرِ فَلَيْسَ عِنْدِى بِذِى الدُّنَا شَىْءٌ يَسُر !!.

كَانَت بِـدَايَتُنَا وَهَـذَا مَـوْقِفِى !!... ؛ إِنَّمَـا رَغِبَـت بَـرَغْمِ تَمَنُّعِى وَلِـذَاكَ لا تَسْلُك بِفِكْرِى نَحْـوَ دَرْبٍ مِـن خِـدَاعٍ مُؤسِـفِ !!... ؛ كَـم مَـرَّةٍ حَاوَلْـتُ أَن أُعْلِـنَ نِهَايَـةَ قِصَّتِى ؟!!... ؛ لَكِنَّهَا فِى كُلِّ لُقْيَا تَبْتَدِر وَتَقُولُ تُخْبِر أَنْتَ قِدِّيسُ المَشَاعِرِ كُلِّهَا إِى أَنْتَ سِرُّ حَقِيقَتِى !!... ؛ وَبِآخِرِ التَّرْحَالِ فِى دُنْيَا الرِّوَايَه الكَاذِبِه !!... ؛ أَنَا قُلْـتُ مَعْذِرَةً لأَنِّى لَسْـتُ أَبْغِى لَسْـتُ أُكْمِـلُ ذَا الطَّرِيـق !!... ؛ إِى فَـاجْعَلِينِى حَبِيبَتِى رَجُـلاً غَرِيبَـاً أَو كَرِيهَـاً أَو صَـدِيق !!... ؛ وَذَهَبْـتُ وَحْـدِى لَسْـتُ أَعْبَـأُ مَـا يَكُـون !!... ؛ أَمَّا الفَتَاةُ فَقَد تَوَلَّت هَارِبَه !!... ؛ ذَهَبَت لِدَيْرِ الصَّمْتِ كَى تَحْيَا بِهِ !!... ؛ تَمْشِى بِهَذِهِ الأَرْضِ لَكِن بِالفُؤادِ مُسَيْطِرٌ !!... ؛ رُوحُ الفَتَاةِ الرَّاهِبَه !! ... ؛ هَاذِى بِدَايَتُنَا وَتِلْكَ الخَاتِمَه !!... ؛ مَا كُنْتُ مَعْصُومَاً !! ؛ وَلا هِىَ ظَالِمَه !! ... ؛ تِلْكَ الحِكَايَةُ كُلُّهَا !!.

إِلَى مَن تَاهَ دَمْعُهَا بَيْنَ المَطَر !!

((عُـذْرَاً فَتَاتِى!!... ؛ عُـذْرَاً فَتَاتِى الحَائِرَه !!... ؛ عُـذْرَاً لأَنَّ عُيُـونَكِ الثَّكْلَى بِأَرْضِ رَجَاءِهَا فِى يَوْمِ عِيدٍ قَد تَوَلَّت خَاسِرَه!!... ؛ لا فَرْقَ بَعْدَ وَدَاعِنَا مَن ذَا نَجَا أَو مَن خَسِر!!... ؛ فَالمَرْكَبُ الوَرْدِىُّ عِنْدَ عُبُورِهِ فِى وَسْطِ نَهْرٍ قَد تَهَشَّمَ وَانْكَسَر!!... ؛ مَا كُنْتِ حُلْمِى!!... ؛ مَا كُنْتِ حُلْمِى وَهَا أَنَا مَا كُنْتُ يَوْمَاً بِالحَبِيبِ المُنْتَظَر!!... ؛ عِشْقٌ مُحَالٌ!!... ؛ عِشْقٌ مُحَالٌ أَن يُنَاطَ الحُلْمُ بِى وَأَنَا عَلَى بَحْرِ الزَّمَانِ أُرِيدُ عَوْدَ سَفَائِنِى كَى أَبْدَأَ التِّرْحَالَ أُعْلِنُ مِن جَدِيدٍ ... ؛ عَن رَحِيلٍ أَو سَفَر!!... ؛ عُـذْرَاً !!... ؛ عُـذْرَاً فَيَوْمُ لِقَاءِنَا وَسْطَ الغُيُومِ!!
... ؛ بِقَلْبِ أَوْدِيَةِ المَطَر!!.

عُـذْرَاً !!... ؛ عُـذْرَاً فَمَا يُجْدِى البُكَـاء!!... ؛ أَنَـا دَمْعُ عَيْنِى قَد نَزِف فِى ظِلِّ أَزْمِنَةِ الشَّقَاء!!... ؛ وَلِذَا فَإِنِّى؟!!... ؛ وَلِـذَا فَإِنِّى قَد أَمُرُّ عَلَى الدَّمِ المَسْفُوحِ مِن غَيْرِ امْتِعَاضٍ أَو عَنَاء!!... ؛ هَا أَنْتِ تَرْثِينَ الهَوَى يَوْمَ التَّفَرُّقِ وَالخَسَار!!... ؛ وَأَنَا بِطُبْشُورٍ كَئِيبٍ قَد كَتَبْتُ نِهَايَتِى فِى وَجْـهِ أَحْشَـاءِ الجِدَار!!... ؛ عُـذْرَاً فَتَاتِى حَقِيقَـةً!!... ؛ عُـذْرَاً فَتَـاتِى فَإِنَّـنِى !!... ؛ أَنَـا كُـلُّ يَـوْمٍ فِـى قِطَـار!!... ؛ مَـا عُدْنَا!!... ؛ مَا عُدْنَا فِى زَمَنِ البُطُولَةِ وَالبَسَالَةِ وَالصُّمُود!!... ؛ بَل نَحْنُ فِى عَصْرِ الخَيَارَى وَالأَسَارَى !!... ؛ وَسْطَ أَجْبَالِ القُيُود!!.

لا تَسْأَلِى!!... ؛ لا تَسْأَلِى عَنِّى صِحَابِى أَو رِفَاقِى فِى البِلاد!!... ؛ قَد بُعْثِرُوا وَسْطَ الرِّيَاحِ الهُوجِ لَم يَبْقَ لَنَا غَيْرَ المَآسِى وَالهَزَائِمِ إِنَّهَا دَوْمَاً تُبَادِرُ فِى

احْتِشَاد !!... ؛ مَا كَانَ حَقُّكِ أَن تَجُوبِى وَسْطَ صَمْتِ مَدَائِنِى!!... ؛ فَالأَرْضُ قَد مُلِئَت بِأَشْلاءِ المُنَى فِى يَوْمِ حَفْلٍ قَد تَهَاوَت قِصَّتِى سَقَطَت هُنَاكَ مَآذِنِى!!... ؛ لَم يَبْـقَ غَيْـرُ الـرِّيحِ تَعْبَـثُ فِـى مَتَاهَـاتِ الفَيَـافِى وَالخَرَائِـب!! ... ؛ فَحَبِيبَتِـى لا تَعْجَبِى!!... ؛ فَحَيَاتُنَا فِى قَلْـبِ عَصْرٍ لا يَمَـلُّ مِـنَ المَقَـابِحِ وَالمَخَـازِى وَالمَثَالِـب !!... ؛ وَلِّى سَرِيعَاً !!... ؛ وَلِّى سَرِيعَاً لا تُضِيعِى العُمْـرَ

فِى لَفَتَاتِ حُـزْنٍ أَو وَدَاع !!... ؛ فَمَصِيرُ أَشْعَارِى بِهَذَا التِّيهِ هُـو مَحْـضُ التَّمَـزُّقِ وَالضَّياع !!... ؛ لا تَذْكُرِى عَهْدِى فَمَا أَعْطَيْتُ قَلْبَكِ غَيْرَ أَزْهَارٍ بِلَـوْنِ اللَّيْـلِ قَـد قُهِرَت مِنَ اليَأْسِ المُبَدَّدَ بَيْنَ فَقْرِ أَصَابِعِى !!... ؛ لا تَذْكُرِى زَمَنَاً مَدَامِعُكِ الشَّجِيَّةُ قَـد تَمَادَت فَوْقَ عَرْشِ مَوَاجِعِى !!... ؛ عُـودِى لأَرْضٍ قَد تَجُودُ بِلَحْظَةٍ مِن بَعْدِ أَن ذُبِلَـت وُرُودُكِ !!... ؛ بَعْـدَ أَن وئِـدَ الحُلُـم يَـوْمَ التَّغَنِّى بِالأَمَـانِى عِنْـدَ أَعْتَـابِ التَّمَنِّى وَالرَّجَاء !!... ؛ سِيرِى وَخَلِّينِى لأَشْدُو اليَوْمَ بَعْضَ قَصَائِدِى !!... ؛ فَهِىَ الَّتِى تَبْقَى!!... ؛ فَهِىَ الَّتِى تَبْقَى إِذَا مَا صِرْتُ مَحْضَ وَدِيعَةٍ فِى جَوْفِ تِيهٍ!!... ؛ لَم يَرَ غَيْرَ المَهَالِكِ !! ... ؛ وَالتَّلاشِى !! ... ؛ وَالفَنَاء .)).

القَلْبُ الخَلِىُّ !!... مِنَ النُّقُوش

((مَجُوسِيَّةُ الرَّغَبَاتِ!!... ؛ عَذْرَاءُ الجَسَد!!... ؛ تَحْيَا بِقَلْبٍ نِصْفُهُ صَخْرٌ وَنِصْفٌ قَد فُطِر فِى لَيْلِ أَصْوَاتِ السَّآمَةِ وَالكَمَد!!... ؛ تَسْعَى بِأَوْرِدَةِ الحَيَاةِ دَمٌ خَؤونٌ لَم يَكُن يَوْمَاً لأَشْعَارِ التَّوَحُّدِ وَالبَرَاءَةِ مُسْتَمِع!!... ؛ لَم تَقْتَرِف فُحْشَاً لِتَقْبَع فِى زَوَايَا الاعْتِرَافِ تُرِيدُ مَحْوَ خَطِيئَةٍ عِنْدَ الصَّوَامِعِ وَالبِيع!! ... ؛ حَنِيفِيَّةُ النَّظَرَاتِ لَم تَدْرِ الغِوَايَةَ لَم تَذُق طَعْمَ المَآثِمِ وَالخَنَا الرَّذِلِ الكَئِيب!!... ؛ مِن نَسْلِ أَبْنَاءِ اليَهُودِ فَهِىْ تَعِيشُ اليَوْمَ جُبْنَاً مُفْزِعَاً !!... ؛ وَغَدَاً تُقِيمُ الحَفْلَ فِى كِبْرٍ رَهِيب !!... ؛ لَم تَدْرِ سِرَّ الدَّمْعِ فِى عَيْنِ الفَتَى العُذْرِىِّ يَرْنُو فِى ظَلامِ اللَّيْلِ فِى زَمَنِ المَطَر!!... ؛ مَا كَانَ عَيْبَاً عِنْدَهَا!!... ؛ فَفُؤادُهَا جُلْمُودُ صَخْرٍ لا يَحُسُّ كَيَانُهَا مَعْنَى الهَوَى إِى لَم يُفَزِّع مُقْلَتَيْهَا عِنْدَ أَوْقَاتِ السَّحَر!!... ؛ عَيْنَانِ كَالطِّفْلِ البَرِىءِ المُسْتَكِين!!... ؛ وَإِذَا تَأَمَّلْتَ الشِّفَاهَ رَأَيْتَهَا كَالنَّارِ تَأْكُلُ لا تَدَع زَرْعَاً وَلا صَرْحَاً مَكِين!!... ؛ وَيَدَانِ لَم تَرَيَا بِعُمْرٍ غَيْرَ آثَارِ التَّنَزُّهِ وَالنَّعِيم!!... ؛ أَقْدَامُهَا فِى حِيرَةٍ !!... ؛ تَمْشِى كَمَغْضُوبٍ عَلَيْهِ

يَسِيرُ كَى يُلْقَى لأَفْوَاهِ الجَحِيم!!.

مَتَنَاقِضٌ!!... ؛ مَتَنَاقِضٌ هَذَا الكِتَاب!!... ؛ مُلِئَت طُرُوسُهُ مِن كُلَيْمَاتِ الرُّسَل!!... ؛ وَالسِّفْرُ مَحْفُوظٌ بِحِصْنٍ عِنْدَهُ وَقَفَت شَيَاطِينٌ تَصِيحُ بِقَلْبِهِ أَصْدَاءُ أَرْوَاحٍ مُشَوَّهَةٍ غِضَاب!!... ؛ مُتَنَاقِضٌ!!... ؛ مُتَنَاقِضٌ يَا قَلْبُهَا؟!! ... ؛ إِبْلِيسُ تَابَ بُعَيْدَ أَن عَرِفَ الهَوَى؟!!... ؛ قِدِّيسُ عَاشَ بِدَمْعِهِ وَبِفَجْأَةٍ

مَزَّق مُسُوحَ الطُّهْرِ وَلَّى قَد تَزَنْدَقَ أَو غَوَى؟!!... ؛ أَهِىَ حَفِيدَةُ مَن حَمَت مُوسَى مِنَ الوَيْلاتِ فِى يَوْمِ العَذَاب؟!!... ؛ أَم أَنَّ جَدَّتَهَا الكَبِيرَةُ تِلْكَ مَن أَخَذَت تُرَاوِدُ عَبْدَهَا الصِّدِّيقَ إِى مِن مَكْرِهَا قَد غَلَّقَت فِى السِّرِّ بَاب؟!! ... ؛ هَاذِى بِرَبِّى مَن تَكُون؟!!... ؛ رَبُّ الطَّهَارَةِ وَالبَرَاءَةِ وَالسُّكُون؟!! ... ؛ أَم إِلَهُ الخَسْفِ وَالإِعْصَارِ فِى لَيْلِ الجُنُون؟!!... ؛ رَوحٌ تَقُولُ بِأَنَّهَا الأُمُّ المُبَرَّأَةُ الرَّؤوم؟!!... ؛ سَيْفٌ بِلَوْحَتِهِ دِمَاءٌ لَيْسَ يَعْرِفُ غَيْرَ جَلاَّدٍ غَشُوم؟!! ... ؛ مُتَنَاقِضٌ هَذَا الكَلام!!... ؛ تَعبِيرُ مِنْطِيقٍ وَأَحْيَانَاً تَرَى المَحْمُومَ يَهْذِى فِى المَنَام!!.

هِىَ تَعْرِفُ التَّكْبِيرَ فَوْقَ مَآذِنِى!!... ؛ وَكَذَاكَ تَطْرَبُ لِلنَّوَاقِيسِ الَّتِى تَعْلُو كَنِيسَةَ رَاهِبِ!!... ؛ آيَاتُنَا فِى مُصْحَفٍ عِنْدَ السَّحَر وَالصَّوْتُ يَحْجُزُهُ النَّحِيب!!... ؛ دَمْعَاتُ قِدِّيسٍ يَنُوحُ وَيَبْتَهِل عِنْدَ الصَّلِيب!!... ؛ لا فَرْقَ بَيْنَ مُوَحِّدٍ وَمُثَلِّثٍ !!... ؛ أَو بَيْنَ أَرْبَابِ السَّعَادَةِ وَالنُّحُوس!!... ؛ تَبْكِى بِيَوْمِ السَّبْتِ تَعْشَقُ شَعْبَهَا المُخْتَارُ لَكِن إِن أَتَى زَمَنُ الشِّتَاءِ فَهِى هُنَاكَ !!... ؛ يوَسْطِ نِيرَانِ المَجُوس!!.

مُتَشَابِهٌ!!... ؛ مُتَشَابِهٌ فِى عُرْفِهَا يَوْمُ الثَّكَالَى وَالجَنَائِز!!... ؛ أَو حُبُّ لاهِيَةٍ تَسِيرُ وَلا تَرَى غَيْرَ المَخَازِى وَالغَرَائِز!!... ؛ قَلْبٌ كَصَخْرٍ مُعْتِمٍ لَم يَعْرِفِ البَوْنَ الَّذِى جَعَلُوهُ بَيْنَ الغُولِ فِى البَيْدَاءِ أَو دِفءِ البُيُوت!!... ؛ كَحَمَامَةٍ بَيْضَاءَ لَكِن حَوْلَهَا

تُبْنَـى خُيُـوطُ العَنْكَبُـوت!!... ؛ سِـيَّانَ مَـن يَحْيَـا هُنَـاكَ بِأَرْضِـهَا ... ؛ أَو مَـن يَمُوت!!... ؛ أَصْدَاءُ كَلِمَاتِ الفَمِ المَعْسُولِ يَمْلأُ سَاحَتِى!!... ؛ وَبِلَحْظَةٍ وَكَأَنَّ شَيْئَاً لَم يَكُن!!... ؛ وَبِلَحْظَةٍ كَانَ السُّكُوت!!.

أَتُرَاهُ قَلْبَاً قَد يُرِيدُ بِغَيْرِ كَـدٍّ أَو نَصَـب جَنْـىَ الأَزَاهِرِ وَالثِّمَـار؟!!... ؛ أَم أَنَّـهُ يَـأْسٌ قَدِيمٌ قَد نَشَا فِى ظِلِّ أَوْدِيَةِ التَّعَاسَةِ وَالمَرَار؟!!... ؛ النَّفْسُ قَد فَنِيت وَطَعْمُ الغَدْرِ مِن تَابُوتِهَا يَأْتِى يَفُوح؟!!... ؛ أَبَرِيئَةٌ وَالعُذْرُ أَن الرُّوحَ قَد مُلِئَت بِآثَارِ المَوَاجِعِ ... ؛ وَالجُرُوح؟!!.

يَـا سَـيِّدِى!!... ؛ يَـا سَـيِّدِى هَـاذِى تَعِلَّـةُ حَـائِرٍ!!... ؛ وَحَقِيقَـةُ الأَمْـرِ اللَّعِـينِ بِأَنَّهَا!!... ؛ أَمَدَائِنُ العُشَّاقِ يَوْمَـاً قَـد هَـوَت!!... ؛ وَسْطَ الظَّـلامِ وَفِى الجَحِيمِ هُنَـاكَ قَد قَامَت عُـرُوش!!... ؛ كُلٌّ هَبَاءُ بِعُرْفِهَا!!... ؛ لاجَرْمَ هَذَا فَإِنَّهُ!! ... ؛ قَلْبٌ خَلِىٌّ!!... ؛ مِـنَ النُّقُـوش!!.)).

كلمات ...عِند المغيب

أَبْنَاءُ جِيلِى كُلُّهُم !!

أَبْنَاءُ جِيلِى كُلُّهُم يَضْحَك هُنَالِكَ
فِى مَوَاسِمِ الحَصَاد !!
كُلُّهُم يَجْنِى الزُّهُورَ بِنَشْوَةٍ ... ؛ لَم يَعْرِفُوا
يَوْمَاً شَقَاءَ الدَّهْرِ لَم تُبْصِر عُيُونُهُمُ دُبُولَ
النَّفْسِ فِى لَيْلِ التَّعَاسَةِ وَالعِنَاد !!
وَأَنَا هُنَا !!... ؛ مَجْهُولُ مَالِى مِن وَطَن !!
... ؛ مَجْهُولُ مَالِى مِن بِلاد !!... ؛ فَاللَّعْنَةُ
الشَّوْهَاءُ تَرْقُبُ رِحْلَتِى !!
وَأَنَا هُنَا فِى عُزْلَتِى !!... ؛ أَمْشِى بِوَادِ التِّيهِ لا
حَقٌّ هُنَاكَ !!... ؛ وَلا رَشَاد !!
أَبْنَاءُ جِيلِى كُلُّهُم فِى بَرْدِ أَزْمِنَةِ العَنَا يَنْعَم بِدِفءِ
الحُبِّ يَجْلِسُ بَيْنَ أَطْفَالٍ صِغَار !!
وَأَنَا هُنَا فِى وِحْدَتِى حَظِّى التَّعَاسَةُ وَالكَآبَةُ وَالمَرَار !!
أَبْنَاءُ جِيلِى كُلُّهُم يَجْلِس هُنَاكَ بِوَسْطِ لَيْلٍ فِى
أَحَادِيثِ السَّمَر !!
وَأَنَا هُنَا ضَاعَت بَقَايَا قُوَّتِى !!... ؛ أَمْشِى بِحُزْنِى
تَحْتَ أَجْبَالِ المَطَر !!

أَبْنَاءُ جِيلِى كُلُّهُم قَضَّى العُمُرْ مَا بَيْنَ أَعْرَاسٍ
وَأَعْيَادٍ وَبَيْنَ مَلاعِبِ !!
وَأَنَا هُنَا !!... ؛ لا تَنْقَضِى مِن طُولِ أَيَّامِ الشَّقَاءِ
عَجَائِبِى !!
آمَالُ عُمْرِى فِى سُقُوطِ دَائِمٍ !!... ؛ وَالقَحْطُ
مَنْثُورٌ !!... ؛ بِأَرْضِ رَغَائِبِى !!
كُلُّهُم يَرْشُف رَحِيقَ الحُبِّ فِى أَرْضِ الهَوَى !!
... ؛ وَأَنَا هُنَا أَرْثِى لِعِشْقٍ قَد تَهَالَكَ أَو تَوَلَّى
أَو غَوَى !!
كُلُّهُم يَعْلَم مَتَى يَمْضِى !!... ؛ وَكَيْفَ تَعُودُ فِى
نَصْرٍ خُطَاه !!
وَالشَّاعِرُ الحَيْرَانُ يَجْهَدُ فِى الفَيَافِى وَالقِفَار !!
... ؛ يَجْنِى الخَرَائِبَ وَالشَّدَائِدَ !!... ؛ لَم يَرَ !!
... ؛ يَوْمَاً مُنَاه !!

العِشْقُ حُلْمٌ مَا أَتَى

((العِشْقُ حُلْمٌ مَا أَتَى... ؛ كُلُّ اللَّيَالِى الخَالِيَه... ؛ عَبَرَت وَقَالَت فِى أَسَى ... ؛ بَل عِشْ بِحُزْنِكَ يَا فَتَى... ؛ العِشْقُ حُلْمٌ مَا أَتَى.

العِشْقُ حُلْمٌ لَم يَكُن ... ؛ إلاَّ كَأَشْعَارٍ غَدَت ... ؛ وَكَأَنَّهَا فِى حَسْرَةٍ وَيدَمْعِ رَاهِبَةٍ تُنَادِى : ...إِلَى مَتَى ؟!!... ؛ اليَوْمَ لا أَمَلٌ هُنَاكَ فَمَا عَسَى ؟!! ... ؛ العِشْقُ حُلْمٌ مَا أَتَى.

العِشْقُ أَضْحَى مِن أَمَد ... ؛ أُضْحُوكَةَ الرِّيحِ الَّتِى... ؛ جَعَلَتْهُ يَحْيَا عَاجِزَاً... ؛ بَيْنَ التَّعَاسَةِ وَالكَمَد ... ؛ يَحْيَا بِعُزْلَةِ قَهْرِهِ ... ؛ مِن غَيْرِ آمَالِ الزَّمَانِ وَلا أَحَد ... ؛ صَوْتٌ يُنَادِى مِن بَعِيد... ؛ صَوْتٌ كَقَهْرِ اليُتْمِ بَيْنَ رِفَاقِهِ فِى يَوْمِ عِيد ... ؛ صَوْتٌ يُبَاعِدُ بَيْنَ أَيَّامِى وَبَيْنِى... ؛ صَوْتٌ يُذَكِّرُنِى بِعَهْدِ الحُلْمِ فِى لَيْلِ التَّمَنِّى ... ؛ أَحْبَابَ رُوحِى غِبْتُمُ... ؛ وَسَكَنْتُمُ قَلْبِى وَمَا... ؛ يُغْنِى الخَيَالُ المُشْتَهَى... ؛ وَغَدَاً أَسِيرُ بِلا رُجُوع ... ؛ أَمْضِى بِحَيْثُ أَقِف !!... ؛ بِيَوْمِ المُنْتَهَى.

إِى هَكَذَا ... ؛ إِى هَكَذَا كَانُوا المُنَى... ؛ وَبَقِيتُ وَحْدِى فِى جِوَارِ الصَّمْتِ فِى لَيْلِ العَنَا... ؛ رَحَلُوا كَطَيْفٍ قَد عَبَر ... ؛ صَارُوا هُنَاكَ وَكَانُوا فِى عَهْدٍ مَضَى !!... ؛ أَو قَد غَبَر... ؛ ذَهَبُوا فَلا يُجْدِى التَّوَهُّمُ... ؛ وَالرَّجَاءُ المُنْتَظَر... ؛ وَبَقِيتُ وَحْدِى وَاقِفَا... ؛ رَحَّالَةٌ نَبَذَ المَسِيرَ وَفَاضَ مِن فَرْطِ السَّأَم... ؛ وَلِذَا تَرَاهُ عَنِ البَوَارِقِ وَالخَوَاطِفِ وَالمَطَامِعِ ؟!!... ؛ عَازِفَا

... ؛ إِى هَكَذَا... ؛ مَا عُدتُ أَعْبَأُ فِى حَيَاتِى بِمَن وَدَا ... ؛ فَوْقَ الصُّخُورِ الصُّمِّ قَد دَمِيَت خُطَاه ... ؛ وَطَرِيقُهُ مِثْلُ الجَحِيمِ مِنَ المُحَالِ بِأَن تَرَى يَوْمَاً مَدَاه !! ... ؛ عَيْنِى الضَّعِيفَةُ لا تَرَى غَيْرَ السُّكُونِ وَبَعْضِ أَجْبَالِ السَّحَابِ القَاتِمِ ... ؛ وَالكَوْنُ وَجْهٌ ؟!!... ؛ مِثْلُ مَلْعُونٍ كَئِيبٍ وَاجِمِ ... ؛ وَأَنَا هُنَا ... ؛ وَأَنَا هُنَا فِى الأَرْضِ مَا فِى جُعْبَتِى ؟!!... ؛ غَيْرُ الرَّجَاءَاتِ الَّتِى صَارَت سُدَى ... ؛ وَلَّت وَضَاعَت فِى المَدَى... ؛

أُذُنِى تَسَمَّعُ صَوْتَ بُومٍ قَد أَتَى ... ؛ يُخْبِر

وَيُنْذِر قُرْبَ سَاعَاتِ الرَّدَى... ؛ ذَهَبَت نُجُومُ اللَّيْلِ

وَاعْتَذَرَ القَمَر... ؛ أَمَّا أَنَا ؟!! ... ؛ شَبَحٌ يَجُوبُ

الدَّرْبَ لا أَحَدٌ سِوَى !!... ؛ وَقْعِ المَطَر.

... ؛ هَذَا أَنَا !!... ؛ هَذَا أَنَا !!... ؛

وَكَأَنَّنِى حَتَّى نِهَايَةِ رِحْلَتِى !!... ؛

سَأَظَلُّ مَأْسُوراً هُنَا !!.)).

أُغنيةُ الخريفِ الأخير

آخِـرُ قَصَائدِ العِشْقِ فى حَيَاتِى
عَلَى ذِكْرَى عَهْدَكِ الحَزِين !!... ؛ يَا هِبَه
فَتَاةُ بَلْدَتِى القَدِيمَة !!... ؛ سَامَحَ اللهُ الزَّمَن

إِى قَـد عَشِقْتُك !!

((قَالُوا هَوَاهَا مُحَمَّدٌ !!... ؛ هَذَا النِّزَارِىُّ الغَرِيب !!... ؛ أُتَرَاهُ يَعْشَـقُ أَم يُـدَاعِبُ أَم يَرُومُ البَحْثَ عَن أَمْرٍ مَعِيب ؟!!... ؛ وَأَطَالُوا فِى عَبَثِ الحَدِيثِ لأَنَّهُم ؟!! ... ؛ مُلِئَت قَلُوبُهُمُ بِجَهْلِ الحَبِّ مَا عَلِمُـوا بِأَسْـرَارِ الصَّبَابَةِ وَالهَـوَى !!... ؛ كُـلُّ الحَيَاةِ بِعُرْفِهِم ؟!!... ؛ عَقْلٌ تَفَاحَشَ أَو تَمَاجَنَ أَو غَوَى !!... ؛ أَمَّا البَرَاءَةُ وَالوَفَا أَو مَا احْتَوَتْهُ هُنَاكَ أَسْرَارُ القُلُوب !!... ؛ لُغْزٌ عَجِيبٌ عِنْدَهُم !!... ؛ هُم مَا دَرُوا غَيْرَ الخَطَايَا وَالرَّزَايَا وَالذُّنُوب !!... ؛ وَأَقُـولُ لا أَعْبَـأُ بِـأَنِّى عَشِقْتُهَا وَالقَلْـبُ قَـد أَعْلَن هُنَاكَ بِأَن أَحَب !!... ؛ وَأَقُولُ غَيْرَ مُخَجَّلٍ !!... : هَل فِى الهَوَى وَالعِشْـقِ ذَنْب ؟!!... ؛ الحُبُّ هُوْ سِرُّ الحَيَاةِ بِأَرْضِنَا !!... ؛ الحُبُّ مَلْحَمَةٌ تُغَنِّى فِى تَأَمُّلِ صَمْتِنَا !!... ؛ قُولُوا فَإِنِّى !!... ؛ قُولُوا فَإِنِّى لَن أُغَادِرَ مِن هُنَا !! ... ؛ قُولُـوا فَقَـد أَضْـحَت حَيَـاتِى إِى وَرَبِّـى هِـىَ الأَمَـانِى وَالمُنَـى !!... : ذَهَبَـت خُطُوبُ الدَّهْرِ آلامُ الحَيَاةِ المُرْهِبَه !!... ؛ بَقِيت هُنَاكَ مَقُولَتِى !!... ؛ وَأَقُولُ فِى صِدْقٍ أَنَا !!... : أَنَا قَد عَشِقْتُكِ يَا هِبَـه !! .))

النَّارُ فِى عَيْنِى!!... وَالسُّمُّ فِى رِيقِى!!

لا اليَأْسُ يَعْرِفُنِى ... ؛ وَلا أَعْرِفُ اليَأْسَا !!... ؛ أَنَا مَن قَهَرْتُ الذُّلَّ وَالتُّعْسَا !! ... ؛ لا الحُزْنُ يَهْزِمُنِى وَلا ضِيقِى !!.... ؛ النَّارُ فِى عَيْنِى !!.... ؛ وَالسُّمُّ فِى رِيقِى !!... ؛ مَاتَت حِكَايَاتِى وَتَشَعَّبَت طُرُقِى !!... ؛ سَأَعِيشُ سِرِّىَ فِى طُهْرِى وَفِى صِدْقِى !!... ؛ لا الكَوْنُ يَأْسِرُنِى وَلا الأَرْضُ !!... ؛ فَالحُبُّ يَعْرِفُهُ الإِحْسَاسُ وَالنَّبْضُ !!... ؛ أَنَا لا تُحَرِّكُنِى الصُّرُوفُ وَلا الخُطُوب !!... ؛ فَأَبِى بِيَوْمِ حِمَامِهِ قَالَ الرُّجُولَةُ لِلمَآسِى وَالكُرُوب !!... ؛ أُمِّى بِيَوْمِ وَفَاتِهَا قَالَت نِزَارُ ابْنُ الغَرَابَةِ وَالخَيَال !!... ؛ سَيَعِيشُ لا يَعْبَأ بِغَيْرِ السَّيْرِ فِى أَرْضِ المُحَال !!... ؛ سَأَظَلُّ أَبْسُمُ رَغْمَ أَحْزَانِى أُغَنِّى !!... ؛ سَأَمُوتُ يَوْمَاً إِنَّمَا !!... ؛ سَيُخَلِّدُ التَّارِيخُ فَنِّى !!.

مَا بَيْنَ بَدْئِى !!... وَالخِتَام؟!!

مَا بَيْنَ بَدْئِى وَالخِتَام؟!!... ؛أَقَاصِيصٌ... ؛رِوَايَاتٌ... ؛حِكَايَاتُ... ؛فَهُنَاكَ مَن ذَهَبُوا!! ... ؛وَمَن فُقِدُوا!! ... ؛وَمَن مَاتُوا !!... ؛وَبَقِيتُ وَحْدِى فِى الأَخِير!! ... ؛رُوحٌ تَجُوبُ هُنَاكَ فِى التِّيهِ الكَبِير!! ... ؛أَمَلٌ تَحَوَّلَ يَا صَدِيقِى إِلَى رَمَاد!! ... ؛مَا عُدْتُ أَعْرِفُ يَا أَخِى !! ... ؛مَعْنَى السَّفَاهَةِ وَالرَّشَاد؟!! ... ؛أَشْلاءُ أَحْلامٍ!! ... ؛أَشْلاءُ أَحْلامٍ أُمِيتَت فِى الخَرِيف !!... ؛لا فَرْقَ بَعْدَ اليَوْمِ!! ... ؛مَن غَصَبَ الهُدَى (١)[٤١] !!... ؛وَمَنِ العَفِيف !!... ؛لا فَرْقَ بَيْنَ الشَّيْخِ عَرْبَدَ فِى المَقَابِحِ وَالمَثَالِبِ لا يَثُوبُ[٤٢](٢) وَلا يَفِيق!! ... ؛أَو بَيْنَ طِفْلٍ بَاسِمٍ فِى وَسْطِ لَيْلٍ !!... ؛قَد تَهَشَّمَ رَأْسُهُ فَوْقَ الطَّرِيق !! ... ؛يَا سَيِّدِى !! ... ؛كُلُّ الحَقَائِقِ قَد هَوَت!!... ؛كُلُّ العُقُولِ هُنَاكَ فِى زَمَنِ الرَّذَائِلِ وَالمَخَازِى قَد غَوَت!!... ؛وَلِذَاكَ دَعْنِى فَإِنَّنِى!!... ؛ وَلِذَاكَ دَعْنِى فَإِنَّنِى سَأَسِيرُ وَحْدِى فِى المَدَائِنِ وَالدُّرُوب !!.. ؛أَقْتَاتُ مَعْنَى الحُزْنِ فِى لَيْلِ المَآسِى!!... ؛ وَالخُطُوب !!... ؛أَمْضِى كَمَلاَّحٍ !!... ؛أَمْضِى كَمَلاَّحٍ تُطَارِدُهُ رِيَاحُ القَهْرِ فِى بَحْرِ الضَّيَاع !!... ؛أَمْضِى كَعَبْدٍ مِلْكَ نَخَّاسٍ يَعِيشُ مَصِيرُهُ أَن يُشْتَرَى أَو أَن يُبَاع !!... ؛أَنَا قَد كَفَرْتُ بِكُلِّ أَعْرَافِ الحَيَاه !!... ؛لا فَرْقَ بَعْدَ اليَوْمِ عِنْدِى بَيْنَ

---

(١) - فُلانٌ يَمْضِى عَلَى هُدَى: أَى عَلَى بَصِيرَةٍ.

(٢) -ثَابَ فُلانٌ إِلَى رَشَدِهِ: أَى عَادَ وَرَجِع.

أَفْئِدَةِ المَلائِكِ وَالطُّغَاه !!... ؛ عُلِّمْتُ فِى يَوْمِى اللَّعِينِ حَقِيقَةً؟!!... ؛ الحَـقُّ عِنْدَ النَّاسِ شَىْءٌ لا يُرَى إلاَّ سِوَاه ؟!!... ؛ دَعْ أَمْرَ قَلْبٍ أَو عُقُولٍ إِنَّهَا وَهْمٌ هُنَا !!... ؛ إِنَّ الشَّرِيعَةَ فِى زَمَانِى تَقِيسُ كُلٌّ حَسْبَ مَا مَلَكَت يَدَاه !!... ؛ وَلِـذَا فَدَعْنِى لا تُمَهِّل إِى وَلا تَقُل انْتَظِر !!... ؛ سَأَعُودُ ثَانِيَـةً لأَنْسَى الحُـزْنَ فِى تِيـهِ السَّفَر !!... ؛ سَيَقُولُ قَوْمِى ظَلَّ يَجْتَازُ الدُّرُوبَ لِكُلِّ أَزْمِنَةِ الحَيَاةِ وَلِلمُحَالِ قَد اخْتَرَق !!... ؛ ضَـاعَت رُؤاهُ فَعَـاشَ فِى وَهْـمِ السَّرَابِ !!... ؛ هُنَـاكَ فِى قَلْـبِ الجَحِيمِ !!... ؛ قَد احْتَرق ... ؛ هَـذَا أَنَـا !!... ؛ هَـذَا أَنَا !!... ؛ وَسْطَ الـرِّيَاح!! ... ؛ رُوحٌ مَلِيئَةُ !!... ؛ بِالمَوَاجِعِ !!... ؛ وَالجِرَاح!!... ؛ وَغَـدَاً هُنَـاكَ القَبْـرُ فِى طَرَفِ المَدِينَةِ سَاكِنٌ وَسْطَ الظَّلام!!... ؛ سَكَنَ الفُؤادُ فَلا رَجَاءَ هُنَاكَ لِلدُّنْيَا اللَّعِينَةِ لا مَلام!!... ؛ قَبْرٌ حَزِينٌ خَاشِعٌ!!... ؛ صُنِعَت حِجَارَتُهُ هُنَاكَ مِنَ الكَآبَةِ وَالـدُّمُوع!!... ؛ فَـإِذَا أَرَدتُـوا الحُـزْنَ يَوْمَـاً عِنْـدَهُ!!... ؛ فَـابْكُوا وَلَكِـن!!... ؛ فِـى خُشُوع!!.

وَهَا أَنا فِى النِّهَايَةِ !! ... كَلِمَات
حَزِينَةٌ !!... فِى صَفْحَةِ الوجُود !!

أَنَا هُنَا

أَنَا هُنَا وَسْطَ الغُيُوم !!... ؛ مَا بَيْنَ تَنْعَابِ الغُرَابِ وَصَوْتِ بُوم !!... ؛ أَنَا هُنَا وَسْطَ الغُيُوم !!... ؛ لا الرِّيحُ تَعْصِرُ هِمَّتِى !!... ؛ أَنَا لا تُحَطِّمُنِى العَوَاصِفُ لا تُمَزِّقُنِى الهُمُوم !!... ؛ بَيْنَا الدُّمُوعُ تَسِيلُ مِن عَيْنِى تَرَاهَا إِذ بِهَا وَقَد اسْتَحَالَت مِن دَمٍ وَأَقُومُ بَعْدَ الحُزْنِ يَعْرُونِى الغَضَب !!... ؛ وَيرَغْمِ أَنِّى لَسْتُ أَدْرِى لِم تَوالِى هَزَائِمِى وَلِمَا السَّبَب ؟!!... ؛ أَنَا قَد خَسِرْتُ هُنَاكَ كُلَّ بِضَاعَتِى ؟!!... ؛

وَيرَغْمِ ذَاكَ فَلَسْتُ أُدْعِنُ لِلخُنُوعِ وَلَسْتُ أُعْلِنُ عَن ضَيَاعِ قَوَافِلِى !!... ؛ إِى لَسْتُ أَرْجِعُ مِن طَرِيقِى كَى أُنَادِى القَوْمَ يَا قَوْمِى لَقَد خَابَ المَسِيرُ اليَوْمَ ضَاعَت رِحْلَتِى !!... ؛ لا لَسْتُ ذَاك !!... ؛ قُل أَنْتَ مَن بَاعَ القَصِيدَ مَن اشْتَرَاك ؟!!... ؛ يَا سِلْمُ مَا أَبْغِيكَ بَل أَبْغِى الخُطُوبَ وَأَشْتَهِى يَوْمَ العِرَاك ... ؛ أَنَا لَن أَحِى يَوْمَاً لأَحْيَا وَسْطَ بَيْدَاءِ المَذَلَّةِ وَالخُنُوع !!... ؛ فَالشِّعْرُ يَوْمَ حِمَامِهِ قَالَ المَنِيَّةُ أَشْهَى مِن يَوْمِ الخُضُوع ... ؛ وَلِذَا تَرَانِى لا أَمَلُّ السَّيْرَ فِى قَفْرٍ وَلا أَخْشَى المَسِيرَ بِقَلْبِ مَجْهُولِ الدُّرُوب ... ؛ فَهُنَاكَ قَد أَجِدُ المُنَى أَو لا فَزِد يَا دَهْرُ فِى البَلْوى وَزِد لِى فِى الكُرُوب !!... ؛ أَظْفَر هُنَاكَ بِبُغْيَتِى ... ؛ أَو قَد أُلاقِى مَنِيَّتِى !!... ؛ لا فَرْقَ عِنْدِى فَإِنَّهُ رَمْزُ البُطُولَةِ إِنَّهُ قَدَرُ الرِّجَال ... ؛

فَابْنُ الثُّرَيَّا لا يَخَافُ المَوْتَ لا يَخْشَى النِّزَال ... ؛ وَإِذَا اقْتَحَم أَرْضَ الكِبَارِ فَمَا عَلَيْهِ تَكُونُ عَاقِبَةُ المَصَائِرِ وَالمَآل ... ؛ سَيَظَلُّ هَذَا الفِكْرُ قُدَّاسِى وَأَوْرَادِى وَنَاسُوتِى ... ؛ وَخِلافُ مَحْضِ عَقِيدَتِى ؟!!... ؛ فَانْبِذ بِهَا ... ؛ وَاطْرَحْهَا قُل

وَلِّى بَعِيداً ... ؛ وَادْهَبِى عَنِّى قَصِيَّاً ... ؛ أَو فَمُوتِى !!.

دَقَّ نَاقُوسُ الخَطَـر!!

دَقَّ نَاقُوسُ الخَطَـر!!.... ؛ دَقَّ نَاقُـوسُ الخَطَـر!!.... ؛ وَالبَوْقُ أَعْلَنَ أَنَّ رِحْلَةَ عُمْرِىَ المَجْهُولِ بَاتَت تَحْتَضِر!!... ؛ إِن لَم يَجِىء مَوْتٌ فَمَوْتُ الأُمْنِيَاتِ هُوَ المَنِيَّةُ مَحْضَهَا ... ؛ وَمَا يُجْدِى الرَّجَا... ؛ حَتَّى وَإِن طَالَ العُمُر؟!.

قَد كُنْتُ مِن زَمَنٍ أُرَانِى فَارِسًا... ؛ يَخْرُج بِجَوْفِ اللَّيْلِ لا يَعْبَا بِأَهْوَالِ القَـدَر... ؛ وَاليَوْمَ!!... ؛ وَاليَوْمَ لا تَسْأَل عَنِ الأُقْصُوصَةِ الثَّكْلَى!!... ؛ وُئِدَت بِهَاذِى الأَرْضِ كُلُّ مَطَامِحِى!!... ؛ وَاحْتَرْقَت القِيَمُ الرَّزِينَةُ بَعْدَ أَن دُفِنَت بِهَاذِى البِيدِ [٤٣](١) كُلُّ مَشَاعِرِى!!... ؛ وَاليَوْمَ أَحْيَا!!... ؛ بَعْضُ ذِكْرَى حَيَّرَت!!... ؛ أَبْكَت!!... ؛ وَخَاتِمَةُ الرِّوَايَةِ !!... ؛ مُدْيَةُ جَازِرِ!!.

دَقَّ نَاقُوسُ الضَّيَاع!!... ؛ دَقَّ نَاقُوسُ الضَّيَاع!!... ؛ وَمِدَادِىَ الحَيْرَانُ أَعْلَنَ عَن حَرِيقِ طُرُوسِىَ الحَيْرَى!!... ؛ وَتَحْطِيمِ اليَرَاع !!... ؛ قَدَمَاىَ مِن فَرْطِ الخُطَى فَوْقَ الدُّرُوبِ المُوعِرَة ... ؛ عَجَزَت وَقَالَت لِلْمُسَافِرِ لَن تَصِل!!... ؛ فَخُطُوبُ دَهْرِكَ أَخْبَرَت قَالَت بِأَنَّ مَكَانَكَ الأَبَدِىَّ

فِى دُنْيَا المَخَاوِفِ وَالهُمُوم!! ... ؛ ضَلَّت خُطَاكَ بِأَرْضِ مَهْلَكَةٍ!!... ؛ وَسْطَ أَعْيُنَ لا تَرَى غَيْرَ الوجُوم!! ... ؛ وَلِذَاك؟!!... ؛ وَلِذَاكَ لَن تَعْرِف هُنَا مَعْنَى الوُصُولِ أَو الرُّجُوع!! ... ؛ فَمَصِيرُكَ الحَتْمِىُّ أَن تَبْقَى

---

(١) ـــ البَيْدَاء : الصَّحْرَاءُ الَّتِى لا زَرْعَ فِيهَا وَلا مَطَر ؛ (ج) : البِيد .

يدَرْبِ القَهْرِ لا تَدْرِى سِوَى مَعْنَى السَّكِينَةِ وَالخُضُوع !!.

فَاصْمُت فَإِنَّ سَوَالِفَ الأَحْلامِ لَن تَرْجِع!!... ؛ وَاصْمُت فَإِنَّ الصَّوْتَ مَخْذُولٌ !! ... ؛ فَمَن بِالكَوْنِ قَد يَدْرِى؟!!

... ؛ وَمَن بِالكَوْنِ قَد يَسْمَع؟!!.

وَرَجَعْتُ لا أَلْوِى عَلَى شَىْءٍ !!

وَرَجَعْتُ لا أَلْوِى عَلَى شَىْءٍ !! ... ؛ وَرَجَعْتُ لا أَلْوِى عَلَى شَىْءٍ

سَيَغْدُو بَعْدَ تَجْرِبَةٍ بِطَعْمِ العَلْقَمِ القَتَّالِ بَعْدَ العَيْشِ فِى ظِلِّ البَرَاءَةِ

وَالْمُرُوءَةِ وَالوَفَاء !!.

وَخَرَجْتُ مَهْزُومَاً !! ... ؛ وَخَرَجْتُ مَهْزُومَاً فَلا أُبْصِر بِهَذَا الدَّرْبِ

غَيْرَ الصَّمْتِ مِن كَنْزِ التَّعَاسَةِ وَالشَّقَاء !!.

إِى عُدتُ !! ... ؛ إِى عُدتُ مِلءَ حَقَائِبِى أَشْيَاءَ لَم تَحْمِل سِوَى

مَعْنَى المَرَارَةِ وَالغَبَن !!.

إِى عُدتُ !!... ؛ إِى عُدتُ خَامَرَ مَنْطِقِى المَهْزُومُ يَأسٌ لا يُعَرْبِدُ

مَعْ سِوَى رَجُلٍ ضَلِيلٍ !!... تَاهَ فِى وَادِى المِحَن !!.

إِى هَكَذَا !! ... ؛ إِى هَكَذَا !! ... ؛ وَانْتَهَت كُلُّ الأَمَانِى ... ؛ هَكَذَا !!

... ؛ هَكَذَا عَادَت قَوَافِلُ رِحْلَتِى وَالزَّادُ عَالنُّوقِ الجَرِيحَةِ طَعْمُهُ كَاللَّفْظِ

أَجْوفَ قَد خَلَت مِنْهُ المَعَانِى.

عُدْنَا !! ... ؛ عُدْنَا بِرَكْبٍ لَم يَرَ نُوراً وَلا أَمَلاً وَلا نَصْرَا.

عُدْنَا ؟!! ... ؛ عُدْنَا بِغُرَّةَ سُوِّدَت أَلَمَاً وَأَوْجَاعَاً وَقَهْرَا.

عُدْنَا ؟!! ... ؛ عُدْنَا بِذُلِّ القَتْلِ وَالتَّشْرِيدِ وَالأَسْرِ المُبَدِّدِ

كُلَّ أَفْكَارِ العُقُولِ الحَالِـمَه !!.

عُدْنَا ؟!! ... ؛ عُدْنَا بِخَيْلٍ مُتْخَنَه !!... ؛ عُدْنَا بِأَسْيَافٍ كَأَشْبَاهِ السُّيُوفِ مُحَطَّمَه !! ... ؛ عُدْنَا بِنَفْسٍ نَادِمَه!!... ؛ عُدْنَا عَلَى خَوْفٍ وَرُعْبٍ !!... فِى لَيَالٍ مُعْتِمَه!!.

يَا صَوْتِىَ المَكْبُوتُ أَسْفَارِى لَئِن حُرِقَت وَلَم تُقْرَأْ فَإِنَّ العَيْبَ فِى زَمَنٍ عَقِيم !!.

يَا أُغْنِيَاتَ الحُرِّ أَشْعَارِى... ؛ لَئِن وُئِدَت وَلَم تُسْمَعْ فَإِنَّ العُذْرَ حَقَّاً أَنَّنِى ؟! ... ؛ قَد جِئْتُ مِن عَصْرٍ قَدِيم !!.

هَاذِى بِضَاعَتُكُم وَتِلْكَ بِضَاعَتِى !! ... ؛ أَمَّا بِضَاعَتُكُم فَمَوْلُودٌ أَتَى مِن قَلْبِ مَعْرَكَةِ السِّفَاح ؛ وَبِضَاعَتِى مَحْضُ انْتِصَارَاتِ السِّنِينِ الخَالِيَه ؛ ... أَجْبَرْتُمُوهَا؟!... ؛ أَجْبَرْتُمُوهَا بَعْدَ خِزْيِكُمُ اللَّعِينُ لِئَن تَعِيشَ بِجَوْفِ كَهْفِ الغَضْبَةِ الثَّكْلَى !!... عَلَى أَرْضِ الجِرَاح !!.

يَا لَيْتَنِى !!... ؛ يَا لَيْتَنِى حُفِّظْتُ مِن صِغَرِى أَنَاجِيلَ الخِيَانَةِ أَو تَرَاتِيلَ اجْتِثَاثِ الطُّهْرِ وَالإِيمَانِ مِن كُلِّ النُّفُوس!!.

يَا سَيِّدِى !!... ؛ يَا سَيِّدِى أَنَا إِن أَرَى خَيْرَاً بِيَوْمٍ مِن بَشَر ؟!... ؛ فَحَقِيقَةُ الرُّؤيَا ادِّعَاءَاتٌ مُدَجَّلَةٌ !!... تُزَيِّنُهَا طُقُوس!!.

إِن الأُلَى رَحَلُوا لَئِن عَادُوا تَمَنَّوْا أَن يَعِيشُوا فِى صَوَامِعَ أَو قُبُور؟!!

فَالحَـقُّ فِى زَمَنِى سَيَغْدُو لا مَحَالَةَ بَيْنَ نَابِ الذِّئْبِ ثُمَّ وَلِيمَةً لِلبُومِ وَالغِرْبَانِ مِن بَعْدِ النُّسُور.

هَاذِى حَقِيقَةُ عَصْرِنَا !!... ؛ هَاذِى حَقِيقَةُ عَصْرِنَا ؛ وَالوَيْلُ كُلُّ الوَيْلِ إِن تَفْطِن !!... وَخَامَرَ نَوْمَكَ المَكْرُوبُ يَوْمَاً !!... أَن تَثُور!!

قَالُوا بِأَنِّى قَد أَعِيش!!

قَالُوا بِأَنِّى قَد أَعِيش!!

قَالُوا بِأَنِّى قَد أَعِيش؟!

قُلْتُ الحَيَاةُ عَلَى ضِفَافِ النَّهْرِ دُونَ الشُّرْبِ مِنْهُ مَرِيرَةٌ !!... ؛

وَإِلَى مَتَى يُجْدِى البَقَاءُ وَمَا عَرِفْتُ بِعُمْرِىَ المَسْمُومِ غَيْرَ العَيْشِ

فِى زَمَنِ الخَرِيف !!.

قَالُوا بِأَنِّى قَد أَعِيش؟!

قُلْتُ اسْأَل المَاضِى يُجِب !!... ؛ أَنَّ المُحَالَ هُوَ انْدِمَالُ الجُرْحِ فِى

زَمَنِ الأَسَى !! ... ؛ مِن بَعْدِ أَن صَاحَ العَلِيلُ مِنَ انْهِيَارِ الحُلْمِ وَاشْتَطَّ

النَّزِيف !!.

قَالُوا بِأَنِّى قَد أَكُون!!

قَالُوا بِأَنِّى قَد أَكُون؟!

قُلْتُ البُطُولَةُ بَعْدَ عُمْرٍ قَد مَضَى !!... ؛ هِىْ مَحْضُ سُخْرِيَةٍ وَتَضْلِيلٍ

وَزَيْف !!

إِى مَا عَسَى ؟!!... ؛ إِى مَا عَسَى ؟!!... ؛ إِى مَا عَسَى يَأْتِى وَمَا أَبْصَرْتُ

غَيْرَ الحُزْنِ مَقْرُونَاً بِخَوْف !!.

وَإِذَا الحَيَاةُ تَبَسَّمَت مِن بَعْدِ أَن قُبِرَت أَمَانِىَّ القَدِيمَةُ إِنَّنِى غِرٌّ !!... ؛ إِنَّنِى

غِرٌّ إِذَا أَوْهَمْتُ نَفْسِى بِالسَّعَادَةِ بَعْدَ أَن خَذَلَتْنِى أَقْلامِى !!... ؛ وَخَطَّت

مَصْرَعَ الآيَاتِ فِى دَيْرِ الأَمَل !!

وَإِذَا الحَيَاةُ رَأَيْتُهَا جَادَت بِبَعْضِ فُتَاتِهَا مِن بَعْدِ أَن مَاتَت مَشَاعِرُنَا بِوَادِ التِّيهِ وَاليَأْسِ المُعَرْبِدِ إِنَّهَا مَلْهَاةُ مِن دُنْيَا رَدِيئَةَ قَد أَتَت !!... ؛ قَد أَتَت تَزْعُم سَتُبْرِىء كُلَّ أَدْوَاءِ الفُؤَادِ !!... ؛ وَهِىْ بِمَاضِى العُمْرِ قَد زَرَعَت ثِمَارَ الهَمِّ وَالأَشْجَانِ فِى أَرْضِ المَلَل !!

قَالُوا فَإِنَّ الحُبَّ قَد يَأْتِى!!

قَالُوا فَإِنَّ الحُبَّ قَد يَأْتِى؟!

قُلْتُ انْتَظِر !!... ؛ قُلْتُ انْتَظِر !!... ؛ أَفَبَعْدَ تَجْرِبَتِى اللَّعِينَةِ قَد أَعُودُ لِكَى أَرَى وَجْهَ الكَآبَةِ وَالجُنُون !!.

قُلْتُ انْتَظِر !!... ؛ قُلْتُ انْتَظِر !!... ؛ فَالزَّعْمُ مَأْفُونٌ بِأَنَّ العِشْقَ قَد يُثْمِر بِأَرْضِ الفَاقَةِ الشَّوْهَاءِ فِى دَرْبِ الرَّدَى !!... ؛ مِن بَعْدِ أَن خَدَعَتْنِىَ الدُّنْيَا وَقَهَرَتْنِى السُّنُون !!.

الحُبُّ مَحْضُ كُلَيْمَةٍ !!... ؛ الحُبُّ مَحْضُ كُلَيْمَةٍ خَرْقَاءَ لا تَدْرِى لأَيَّةِ غَايَةٍ !!... ؛ وَالحَقُّ عِنْدِى أَنَّنَا نَسْعَى وَنَمْضِى فِى انْتِظَارِالهَدْأَةِ العَصْمَاءِ فِى يَوْمِ المَنُون !!

قَالُوا فَآمِن كَى تَعِيشَ بِرَاحَةٍ !!

قُلْتُ الحَقِيقَةُ أَن ضَحِكْتُ وَهَزَّنِى وَجْدٌ عَظِيم !!... ؛ أَإِيمَانُ شَيْخٍ هَرْوَلَت قَدَمَاهُ نَحْوَ دَعَارَةٍ !!... ؛ إِى هَكَذَا؟!!... ؛ أَم يَا تُرَى؟!!... ؛ أَإِيمَانُ رَاهِبِنَا المُقَدَّسِ وَسْطَ صَوْمَعَةٍ يُرَتِّلُ فِى شَجَىً وَتَأَسُّفٍ !!... ؛

وَالـرُّوحُ فِى ظُـلَمٍ تُنَادِى وَتَرْتَجِى !!...عَوْدَ الَّذِى قَد كَانَ فِى زَمَـنٍ قَدِيم؟!!

قَالُوا لأَيَّـةِ غَايَةٍ تَحْيَا؟!

قَالُوا لأَيَّـةِ غَايَةٍ تَحْيَا؟!

فَارْأَفْ بِبَعْضِ بَقِيَّةٍ مِن رُوحِكَ الحَيْرَى !!... ؛ وَحُزْنُكَ مَعْ مُضِىِّ العُمْرِ وَالأَيَّـامِ قَد يُمْحَى!!

فَأَجَبْتُهُم : وَيْلَ الخَلِىِّ مِنَ الشَّجِىِّ فَإِنَّمَا؟!!... ؛ مَا الوَاقِفُونَ هُنَاكَ عَالشُّطْآنِ يَدْرُونَ ابْتِلاءَ مُعَذَّبٍ بِالنَّهْرِ وَسْطَ المَوْجِ وَالأَنْوَاءِ فِى اللَّيْلِ الكَئِيب؟!! خَلُّوا نَصَائِحَكُم!!... ؛ قُولُوا لِدُنْيَانَا تُسَالِمُنَا ؛ إِى لِمْ تُرَاودُنَا الرُّؤى!!... ؛ إِى لِمْ تُلِمُّ بِسَاحَةِ المَفْؤودِ تِلْكَ الأُمْنِيَات؟!!... ؛ تَأْتِى وَدَوْمَاً فِى الصَّبَاح؟!!... ؛ تَزُولُ تَنْأَى تَبْتَعِد!!... ؛ نَبْقَى حَيَارَى لأَنَّنَا عَجْزَى عَنِ التِّسْآلِ لِمْ كُلُّ الأَمَانِى تَقْتَرِب!!... ؛ وَيلَحْظَةٍ ؟!!... ؛ ضَلَّ الرَّجَا !! ... ؛ وَكَأَنَّنِى دَوْمَاً أُغَنِّى !!... ؛ مَا لَنَا عِنْدَ الأَمَانِى مِن نَصِيب؟!!

أَنَا عِشْتُ فِى الزَّمَـنِ العَتِيقِ أُحَارِبُ الصَّرَخَاتِ فِى صَمْتِ الجَرِيح

أَنَا عِشْتُ أَدْفَعُ غُصَّتِى بِالشِّعْرِ وَالكَلِمَاتِ ... ؛ وَالقَوْلِ الصَّرِيح

خِلْتُ المُنَى يَوْمَاً سَتَأْتِى كَى تَقِفْ نَشْوَى تُنَادِى قُرْبَ أَبْوَابِى

خِلْتُ الأَمَانِى تَسْأَمُ الصَّدَّ المُحَيِّرَ إِى وَتَأْتِى كَى تُدَاعِبُ مَيْتَ أَهْدَابِى

وَخَرَجْتُ لِلدُّنْيَا لأَجْنِى ثِمَارَ أَقْدَامٍ تَهَاوَت !!... ؛ فِى مَتَاهَاتِ العُمُر

وَخَرَجْتُ كَى أَحْصُدْ جَنِىَّ السَّاعِدِ الهَشِّ الَّذِى قَد حُطِّمَت أَظْفَارُهُ

أَيَّامَ أَنْقُشُ أُمْنِيَاتِى !!... ؛ وَسْطَ أَكْبَادِ الصَّخَر

وَخَرَجْتُ بِالعَيْنِ الكَلِيلَةِ لا أَكَادُ اليَوْمَ أَن أُبْصِر لِفَرْطِ تَرَقُّبَاتِ النَّصْرِ فِى يَوْمِ الظَّفَر

وَخَرَجْتُ لِلدُّنْيَا أُغَنِّى لا أَرَى غَيْرَ انْتِصَارِ العَزْمِ فِى الزَّمَـنِ العَسِر

وَبُعَيْدَ هَذَا كُلُّهُ؟!!... ؛ جَاءَت إِلَىَّ رِسَالَةٌ تُخْبِر بِأَنَّ النَّصْرَ فِى زَمَنِى مُحَال!!... ؛ فَالسَّيْفُ أَصْدَأَهُ الزَّمَن!!... ؛ وَلِوَاؤكَ المِسْكِينُ مُزِّقَ مِن رِيَاحِ القَهْرِ فِى عَهْدِ الغَبَن!!... ؛ وَالسَّهْمُ مِن فَرْطِ المَرَارَةِ قَد تَهَشَّمَ وَانْكَسَر!! هَاذِى حَقِيقَةُ قِصَّتِى!!... ؛ تِلْكَ النِّهَايَةُ لا سَبِيلَ لِغَيْرِهَا... ؛ وَجَزَاءُ دَرْبٍ لَم يَرَ غَيْرَ الخِتَامِ المُؤْسِفِ !! ... ؛ هَاذِى حِكَايَةُ شَاعِرٍ خَاضَ الحَيَاةَ بِبَسْمَةٍ!! ... ؛ وَبِآخِرِ التَّرْحَالِ قَد عَادَت قَوَافِلُهُ بِأَشْعَارٍ تُنَادِى فِى الفَضَاءِ الرَّحْبِ تُخْبِر!!... ؛ هَاذِى حَقِيقَةُ مَوْقِفِى !!.

لَسْتُ أَغْضَبُ أَو أَثُور !!

هَكَذَا صَارَت لَيَالِينَا ؟!!... ؛ هَكَذَا أَضْحَت مَوَاطِنُنَا ؟!!... ؛ كُنَّا بِمَاضِ العُمْرِ كَالأَفْلاكِ لَم تُبْصِر كَآبَاتِ النُّجُوم !!... ؛ كُنَّا نُشَرِّقُ أَو نُغَرِّبُ لا نَرَى غَيْرَ الشُّمُوسِ وَلا نَرَى ظِلَّ العَوَاصِفِ وَالغُيُوم !!... ؛ وَاليَوْمَ صِرْنَا لا نُبَالِى عُقُولُنَا !!... ؛ أَضْحَت زَعَارَةَ أَو دَعَارَةَ أَو جُنُون !!... ؛ فَالكُلُّ سِيَّانٌ بِهَاذِى الأَرْضِ فِى عُرْفِ الحَكِيم !!... ؛ مَأْفُونُ فِكْرٍ ؛ سَارِقُوا الأَحْلامِ ؛ أَو لَيْلُ المُجُون !!... ؛ الكُلُّ وَاحِدُ يَا صَدِيقِى لا تَحَار !!... ؛ فَالصِّدْقُ وَالإِيمَانُ وَالشِّعْرُ المُقَدَّسُ فِى انْدِحَار !!... ؛ خَدَعُوكَ إِذ قَالُوا بِأَنَّ الأَرْضَ قَد تُثْمِر جِنَانًا !!

... ؛ إِنَّمَا هِى مَحْضُ نَار !!... ؛ وَلِذَاكَ هَاتِ الكَأْسَ كَى نُسْقَى وَنَتْرَع !!

... ؛ وَلِصَوْتِ غَانِيَةٍ عَلَى عُهْرٍ تَرَبَّت قَد نُصِيخُ اللَّيْلَ أَجْمَعْهُ وَنَسْمَع !!

... ؛ وَدِّع قَدَاسَتَنَا العَتِيقَه !!... ؛ بِعْهَا بِدِينَارٍ مُزَيَّف !!... ؛ إِيَّاكَ أَن تَسْعَى مَعَى يَوْمًا فَتُعْلِنُ مِن وَدَاعِ الطُّهْرِ وَالإِيمَانِ أَصْوَاتَ التَّأَسُّف !!... ؛ عِشْنَا فَلَم يَعْبَأ بِنَا زِنْدِيقُ أَو شَيْخٌ مُعَمَّم !!... ؛ تَذْكُر بِيَوْمِ العِيدِ قَد أَعْطُوكَ مِن لَحْمٍ مُسَمَّم ؟!!

... ؛ إِن كُنَّا كَالأَيْتَامِ فِى هَاذِى الدُّنَا !!... ؛ فَعَلامَ نَخْزَى وَنَنْكَسِر ؟!!... ؛

فَالطِّفْلَةُ العَجْمَاءُ تَبْكِى وَتَنْتَحِب !!... ؛ وَالزَّوْجَةُ الحَسْنَاءُ بَاعَت عِرْضَهَا !!

... ؛ وَالزَّوْجُ مِن فَرْطِ المَرَارَةِ قَد تَوَلَّى وَانْتَحَر !!... ؛ هَاذِى حَيَاةُ بِلادِنَا !!... ؛

أَمَّا أَنَا ؟!!... ؛ لا طِفْلَ يَرْقُبُ عَوْدَتِى بِطَعَامِهِ !!... ؛ إِى لا حَلِيلَةُ تَنْتَظِر أَن أَنْزُفَ الدَّمَّ اللَّعِينَ لِكَى أَعُودُ بِجَيْبَىَ المَرْقُوعُ مَا يَكْفُل لَهَا ثَمَنَ الرِّدَاء !!... ؛ إِى

هَكَذَا !!... ؛ لا أُمَّ تَرْمُقُنِى وَتَرْجُونِى لآتِيهَا سَرِيعَاً بِالدَّوَاء !!... ؛ لا هَمَّ عِنْدِى وَلا كَمَد !!... ؛ إِن قُلْتَ أَنَّ العُمْرَ يَسْتَوْجِب تَأَمُلَنَا الطَّوِيلَ فَإِنَّ عُمْرِى قَد تَـوَلَّى مِن أَمَد !!... ؛ وَلِذَا فَإِنِّى لَسْتُ أَغْضَبُ أَو أَثُور !!... ؛ إِى مَا عَسَى أَفْعَـل وَقَد ضَاعَت سِنِينِى وَاسْتَوَت كُلُّ الأُمُور ؟!!... ؛ أَنَا لَسْتُ أَعْبَأُ بِالحَيَاةِ وَلَسْتُ أَنْظُرُ مَا جَرَى أَو قَد يَكُون !!... ؛ آمَالُ تَجْرِيبِى وَتَرْحَالِى لَقَد وَلَّت سُدَى !!

... ؛ وَلِذَا فَإِنِّى لَسْتُ أَنْسَى مَقُولَتِى !!... ؛ أَنَا لَسْتُ أَغْضَبُ أَو أَثُور !!.

سِرُّ الحَيَاة !!

عَبَثَ الزَّمَانُ !!... ؛ تَفَرَّقَ الصَّحْبُ !!... ؛ ضَاعَت رُؤى !!... ؛ وَتَمَزَّقَ الحُبُّ!!

... ؛ مَا بَيْنَ وَقْفَةِ مَن يُحَارِبُ كُلَّ قَيْدٍ فِى الطَّرِيقِ وَكُلَّ أَغْلالِ الحَيَاه !!... ؛ مَا بَيْنَ صَمْتٍ بَيْنَ جَمْعٍ مِن بَشَر ... ؛ كُلُّهُم وَقَفُوا هُنَالِكَ خَوْفَ يَوْمٍ مُقْبِلٍ يَحْنِى الجِبَاه!!... ؛ مَا بَيْنَ بَدْءِ حَيَاتِنَا وَنِهَايَةٍ كَانَت لَنَا أُسْطُورَةٌ ثُكْلَى !!... ؛ فَهُنَاكَ مَن كَانُوا وَقَد غَابُوا ... ؛ وَهُنَاكَ مَن وَقَفُوا وَهُم عِنْدِى حَمَاقَاتٌ وَأَوْشَابُ ... ؛ وَهُنَاكَ مَن يَأْتُوا فَلا أَدْرِى !!... ؛ وَإِذَا تَبَيَّنَ غَيْرَ مَا يَبْدُو سَيَبْقَى الحُزْنُ هُوْ وَطَنِى وَهُوْ سِرِّى !!.

وَأَنَا هُنَا !!... ؛ وَأَنَا هُنَا كَالفَارِسِ المَهْزُومِ مُلْقَىً بَعْدَ مَعْرَكَةِ الزَّمَن ... ؛ وَبِهِ هُنَالِكَ مِن جِرَاحَاتِ السِّنِين !!... ؛ يَرْقُب بِعَيْنٍ لَن تُسَالِمَ مَا عَسَى أَو قَد يَكُون ... ؛ لَكِنَّهُ مِن طُولِ غُرْبَتِهِ وَقَسْوةِ دَهْرِهِ ؟!!... ؛ إِى قَد تَخَالُهُ مَحْضُ جِسْمٍ لا حِرَاكَ فَلا يَقُولُ وَلا يُبِين !!... ؛ يَجْلِس هُنَاكَ بِعُزْلَةِ اللَّيْلِ البَهِيم !!

... ؛ لَكِنَّهُ لَو قَد سُئِل ؟!!... ؛ لأَبَانَ أَعْرَبَ مِثْلَ مِنْطِيقٍ حَكِيم .

سَأَلُوهُ يَوْمَاً عَن مَصِيرِ الشِّعْرِ فِى الزَّمَنِ اللَّعِين ؟!!... ؛ فَأَجَابَ بَعْضُ الخُبْزِ خَيْرٌ عِنْدَ أَعْرَافِ الثَّكَالَى الضَّائِعِين !!... ؛ الشِّعْرُ أَضْحَى كَجُثَّةٍ وَسْطَ الضَّبَاب !!

... ؛ الشِّعْرُ لا يُشْبِع بُطُونَاً قَد عَوَت فِى عَهْدِ جَدْبٍ بَيْنَ أَزْمِنَةِ الخَرَاب !!.

سَأَلُوهُ عَن عِشْقِ الورُودِ هُنَاكَ فِى زَمَنِ الرَّبِيع ؟!!... ؛ فَأَجَابَ تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَتَزْهَقُ الأَشْوَاقُ فِى زَمَنِ الصَّقِيع !!... ؛ العِشْقُ يَهْزُلُ إِى وَيَمْرَضُ يَا صَدِيقِى عِنْدَ إِتْيَانِ الخَرِيف !!... ؛ الحُبُّ مُغْتَالٌ وَمَوْدُودٌ هُنَالِكَ عِنْدَمَا فُقِدَ الرَّغِيف !!.

قَالُوا فَتَىً يَمْضِى وَآمَالُ الحَيَاةِ تَشُدُّهُ ؟!!... ؛ تَحْدُوهُ كَى يَبْحَث عَن المَاءِ المَعِينِ وَيَعْتَلِى فَوْقَ الهِضَاب ... ؛ قَالُوا فَمَا فِى الأَمْرِ تُبْصِرُ أَو تَرَى ؟!!... ؛ سَأَلُوهُ هَل لَكَ مِن جَوَاب ؟!!... ؛ قَالَ الكِفَاحُ هُوَ السَّبِيلُ بِدَرْبِنَا ... ؛ أَمَّا المَالُ فَهُوْ سَيَبْقَى دَائِمَاً تَعْرُوهُ أَسْئِلَةُ ارْتِياب !!.

قَالُوا فَمَا سِرُّ الحَيَاةِ بِأَرْضِنَا ؟!!... ؛ هَل مِن يَقِينٍ ثَابِتٍ أَم أَنَّهَا مَحْضُ افْتِرَاضَاتٍ هُنَاكَ بِوَهْمِنَا ؟!!... ؛ قَالَ الحَقِيقَةُ مَحْضُ زَعْمٍ وَالمَقُولاتُ افْتِرَاء !!

... ؛ لا شَىْءَ يَبْقَى فِى النِّهَايَةِ يَا رَفِيقِى غَيْرَ أَصْدَاءِ الفَنَاء ... ؛ هَاذِى بَدِيهَاتُ القَرَائِحِ وَالعُقُول ... ؛ مَن قَالَ أَدْرِى أَو أَخَالُ فَإِنَّهُ حَقّاً هُوَ الغِرُّ الجَهُول !!... ؛ مَن كَانَ يَدْهَشُ مِن حَقِيقَةِ مَوْقِفِى ؟!!... ؛ فَلْيَسْأَلِ الأَزْهَارَ بَعْدَ جَمَالِهَا ؟!!

... ؛ أَضْحَت رَمَادَاً بَعْدَ أَن قُهِرَت عَلَى أَيْدِى التَّلاشِى !!... ؛ وَالذُّبُول ؟!!.

أَنَا لا أُجِيب !!

مَا هُوَ مَعْنَى الحَيَاه ؟!!... ؛ هَل هُوَ الإِقْدَامُ نَحْوَ البَغْى وَالحَقْدِ اللَّعِينِ ... ؛ بَقَاؤنَا نَسْعَى بِأَلْوِيَةِ المَقَابِحِ وَالخَسَائِس ؟!!... ؛ أَم تُرَاهُ المُكْثُ فِى ظِلِّ المَحَارِيبِ الَّتِى قَامَت هُنَا ؟!!... ؛ أَم بُكَاؤكَ تَحْتَ اَجْرَاسِ الكَنَائِس ؟!!... ؛ مَا هُوَ مَعْنَى الحَيَاه ؟!!... ؛ أَن تَعِيشَ اللَّيْلَ تَعْبَثُ فَوْقَ أَجْسَادِ الغَوَانِى وَالبَغَايَا ؟!!... ؛ أَم تُقَضِّى الدَّهْرَ تَبْكِى عِنْدَ أَضْرِحَةِ المَسَاجِدِ وَالزَّوَايَا ؟!!... ؛ أَن تَرَى الحِرْمَانَ يَعْصِرُ أُمْنِيَاتَكَ ثُمَّ تَخْشَى الثَّأْرَ كَى تَبْقَى فَتَقْضِى العُمْرَ مَهْزُومَاً وَتَمْضِى تَحْتَ أَقْدَامِ الطُّغَاه ؟!!... ؛ أَم يَا تُرَى تُفْنِى العُمُر تُنْصِت لِمَحْضِ العَابِثِ المَكْذُوبِ مِن فَمِّ الفَتَاه ؟!!... ؛ أَتُرَاهُ مَعْنَىً لِلحَيَاه ؟!!... ؛ أَتُرَاهُ يَجْدُرُ أَن يَعِيشَ الشَّاعِرُ المِسْكِينُ فِى زَمَنٍ أُبِيدَت فِيهِ عَن قَصْدٍ مُنَاه ؟!!... ؛ أَتُرَى التَّوَاضُعُ وَالسَّكِينَةُ يَدْفَعَانِ إِلَى السَّعَادَةِ وَالسُّرُور ؟!!... ؛ أَم يَا تُرَى كُلُّ البُطُولَةِ أَن تُؤاخِى الكِبْرَ وَالعُجْبَ المُبَهْرَجَ وَالغُرُور ؟!!... ؛ أَنَا فِى الحَقِيقَةِ لا أُفَرِّقُ بَيْنَ شَحَّاذٍ حَقِير ... ؛ يَجُوبُ يَسْأَلُ فِى الطَّرِيق ... ؛ أَو بَيْنَ ذِى شَأْنٍ يُقَالُ بِأَنَّهُ شَأْنٌ خَطِير ... ؛ تُحْنَى لَهُ رَأْسُ الكَرِيمِ وَرَأْسُ ذِى الوجْهِ الصَّفِيق ... ؛ أَنَا فِى الحَقِيقَةِ حَائِرٌ عَن أَمْرِ مَا يَفْنَى وَمَا يَبْقَى !!... ؛ أَىُّ المَعَانِى تَحْمِلُ المَجْدَ المُخَلَّدَ أَيُّهَا يَشْقَى ؟!! ... ؛ حَكَمَ الزَّمَانُ وَقَالَ وَحْدِى لا أَغِيب ... ؛ وَسِوَاىَ فِى كُلِّ المَتَاهَاتِ افْتُقِد ... ؛ فَالسِّرُّ مَجْهُولٌ هُنَا ... ؛ وَالعَجْزُ إِن تَنْطِق ... ؛ فَقُل دَوْمَاً بِأَنِّى !!... ؛ لا أُجِيب !!.

إِنِّى أُهَاجِر

إِنِّى أُهَاجِر !!... ؛ إِنِّى أُهَاجِر !!... ؛ أَنَا لا أُرِيدُ العَيْشَ وَسْطَ جَمَاعَةٍ مَا عَادَ يُصْلِحُ بَيْنَهُم صَوْتٌ وَلا يُجْدِى كَلام !!... ؛ أَنَا رَاحِلٌ !!... ؛ أَنَا رَاحِلٌ !!... ؛ لا مَطْمَعٌ يُغْرِينِى بِالسَّفَرِ اللَّعِين !!... ؛ لَكِن لَعَلِّى بِرَاحَةٍ أَحْيَا !!... ؛ إِن غِبْتُ يَوْمَاً وَسْطَ أَحْشَادِ الزِّحَام !!... ؛ إِى قَد أَجِد سِرِّى وَذَاتِى إِن بَقِيتُ أَنَا هُنَاك !! ... ؛ وَإِذَا خُذِلْتُ وَلَم أَجِد بِالغُرْبَةِ الخَرْسَاءِ غَيْرَ الحُزْنِ وَالحِرْمَانِ فِى لَيْلِ الهَلاك !!... : فَلَعَلَّ بُعْدِى عَن مَوَاطِنِ عُمْرِىَ المُغْتَالُ يُحْيِى إِرَادَتِى !!... ؛ إِنَّهَا وَأَدَت هُنَا !!... ؛ كُلَّ الأَمَانِى وَالمُنَى !!... ؛ فَالرُّوحُ قَد ذُبُلَت وَجَنْىُ السَّعْى بَعْضٌ مِن بَقَايَا قُوَّتِى !!.

إِنِّى أُهَاجِر !!... ؛ وَيَشُدُّنِى نَحْوَ المَدَى أَن لَيْسَ عِنْدِى حَبِيبَةٌ تَرْجُونِى مِن أَجْلِ الحَنِينِ أَلا انْتَظِر !!... ؛ أَن لَيْسَ أُمٌّ تُنَادِينِى بِوَسْطِ اللَّيْلِ يَا وَلَدِى تَمَهَّل فَقَد نَنْسَى مَآسِينَا وَيُضْحِكُنَا العُمُر !!... ؛ إِنِّى أُهَاجِر !!... ؛ لَم أَعُد أَشْجَى لأَىِّ صَدَاقَةٍ ... ؛ إِنَّهَا لَفْظٌ بِلا مَعْنَى !!... ؛ إِنَّهَا أَوْهَامُ قَامَت كَى نَرَى أَعْمَارَنَا تَبْلَى وَتَفْنَى !!... ؛ إِنِّى أُهَاجِر !!... ؛ فَعَشِيرَتِى قَالَت بِأَنِّى إِن أَرَدتَ الشِّعْرَ فَأَحْيَا وَسْطَ أَشْبَاحِ الفَيَافِى وَالمَقَابِر !!... ؛ إِنِّى أُهَاجِر !!... ؛ إِنِّى أُهَاجِرُ بَعْدَ أَن مَاتَت

بِوَادِينَا البَصَائِرُ وَالمَشَاعِرِ !!... ؛ إِنَّ الرَّحِيلَ هُوَ المَلاذُ إِذَا أَتَت رِيحُ الخَرِيفِ فَهَدَّدَت بِذُبُولِ عُمْرِى كَمَا تَفْنَى الزُّهُورُ وَيَخْتَفِى لَوْنُ الغُصُون !!

... ؛ إِنِّى أُهَاجِر مُلْقِيَاً نَفْسِى لِعَاصِفَةٍ سَتَطْرَحُنِى لأَرْضِ المَوْتِ ... ؛ أَو وَسْطِ الضَّيَاعِ !!... ؛ أَو الجُنُون !!.

رَحِيلاً !!... ؛ جَفَتْكَ البِلاد !!

رَحِيلاً إِلَى غَيْرِ أَرْضِى رَغِبْتُ المَسِير !!
فَقَد أَرْهَقَتْنِى رِيَاحُ الشُّجُونِ ... ؛ وَلَوْنُ
الحَيَاةِ المَرِير !!
رَحِيلاً لِدَرْبٍ جَدِيدٍ لَعَلِّى أُبَدِّلُ ذَاكَ
المَصِير !!
نُزُوحَاً وَنَأْيَاً لِغَيْرِ الحُدُود !!
كَفَانِى احْتِمَالاً لِتِلْكَ القُيُود !!
بَعِيدَاً بَعِيدَاً أَجُوبُ الدُّرُوب
وَإِن شِئْتُوا قُولُوا بِأَنِّى اعْتِسَافَاً
أَرَدتُ الهُرُوب !!
تَعَكَّرَ صَفْو الحَيَاةِ الغَرِير
فَمِن أَجْلِ مَاذَا أُطِيلُ البَقَاء ؟!!
وَمِن أَجْلِ هَذَا وَدَاعَاً لأَنِّى ؟!!
... ؛ رَغِبْتُ المَسِير !!
أَيَا أَرْضُ كُونِى لِغَيْرِ الحَبِيب !!
أَيَا أَرْضُ كُونِى لِوَجْهٍ غَرِيب !!
تَمُوتُ الأَمَانِى ... ؛ بِغَيْرِ اجْتِرَاح

لِذَنْبٍ لإِثْمٍ ... ؛ وَتَبْقَى الجْرَاح !!
أَيَا رِحْلَةً وَسْطَ أَرْضِ الضَّيَاع !!
كَفَانِى ابْتِسَامَاً لِدَرْبٍ عَبُوس !!
فَآخِرُ هَذَا الطَّرِيقِ الضَّبَاب !!
وَسَعْيِى سَيَجْنِى احْتِرَاقَ الشَّبَاب !!
أَيَا رِحْلَةً وَسْطَ أَرْضِ الضَّيَاع !!
كَفَانِى رَجَاءً لِذَاكَ الصِّرَاع !!
كَفَانِى رَجَاءً لِذَاكَ الصِّرَاع !!
عَذَابَاً أُلاقِى ... ؛ وَقَلْبَاً جَرِيح
وَمَا بَعْدَ دَمْعِى ؟!!... ؛ وَحُلْمِى الذَّبِيح ؟!!
عَذَابَاً ... ؛ عَذَابَاً ... ؛ أَلِفْتُ العَذَاب !!
وَمَا عُدتُ أَرْجُو سِوى الاغْتِرَاب
فَدَرْبِى العَتِىُّ ... ؛ سَقَانِى جَفَاء
وَشَمْسِى تُنَادِى بِأَعْلَى البِطَاح :
أَلا اسْمَع لِنُصْحِى وَحَقِّى الصُّرَاح
أَلا ارْحَل بَعِيدَاً جَفَتْكَ البِلاد
وَحَطِّم سِوَارَ الزَّمَانِ الشَّجِىّ
وَمَزِّق نَشِيدَ الولاءِ الغَبِىّ
أَلا امْحُ وَغَيِّر سُطُورَ الكِتَاب

كَفَاكَ انْتِحَابَاً !!... ؛ كَفَاكَ انْتِحَاب !!

وَمَا عَادَ يُجْدِى سِوى الاغْتِرَاب

أَلا ارْحَل وَصَوِّر بِغَيْرِ المِدَاد

أَلا ارْحَل بَعِيدَاً جَفَتْكَ البِلاد !!

عِنْدَمَا نجَلِس سَـوِيًّا !!

عِنْدَمَا نجَلِس سَـوِيًّا !!.

لا تُحاولْ أَن تُدِيرَ الكَأْسَ أَو تَرْعَى النُّجُوم !!.

بَل تَعَالَ نَسْتَقِى!!... ؛ عِبْرَةَ الأَزْمَانِ فِى لَحْنِ الكُلُوم.

مَا تَزَالُ الأَدْمُعُ الحَيْرَى تُنَادِى... فِى فُتَاتِ العُمْرِ وَيْلِى... !!

دَائِمَاً تَبْقَى مَشَاهِدُكَ القَدِيمَةُ تَرْتَسِم... فَوْقَ البَقَايَا مِن تُرَاثٍ مُنْهَدِم!!.

عِنْدَمَا نجَلِس سَـوِيًّا!!.

عِنْدَمَا نجَلِس سَـوِيًّا!!.

لا تَرُم أَن تَشْغَلَ النَّفْسَ الشَّقِيَّةَ عَمَّا كَانَ فِى مَاضِى العُمُر !!... بَل إِلَى ذِكْرَى الأُلَى عَبَرُوا...وَمِنْهُم كَانَ فِى أَمْسٍ!!... ؛ وَمَـر.

دَعْنَا مِن دَمْعٍ...يَهُزُّ لَوَاعِجَ الحَسَرَاتِ...يُوقِظُهَا...ثُمَّ يُلْقِيهَا...لِغَفْوَةٍ...فِى قَعْرِ ذَاتِى...!!

دَعْنِى أَخِيطُ الحُزْنَ ثَوْبَاً...فَالثَّوْبُ بَعْضُ مَلامِحِ خَرْسَاءَ لا تَدْرِى لأَىِّ جِنَايَةٍ...وَأُزَيِّنُ الثَّوْبَ الكَئِيبَ بِكَسْرَةٍ ... فِى نَبْرَتِى.

إِن كُنْتَ تَدْرِى أَنَّ نِسْيَانِى مُحَال...فَاسْأَلِ الدُّنْيَا تُعِد لِى بَعْضَ أَيَّامٍ تَوَلَّت !!... ؛ مِن سَوَالِفِ رِحْلَتِى؟!.

عِنْدَمَا نجَلِس سَوِيًّا!!.

لا تَقُل إِنَّ الأَمَانِى فِى حَيَاتِى قَد تَكُون!!...بَل قُل بُعَيْدَ

الحُزْنِ وَاليَأْسِ المُعَتَّقِ فِى زُجَاجَاتِ الأَسَى !!...لَم يَبْقَ

غَيْرَ المَوْتِ أَو دَرْبٍ شَقِىٍّ ظِلُّهُ !!... ؛ ظِلُّ التَّعَاسَةِ وَالجُنُون !!.

لا تَقُل أَقْدَارُنَا شَاءَت وَأُرْغِمْنَا وَمَدَّ القَهْرُ أَلْوِيَةً وَأَعْلامَاً

مِنَ الحِرْمَانِ وَالعَسْفِ المَهُول!!.

لا تَقُل شَيْئَاً !!... بَل دَعْنَا لِلذِّكْرَى... فَحَيَاتُنَا وَقَفَت هُنَا!!

... ؛ فَانْظُر بِعَيْنِكَ فِى ذُهُول!!.

وَاصْمُت فَلَن يجُدِى... وَعَن قُرْبٍ فَإِنَّ الرُّوحَ لَن تَبْقَى...!!

كَأَزْهَارٍ تَرَجَّت أَن يَغِيضَ الدَّمْعُ كَى تحَيَا وَلَكِن مَا عَسَى؟!!...

فَإِذَا أَتَت رِيحُ الخَرِيفِ فَلَن تَرَى... ؟!! ؛ غَيْرَ التَّلاشِى وَالذُّبُول!!.

دَعْنِى فَإِنِّى؟!!... لَسْتُ أَدْرِى مَا أَقُول؟!!.

لا تَقُل شَيْئَاً!!... قُل إِنَّ عُمْرَ الحُلْمِ قَد وَلَّى... وَانْظُر

لِسُخْرِيَةِ الزَّمَن... عِشْنَا عَلَى دَرْبِ الأَمَل... عِشْنَا وَلَم

نَحْقِد وَلَم نَحْسُد وَلَم نَبْغِ... عِشْنَا وَهَاكَ جَزَاؤنَا... أَن نحْيَا

فِى وَادِى المِحَن؟!!.

إِنَّ البَرَاءَةَ فِى زَمَانِ المُومِسَاتِ جَرِيمَةٌ

إِنَّ الخِيَانَةَ وَالنَّذَالَةَ وَالمجُونَ عَطِيَّةٌ

وَلِذَاكَ صِرْنَا ... لا نَرَى غَيْرَ اكْتِسَابِ هَزَائِم... وَخَسَارَةٍ

فِى كُلِّ عَاطِفَةٍ تُمورُ بِذَاتِنَا !!.

فَاصْمُت رَجَاءً... فَالصَّمْتُ أَدْوِيَةُ الحَيَارَى... وَالصَّمْتُ

لِلغُرَبَاءِ فِى الدُّنْيَا !!... هُوَ الثَّوْبُ المُعَارَا.

وَغَدَاً سَتَعْرِفُ سِرَّ زُهْدِى فِى تَرَاتِيلِ انْبِعَاثَاتِ

الحُلُم... وَغَدَاً سَتَعْرِفُ لِمْ عُزُوفِى عَن شِكَايَاتِ الكَلِم

... إِى قَدْ يَكُون !! ... إِى قَد تَرَانِى وَاقِفَاً يَوْمَاً أُغَنِّى !!

... وَسْطَ رُهْبَانِ الأَلَم!!.

لا تَسْأَلَن عَنِّى المَدَى... اسْأَل وَقُل مَن ذَا الَّذِى أَبْقَاكَ

مُنْتَظِرَاً لِسَاعَاتِ الرَّدَى؟!!.

قَد صِرْتُ لا أَفْرَق مِنَ الأَنْيَابِ إِن ظَهَرَت بِأَفْوَاهِ المَلائِكِ

وَالرُّسُل !! ... بَل صِرْتُ أَدْهَشُ إِن رَأَيْتُ الذِّيبَ لايَلْوِى

وَلا يَعْبَا ... وَيَغْفِرُ لِلحَمَل!!.

إِى أَنَا هَذَا الَّذِى!!.

أَنَا مَن دَخَلْتُ كَنَائِسَ الرُّهْبَانِ أَدْيَرَةَ اليَهُود

... وَأَمَامَ نِيرَانِ المَجُوسِ رَأَيْتُنِى... أَدْعُو وَأَنْتَظِرُ

انْتَصَارَ الظَّفْرِ فِى يَوْمِ الأَمَل!!.

أَنَا مَن تَرَكْتُ المَجدَ كَى أَحْيَا أُغَنِّى... فِى رَتَابَةَ

وَسْطَ سَاعَاتِ المَلَل!!.

إِى أَنَا هَذَا الَّذِى!!.

عِنْدَمَا نجَلِس سَوِيًّا !!...لا تحُاوِل لا تَـرُم... لَن
أَبُوحَ بِسِرِّىَ المَكْتُومُ فِى لَهَـبِ القَصَائِدِ وَالكَلِم.
أَنَا أَحْيَا كَالأَحْرَارِ لَو أَبْصَرْتَنِى... لَكِـنَّ جَـوْهَرَ
ذَاتِىَ المَكْلُومُ يَصْرُخُ مِن إِسَارِالـرِّقِّ فِى جَـوْفِ
العَبِيد !!... أَنَا مَن أُعَانِى بِكُلِّ دَرْبٍ مِن دُرُوبِ
خُطَاىَ لَكِن ذِلَّتِى !! ... تَفْنَى وَيُبْعِدُهَا شَيَاطِينٌ
تَعِيشُ بِدَاخِلِى !!... لا تَعْرِفُ الأَغْلالَ !!...
أَو أَسْرَ القُيُود.
إِى أَنَا هَـذَا الَّذِى !!.
أَبَرَاءَةُ القَدِّيسِ فِى عَيْنَىَّ أَم تُبْصِر بِهَا !!... سَهْمَ
الدَّعَـارَةِ وَالوَقَـاحَةِ وَالمجُـون ؟!!.
أَنَظَرْتَ فِى عَيْنِى وَجَدتَ النُّبْلَ وَالإِيمَانَ وَالتَّقْـوَى ؟!!
... أَم أَنَّهَا دَوْمَاً سَتَبْقَى... لا تَشِى إِلاَّ بِأَفْكَارٍ رَدِيئَةَ صَاغَـهَا
زَمَنٌ خَـؤون ؟!!.
إِن كُنْتَ تَبْحَثُ عَـن حَـقِيقَةِ كُـنْهِ وجْـدَانِى وَذَاتِى ؟... فَغَـدَاً
سَتَعْـرِفُ يَـوْمَ يخُبِـرُكَ الرَّدَى... وَغَـدَاً سَتَعْـرِفُ إِن طَـرَحْتُـوا
النَّارَ فِى جَسَـدِى !!... وَبَعْثَرْتُم رُفَاتِى.
وَأُرَاكَ تَرْغُبُ فِى مَزِيـدٍ مِـن كَـلامٍ جَـاءَ مِن وَادِى العَـدَم !!
... وَأَظُـنُّ عَقْلَكَ يَنْتَظِـر نُطْقِى بِأَبْيَاتِ الحَيَارَى أَو عِبَارَاتِ

الوَهَـم؟!!.

أَنَـا مَـن نَشَـأْتُ بِـدَيْـرِ رُهْبَـانٍ أَرَادُوا أَن أَكُـونَ مَثِيلَهُم فِى نَـزْعِ أَرْدِيَـةِ الطَّهَـارَةِ وَالعَفَـاف... إِى عَلَّمُـونِى أَن أَكُـونَ أَمَامَهُم يَـوْمَ اغْتِصَـابِ بَكَـارَةِ الأَفْكَـارِ فِى زَمَـنِ الـرَّدَاءَةِ وَالجَـرِيمَـةِ وَالجَفَـاف!!.

إِى أَنَـا هَـذَا الَّذِى!!.

أَنَـا مَـن نَشَـأْتُ بِبُغْضِ كُفَّـارِ العَقَـائِدِ وَالـرِّسَـالاتِ البَعِيـدَةِ فِى الـزَّمَـان ... وَنَشَـأْتُ أَرْهَبُهُم وَأَخْشَى السَّيْرَ قُرْبَ حُصُـونِهِـم ... وَبِفَجْـأَةٍ ؟!!... وَيلَحْظَةِ اليَـأْسِ الجَبَـان؟!!... أَلْفَيْتُ نَفْسِى سَـائِرَاً قُرْبَ القِـلاعِ المُفْزِعَـة؟!!... وَادْهَـش وَلا تَسْأَل !! ... فَبِقَلْبِ قَلْعَتِهِـم رَأَيْتُ النُّـورَ يَسْرِى فِى العُقُـولِ المُبْـدِعَـة؟!!.

هُـم عَلَّمُـونِى أَن تَعِيشَ بِـوَسْـطِ أَعْمَـاقِ الظَّـلامِ

إِرَادَتِى... أَن أُبَقِّى النُّـورَ فِى رُوحِى !!...إِذَا مَا اللَّيْلُ بَـدَّدَ بِالتَّعَـاسَـةِ قُـوَّتِى!!.

عِنْدَمَا نَجْلِس سَـوِيًّا !!

لا تَقُل ...: لِمْ أَظَلَّتْكَ الغَمَـامَـةُ لا تُـرِيـدُكَ أَن تَـرَى دِينَاً وَلا بَشَـرَاً وَلا نُـورَا ؟!! ... أَنَـا لا أُجِيبُ لأَنَّنِى ... جَـذْلانُ وَسْـطَ الحِيرَةِ الثَّكْلَى ... وَسْـطَ لَيْلٍ

عَـابِـسٍ...لا يُبَشِّـرُ بِالصَّبَـاح ... إِى أَنَـا رَاضٍ ...
بِانْعِـزَالِ النَّفْـسِ لا تُبْصِـر سِـوى شَـوْكِ الجِـرَاح !!.
وَحَقِيقَـةُ الدُّنْيَا بِعَيْنِى كَـرِيهَـةٌ ... فَلأَنَّنِى ... فَلأَنَّنِى
أَبْغَضتُ مَـن كَانُوا وَمَـن وَقَفُـوا وَمَـن يَأْتُوا !!.
وَحَقِيقَـةُ الدُّنْيَا بِعَيْنِى كَـرِيهَـةٌ... فَلأَنَّنِى... فَلأَنَّنِى ...
مَا كُنْتَ يَسُـوعَاً وَلا القِدِّيسَ فِى اليَـوْمِ الـوَجِيع !!...
بَل كُنْتُ كَالـرَّائِى المَنَايَا بِعَيْنِهِ !!... فَأَرَدتُ
مَـوْتَاً لِلجَمِيـع !!.

سَأَلَتْنِى مَن؟!!

سَأَلَتْنِى مَن؟!! ... ؛ إِى أَنْتَ يَا ابْنَ الصَّمْتِ قُل ؟!!... ؛ قُل أَنْتَ مَن ؟!! ... ؛ فَخَجِلْتُ مِن عَجْزِى... ؛ وَلَم أَنْطِق... ؛ وَاهْتَزَّت الأَرْضُ الَّتِى حَمَلَتْنِى أَقْدَامِى عَلَيْهَا مِن سِنِين !! ... ؛ أَنَا مَن أَكُون ؟!!... ؛ فَلْتَسْأَلُوا عَنِّى دُرُوبَاً فِى ظَلامٍ لَم تَزَل ... ؛ فَلْتَسْأَلُوا عَنِّى بِأَوْدِيَةِ الحَيَارَى التَّائِهِين !!.

قَالَت أَجِب !!... ؛ فَإِلَى مَتَى تَبْقَى بِحِصْنِكَ قَابِعَاً وَسْطَ السُّكُون ؟!!

... ؛ قَالَت أَجِب !!... ؛ مَا مِن فَتَىً !!... ؛ إِلاَّ وَيَعْرِفُ مَن يَكُون ؟!!.

فَأَجَبْتُهَا : أَنَا شَاعِرٌ... ؛ أَنَا شَاعِرٌ أَوْطَانُهُ الوَهْمُ اللَّعِين ... ؛ إِرْثِى مِنَ الحِرْمَانِ وَالخَوْفِ المُفَزِّعِ وَالشَّجَن ... ؛ لِى ذِكْرَيَاتٌ !!... ؛ إِنَّمَا أَنَا فِى الحَقِيقَةِ لَسْتُ أَدْكُرُهَا... ؛ وَقَفَت هُنَاكَ بِخَلْفِ أَبْوَابِ الزَّمَن !!... ؛ قَد كَانَ لِى بِالأَمْسِ أَرْضٌ كُنْتُ أُبْصِرُهَا !!... ؛ اليَوْمَ مَا أَدْكُر سِوَى ... ؛ أَحْيَا بِلا أَرْضٍ بِلا أَهْلٍ بِلا حُبٍّ ... ؛ وَمَا عِنْدِى وَطَن !!... ؛ هَاذِى حَقِيقَةُ قِصَّتِى.

قَالَت فَمَا تَرْجُو ؟!!... ؛ وَمَا تَبْغِى بِسَعْيِكَ فِى بِلادٍ لَسْتَ تَعْرِفُهَا ؟!! ... ؛ وَلِمَا مَجِيئُكَ مِن دِيَارِكَ يَا تُرَى ؟!!... ؛ أَلَدَيْكَ أَحْلامٌ وَآمَالٌ وَأَفْكَارٌ ... ؛ وَشَىْءٌ مِن رُؤى ؟!!.

فَأَجَبْتُهَا : أَنَا مَا أُؤَمِّلُ أَىَّ شَىْء !!... ؛ حُلْمِى البَقَاءُ بِدَيْرِ صَمْتِى لا أَعِيشُ بَعَالَمِ الأَحْقَادِ فِى دُنْيَا البَشَر... ؛ أَمَلِى مِنَ الدُّنْيَا اللَّعِينَةِ هُوْ سُكُونِى وَعُزْلَتِى ... ؛ مَحْضُ التَّنَائِى عَن مَدَائِنَ أَهْلُهَا صُنِعَت قُلُوبُهُمُ هُنَالِكَ مِن جَلامِيدِ الصَّخَر

!!... ؛أَنَا لَيْسَ عِنْدِى مِن رُؤى ... ؛أَنَا لَسْتُ أَعْبَأُ بِالأُمُورِ يَكُونُ مِنْهَا وَمَا جَرَى... ؛مُتَشَابِهٌ ذَا المَوْتُ عِنْدِى وَالكَرَى... ؛مُتَسَاوِيَانِ... ؛ مُتَسَاوِيَانِ السَّيْرُ فِى ظِلِّ النَّعِيمِ بِطُولِ سَاحَاتِ المَدَى... ؛وَوُقُوفُ حَيْرَانٍ هُنَاكَ عَلَى شَوَاطِىءَ لا تَرَى غَيْرَ الرَّدَى !!.

فَأَجَبْتُهَا: لا تَسْأَلِى كَيْفَ المَجِىءُ وَأَنْتَ مَـن ؟!!... ؛أَنَا مَن أَكُون ؟!!... ؛أَنَا مَحْضُ قَلْبٍ مَا عَلَى الأَرْضِ اطْمَأَن !! ... ؛لا تَسْأَلِينِى مَا أُرِيد ... ؛أَنَا جِئْتُ مِن مَاضٍ تَلاشَى وَهَا أَسِيرُ بِنَحْوِ مَرْهُوبٍ بَعِيد... ؛لا تَسْأَلِينِى مَا الَّذِى قَد كَانَ فِى يَوْمِ الفِـرَار ... ؛يَوْمِ الخِيَانَاتِ الَّتِى مَاجَت بِهَا بَلَدِى هُنَاكَ بِوَسْطِ أَوْدِيَةِ الحِصَار ... ؛أَنَا كُلُّ مَا أَذْكُر... ؛أَنَا كُلُّ مَا أَذْكُر خُرُوجِى لاهِثًا خَوْفَ الغُدُوِّ كَجُثَّةٍ مَطْرُوحَةٍ كَانَت لِبَعْضِ رِفَاقِنَا... ؛خَلَّفْتُهَا!!... ؛خَلَّفْتُهَا نَهْبًا مُقَسَّمَةً لأَنْيَابِ النُّسُور... ؛وَخَرَجْتُ تَحْتَ ظَلامِ لَيْلٍ رِحَابِهَا... ؛ وَتَرَكْتُهَا!!... ؛وَتَرَكْتُهَا كَمَدِينَةٍ مَلْعُونَةٍ ضَاعَت هُنَاكَ !! بِوَسْطِ مَجْهُولِ العُصُور.!!.